3.1.2015
@ketab_n

بييردومينيكو بَكّلاريو

سيبوريا

استيقاظ جالينو

(رواية)

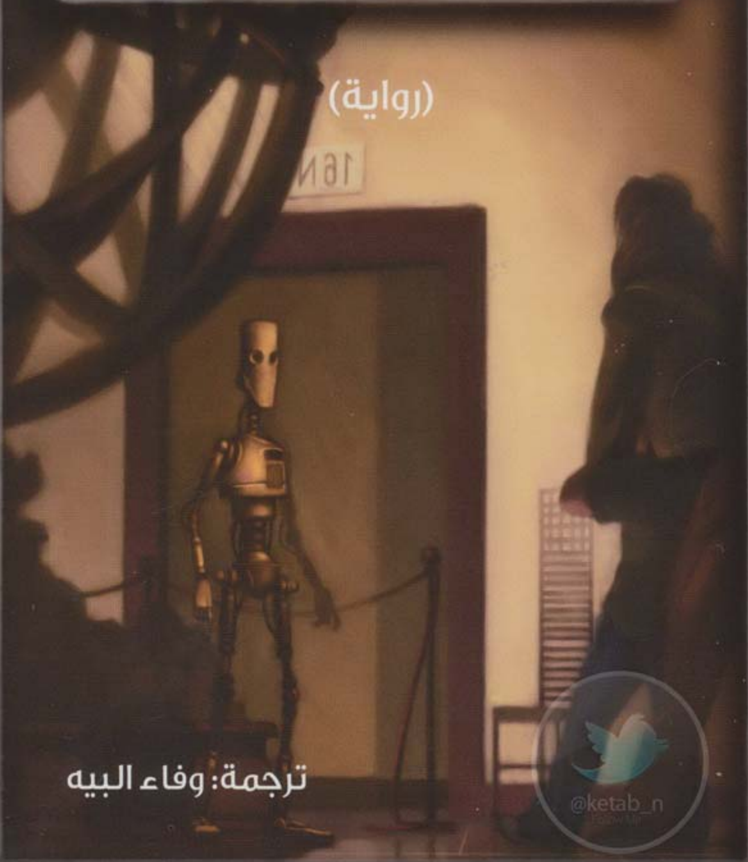

ترجمة: وفاء البيه

@ketab_n

بيير دومينيكو بَكّلاريو

سيبوريا

@ketab_n

استيقاظ جالينو

«رواية»

ترجمة: وفاء البيه

مراجعة: د. عزالدّين عناية

Twitter: @ketab_n

الطبعة الأولى 1434هـ 2013م
حقوق الطبع محفوظة
© هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة مشروع «كلمة»

سيوريا : استيقاظ جالينو
بيردومينيكو بَكّلاريو
PQ4862.A18 C9312 2011
Baccalario, Pierdomenico
سيبوريا: استيقاظ جالينو / تأليف بيردومينيكو بَكّلاريو؛ ترجمة وفاء البيه.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة «مشروع كلمة»، 2011.
ص 302 ؛ 14×21 سم.
ترجمة كتاب : Cyboria: Il Risveglio di Galeno
تدمك: 978-9948-01-799-8
القصص الإيطالية-المترجمات إلى العربية.
أ-بيه، وفاء .

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإيطالي:
Pierdomenico Baccalario
Cyboria. Il risveglio di Galeno
© 2009 Istituto Geografico De Agostini S.p.A, Novara

KALIMA كلمة
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+

ISTITUTO PER L'ORIENTE C.A. NALLINO
www.ipocan.it
Via Alberto Caroncini. 19 - 00197 Roma (Italia) - Tel +39-06-8084106 + 39-06-8080710
Fax +39-06-8079395 - e-mail: ipocan@ipocan.it

إن هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة مشروع «كلمة» غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر وجهات النظر الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف وليس بالضرورة عن الهيئة.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لـ مشروع «كلمة»
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

سيبوريا

استيقاظ جالينو

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الحاضر 7

20. الدراجة الصاروخية 9

19. فيلاّ فولجوري 15

18. التحية الأخيرة 18

17. في مثمن الكتب 22

16. العلبة المنشورية 28

15. خطابات ماضية 33

14. في منزل الكونت 36

13. أصل الأرقام 39

12. أضواء ليلية 49

11. عالمة الآثار 53

10. القبر 59

9. الكتاب المفقود 63

8. الميت الحي 66

7. الضيف الثقيل 70

6. حركة الكواكب الخفية 81

5. جالينو، عفواً 87

4. الرجل ذو الرداء الأسود 98

3. موت ضوء القمر 101

2. لغة القضبان 111

1. قاطرة الجنوب 128

الماضي 131

–12. الذهاب إلى حيث لا يدري أحد 133

Twitter: @ketab_n

–11. المحطة الحديدية 145
–10. أخطاء ومصادفات........ 150
–9. المَردة........ 158
–8. جواز سفر إلى المستحيل 164
–7. هروب نموذجي 167
–6. فكرة براقة........ 172
–5. شارع بابلو بيكاسو 178
–4. موعد في باريس........ 185
–3. الخائن........ 192
–2. المنزل الجوال........ 204
–1. التحكم في العملاق 213

المستقبل 219
1. غزو النجوم 221
2. لجنة الاستقبال 227
3. حانوت المفقودين........ 237
4. نحو الشمال........ 244
5. المرصد........ 247
6. الحارس 254
7. المدينة الميتة 262
8. صابرون نفد صبرهم 274
9. الآلة المميتة 279
10. هدم وإعادة بناء........ 287
11. الدراجة الحمراء........ 293
12. كلمات حرة........ 298

Twitter: @ketab_n

الحاضر

نريد أن نغني حبّ المخاطرة
وتبنّي الحيوية والمجازفة.

إعلان الحركة المستقبلية

«صحيفة لوفيغارو»

20 فبراير 1909

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

20. الدرّاجة الصاروخية

كان جدّ أوتوّ إذا أراد أن يشعر حفيده بتميزه، ينصحه بأن يحاول القيام بأمر عسير؛ لأن الأمور اليسيرة ينجح الجميع في القيام بها.

وربما لأجل ذلك أقدم أوتّو فولجوري بيروتي في ذلك اليوم، وعلى متن الدراجة التي امتلكها جده ذات يوم، على فعل أمر عسير للغاية حقاً. كان عليه أن يقود الدراجة بكل ما أوتي من قوة حتى يبلغ الجسر الصغير، وهناك، وقبل أن يعبره بلحظة واحدة، وجد في نفسه الشجاعة الكافية ليقفز. كان بمقدوره، وبقفزة جيدة، الهبوط فوق درب القناة الصغير، على مبعدة خمسة أمتار إلى أسفل.

بدا أمراً جنونياً أكثر منه عسيراً، لكنه سبيله الوحيد أيضاً إلى الهرب من عصابة المدرسة الثانوية.

لم يتسنَّ له وقت طويل للتفكير: فقط ما تستغرقه ثلاث دورات لمدوس الدراجة من وقت.

واحدة.

اثنتان.

ثلاث.

بلغ الجسر الصغير. والآن عليه أن يقرر، لم يكن متيقناً من أن جده سيفخر به، لكن لا يوجد وقت لسؤاله عن ذلك.

اندفع بغتة، وقفز.

قبل ذلك بلحظات كانت عصابة المدرسة تطارد أوتو على الدراجات النارية طيلة الطريق العام، الذي يمتد من برج بيزا المائل إلى جبال سان جوليانو،

Twitter: @ketab_n

وفي اللحظة التالية كان يحلق فوق القناة.

ويدير إطار الدراجة في الفراغ.

أبطأ صبية المدرسة المسرعون في إثره المطاردة في دهشة.

صاح أحدهم: «مجنون!».

«انتبه».

«لقد سقط في القناة!».

وآخر: «لا لم يسقط! لقد فعلها عمداً! إنه... يقفز فوقها!».

صرخوا بعبارات أخرى لم يسمعها أوتّو.

كان يحلق فوق مياه القناة الراكدة والعكرة، ومشهد جبال بيساني الجانبي يمتد أمام ناظريه، وآلاف الأفكار تتسارع في رأسه، وهو يدير الإطارين في الفراغ.

فكّر في صبية عصابة المدرسة الذين يتابعونه بأبصارهم من طرف الطريق العام، جالسين على دراجاتهم النارية السخيفة. فكر في الطريق إلى منزله الذي يرتفع إلى أعلى بين غابات الجبال محاذياً قنوات المياه القديمة، والدير. ومع الدورة الأخيرة فكّر في أنه لم يكن ديراً قط، ولكنهم اعتادوا في البلدة على وصفه بذلك.

انتهت الأفكار.

هبط مُصدراً دوياً حديدياً، طرقت السلسلة على عجلتي ناقل الحركة المسنّنتين. وثب المدوسان والإطاران في ذهول. ثم أصدر دوار الدراجة أنيناً أشبه بحيوان جريح.

بام!

ارتطم أوتّو بالمقعد، وشد على المقود، ونجح بطريقة مّا في الحفاظ على

Twitter: @ketab_n

توازن الدراجة فوق الدرب الصغير. واصطدمت حقيبة الكتب الدراسية بظهره مثل السوط.

بام!

لكنه فعلها: قفز فوق القناة، تاركاً مسافة لا بأس بها بينه وبين مطارديه! لم ينظر خلفه. سمعهم يطلقون دراجاتهم بقوة، ويكبحونها، ويناورون بها وسط صرخات منبّهات السيارات. كانوا يحاولون بلوغ التقاطع حيث يبدأ الطريق الصغير الذي هبط عليه، خلف الجسر الصغير بمئتي متر.

أوقف أوتّو الدراجة، وتطلع إلى مياه القناة وراء درب أشجار الزيزفون. كانت كثيفة، ومظلمة، وموحلة، وخلفها تبدو بعض المنازل الخشبية الصغيرة، وبعيداً، في مواجهة الجبل، يمتد الطريق الصغير محاذياً كهف رخام مهجور. ومن موقعه ذلك، كان بإمكان الصبي أن يرى هياكل الماكينات الصدئة المهملة، كما لو كانت زرافات حديدية. بدأ في تدوير مدوسي دراجته بأقصى سرعة. كانت السلة أعلى الغطاء المعدني الخلفي تهتز بعنف، وتقعقع كما لو أنها على وشك الانفصال بين لحظة وأخرى، وربما كانت كذلك بالفعل، لكن لم يتسنَ لأوتّو الوقت لفحصها.

كان بمقدوره فقط أن يرجو، ويأمل أن تتحمل دراجة جده البيانكي القديمة، التي تعود إلى عام 1958، تلك القفزة الأخيرة، وأن يظل الدوار الحديدي القديم، الذي حمل آثار عدد السقطات اللامتناهي، قوياً كما هو. كانت السلسلة تدور على العجلات المسنّنة، والمدوسان يرتفعان ويهبطان مدفوعين بقوة ساقيه.

اندفع إلى جوار الأشجار، وهو يشعر بسلسلة من دفقات الهواء تتحكم في إيقاع سرعته. ومن بعيد سمع ضوضاء دراجة نارية. التفت، لكنه لم يرَ أحداً.

Twitter: @ketab_n

لماذا لا يَدَعُونني ببساطة في سلام؟ تساءل.

اندفع أوتّو بقوة أكبر، وقدماه لا تتركان المدوسين. كان درب القناة الصغير يمتد مستقيماً، غير منتظم المهاد، وإلى يساره ترتفع أشجار الزيزفون.

كان قد وصل تقريباً إلى الكهف.

تجاهل، خلال انحنائه على المقود، جعجعات وأنين الدراجة المتواصل. بلغ الشبكة الصدئة التي تحمي الكهف، وآثار سحابة من الغبار فوق الجزء الأخير من الحصى والتراب، ثم توقف بغتة أمام فتحة غير مستوية في الشبكة. كانت فتحة لا تسهل ملاحظتها، فقد غُطيت في أُغلبها بأغصان القطب والمستكة. وثب أرضاً، ودفع الدراجة جانباً ممرراً إياها أسفل الشبكة، ثم ألقى بنفسه على الأرض. وفعل الشيء ذاته زاحفاً. تسلل بين أجمات البطم. وتوارى على الجانب الآخر، محتضناً الدراجة، خلف مستودع معدني منخفض، تكسوه طبقة خارجية صدئة كما لو كان قطعة من الجبن.

تذكر في تلك اللحظة فقط أن يلتقط أنفاسه. تنفس، وحقيبته تلتصق بالمستودع المعدني، وعيناه تتجهان صوب السماء الزرقاء، الصافية، فاغراً فمه، يحاول التقاط أكبر كم ممكن من الأكسيجين.

تباطأت أنفاسه، وهدأ شيئاً فشيئاً.

لم تمر سوى ثلاث دقائق، أو أربع، وارتفع طنين الدراجات النارية أكثر، ثم أصبح صفيراً مدوياً، وأخيراً صار زئيراً. تمنَّى أوتّو أن يختفي، وأغمض عينيه.

وصلت الدراجات النارية، وأسرعت، واختفت كحشرات مزعجة. ظل أوتّو مغمض العينين لبضع ثوان حتى تيقن تماماً أنه آمن. أحصى الدقائق. لقد بلغ مطاردوه الآن، وبدون شك، تقاطع بابيانا وسان جوليانو، وهم يقررون أي اتجاه سيسلكون.

Twitter: @ketab_n

بدأ أوتّو في الضحك ببطء، جالساً على الأرض، وثيابه ملوثة بغبار الكهف المهجور الأبيض. بدأت الضحكة عصبية، ثم شيئاً فشيئاً صارت سعيدة وراضية.

«ها قد فعلتها، يا جدي» ضحك متصالحاً لأول مرة مع يومه.

وبعد أن هدأ، أخذ يحصي الأضرار. دُمرت سترته السيجور روز[1]، تمزق الرسم الذي يزينها بينما كان يزحف على بطنه، ومزق سيخ حديدي مشد حقيبته الذي علق عليه شعارات «مفقود»، ومشجّعي تشارلز داروين.

كان يُعنى بها بشكل خاص؛ لأنه ابتاعها مستعملة من موقع سفوتا سوفيتا دوت كوم.

بدت الدراجة في حال أكثر سوءاً؛ تسببت القفزة في انفصال محور الإطار الخلفي.

«إذن وداعاً يا صديقي» تمتم أوتّو مداعباً الإطار اللامع الكبير ذا الثماني والعشرين بوصة.

كانت السلسلة تتراقص في دورانها مصدرةً صريراً خفيفاً كل نصف دورة، لكنّ قليلاً من الزيت كان كفيلاً بإعادتها إلى حالتها. وعلى النقيض بدا أن مثبتيْ الفرامل الخلفية قد أضيرا بشدة؛ كانا يصدران صفيراً على الإطار، وبالكاد يقومان بأي شيء آخر. إنها مشكلة حقيقية؛ لأنه كلما ذهب إلى البحث عن بعض قطع الغيار لتلك الدراجة، أنفق ما يفوق ثمن دراجة مونتاتين حديثة لها دوار من الصلب وتقنية فريدة.

أحصى عدد الخدوش التي أصابت دوار الدراجة في هذه المغامرة الجديدة، ثم اعتلى مقعدها مصدراً تنهيدة منتصر.

---

(1) فرقة موسيقية من أيسلندا. (المترجمة)

Twitter: @ketab_n

حيا الزرافة المعدنية، التي ترتفع فوقه في مشهد كئيب تماماً؛ إنها منزلق مائل ذو آلة دوارة توقفت عن العمل منذ سنوات. في الماضي كانت تحمل بعيداً الأحجار المقطّعة في الكهف.

شكرها على حمايته، وترك سحابة خفيفة من الغبار الأبيض ترتفع خلفه واتجه صوب الجبال.

Twitter: @ketab_n

19. فيلاّ فوجوري

كان للشبكة المعدنية التي تحيط بالكهف القديم فتحة أخرى. دلت بقايا ريش الحمام العالقة بها على أن أوتّو ليس أول من يكتشفها. انسل منها مع دراجته، وبلغ الطريق العام الذي يمتد في انحناءات واسعة بمحاذاة أطراف جبال بيساني، انحرف يساراً مديراً المدوسين بحذر حتى بلدة بابيانا.

اخترقها منتبهاً إلى تقاطع الطرق الأول، وتجاوز إشارة المرور، ثم اندفع نحو درب معصرة الزيتون. وعندما بلغها سلك درباً يمتد يساراً، وبدأ في الصعود بين الغابات. لم يعد بدراجته ما يؤهلها لاجتياز المشاق، لذا اجتاز كل المنعطفات المتبقية التي تفصله عن منزله، وقدماه فوق المدوسين. كان هناك صعود وحيد بين الغابات التي يقطعها منحدر خفيف يمر قريباً من مبنى الدير الغريب، وهو منزل قديم مهجور منذ أعوام طويلة.

ترك في بداية المنحدر الصغير المقود، وحافظ على توازنه فوق المقعد دون أن يستخدم يديه، مستمتعاً بذلك الهواء المنعش القليل بين صخب الغابة. ولج الدرب أسفل سلسلة من أقواس مجرى مائي قديم، ثم عاود الصعود بين أشجار السنديان.

خفتت ضوضاء الطريق العام، والوادي، والبلدة، وأخذت في التلاشي شيئاً فشيئاً. كان يتردد بين الأشجار صوت تغريد الطيور، وجريان نهر صغير.

بعد منعطفين آخرين، لاحت في الغابة بوابة حديدية، تتألف من عمودين تلتف حولهما في شكل حلزوني أسياخ معدنية وهياكل الصواعق ثم تتشابك في قوس يرتفع أعلى الطريق. وفي منتصف القوس، نُقش حرفا «أ» متعانقين، وهما الحرفان الأولان لاسمي جدّي أوتّو اللذين ابتاعا المنزل، وكُتب أسفلهما

Twitter: @ketab_n

بحروف من الحديد البارز.

«فيلاّ فولجوري

لا ملجأ من الصواعق»

اجتاز أوتّو البوابة، وأوقف الدراجة في ظل باحة تغطيها أغصان الأشجار تماماً. وفي مستودع المنزل وقفت سيارتان: المرسيدس البيضاء التي تخص والديه، وميني فان ذات لون قرمزي داكن، تحمل لوحة ليفورنو، لم يرها أوتّو من قبل. كان النهر الصغير الذي يسري صوت جريانه في الغابة، يجري عند حافة الفناء، خلف حائط صغير منخفض من الحجارة المكسوة بالطحالب. وفي الجانب المقابل تفضي الباحة إلى ممر صغير من الحجارة المستوية، وأزهار سن الأسد[2] تميل عليها باقات من السوسن، وزهور الردم.

إنه منزله.

ترتفع فيلا فولجوري في نهاية الممر؛ منزل قديم، وضخم من الحجارة ابتاعه سلفه أتامنتي فولجوري بيروتي، جد جده، في أوائل القرن الماضي: مبنى من ثلاثة طوابق، مستقيم الزوايا، وبسيط تكسو واجهته النباتات المتسلقة، وتطل نوافذه الخضراء على وادي بيزا، ويبدو منها، على مبعدة، البرج الشهير، وفي الأيام الصافية، يظهر، إلى اليسار، بريق البحر البعيد.

عَبَر أوتّو الفناء سريعاً أمام منزله، ووَلَج الباب الذي يعلوه القوس في الطابق الأرضي. اجتاز صمت الجدران الحجرية السميكة، وهرول صعوداً إلى غرفة نومه آملاً ألا يدرك وصوله أحد.

كان الصمت بليغاً.

أغلق الباب خلفه، وأخرج كتبه، وأخفى الحقيبة، والسترة المضرّرتيْن أسفل

---

(2) أزهار تنتمي إلى الفصيلة النجمية. (المترجمة)

Twitter: @ketab_n

الفراش. هل كان الحر شديداً في الغرفة، أم أن العرق لا يزال يتصبب منه بشكل مبالغ فيه؟

اتجه إلى النافذة، وفتحها. سقط الضوء على طاولته المزدحمة بالمفكات، والمطارق، والملاقط، والكلابات، والعجلات المسنّنة، وقطع من الدراجة، وأجزاء كاملة من الغسالة التي تحطمت منذ عام، ومولد كهربائي، وكماشات صغيرة، وأسلاك ملفوفة. وتتدلى أسلاك نحاسية من دعامات ثبتت في لوح من الفلين، يعلق عليه ما سيقوم به من أعمال.

أطل من الشباك، وملأ رئتيه من هواء الريف العبِق لكنه لم يتمكن من تهدئة روعه. يوجد شيء غير مألوف في هذا الصمت الذي أحس به في الطابق السفلي. كان صمتاً لا تنبغي مقاطعته.

طرق أحدهم الباب. فعلها بخفة شديدة لكن أوتّو وثب من مكانه.

«لحظة» صاح، وهو يرتدي سترة أخرى.

كانت والدته.

لم تقل شيئاً.

ظلت تراقبه في صمت بعينين لامعتين.

فقط عندئذٍ، ولأول مرة منذ عاد إلى المنزل، أدرك أوتّو ما يحدث. ميَّز هيئة الطبيب في نهاية الرواق المظلم، ورآه يتبادل حديثاً مع والده.

ميني فان تحمل لوحة ليفورنو.

«لا» صاح وقد بدأ قلبه يدق بعنف.

«لا يمكن أن يحدث».

دفع والدته وهرع إلى غرفة الجد.

Twitter: @ketab_n

18. التحية الأخيرة

كانت الغرفة تسبح في قيظ شديد. لا تتسرب عبر المصاريع الدانية من النوافذ نسمة هواء واحدة.

كان بريمو فولجوري بيروتي ممدداً على الفراش يغطيه مفرش من الكتان يصل حتى أسفل ذقنه. بدت الرأس الراقدة على الوسادة ككرة من المرمر تلمع فيها عينان صغيرتان.

«جـ - جدي؟» همس أوتّو لامساً بيده الهيكل الخشبي للباب. أصدر الخشب قرقعة. بدا أن أرضية الغرفة غير الثابتة تتمايل تحت قدميه كمخلوق شرير يريد إفقاده توازنه.

لم يجب العجوز بشيء. بدا أن الفراش، والغرفة، وصدر جده في حالة جمود.

أوه، لا.

لا يمكن أن يحدث أبداً. ليس في هذا اليوم، ليس بعد ما استطاع فعله بالدراجة، ويريد أن يقصه عليه.

لم يحن الوقت بعد. فكر أوتّو. يمكنك المقاومة، يا جدي.

خطا نصف خطوة إلى الأمام، وابتلعه ظلام الغرفة. تفوح رائحة الكحول المطهرة القوية، والأدوية المفتوحة، والرائحة العذبة الخفيفة للعجائز الذين يُعتنى بهم في الفراش.

كان الجد يثبت عينيه تجاه السقف. إنه مشهد يصعب احتماله لكن أوتّو تشجع. بلغ الأريكة المجاورة له، ودعاه مرة ثالثة.

ثم فكر: *ستلتفت الآن نحوي، أليس صحيحاً، يا جدي؟ ستلتفت نحوي*

Twitter: @ketab_n

وتبتسم. وسأقص عليك حكاية قفزتي فوق القناة.

كان مقتنعاً بأن الجد سيقوم بذلك. كانت الصلة بينهما تتجاوز الاتصال الشفهي، إنها صلة استثنائية تعتمد على النظرات، والتفاهم بأقل الإشارات والأرقام، والألعاب، والشطرنج، والأحجية، والحيوانات، ومعرفة كافة أسماء النباتات اللاتينية. وكثير من الاهتمامات المشتركة التي نقلها الجد إلى أوتّو، والتي لم يفرغ هو من تعلمها بعد.

استندت يد الصبي ببطء إلى الغطاء الكتاني، وهي ترتجف تقريباً. شق إحساس بارد بالفراغ طريقه في تلك الغرفة شديدة الحرارة، وتسلل إلى ظهر أوتّو، وبدأ في الزحف داخله كثعبان.

ضغط بخفة على حافة الفراش. «جدي»؟

انتفض بريمو فولجوري بيروتي بغتة. وأدار رأسه متطلعاً إلى حفيده.

انزلقت الحية الجليدية إلى الأرض، أو ربما ببساطة هكذا، ذابت. أطلق الصبي تنهيدة عميقة. شعر بغصة في حلقه. وتمتم شيئاً ما مثل: «تباً يا جدي. ظننت أنك...».

وكإجابة شافية، ابتسم العجوز في وهن، ورفع يده، وأشار برقم ثلاثة بأصابعه.

«ثلاثة؟» سأل أوتّو. «ثلاثة ماذا؟».

ابتسم بريمو. وكرر الإشارة مرتين.

«ثلاثة، ستة، تسعة...».

صارت الأصابع أربعة.

«أربعة».

ثم ثلاثة مجدداً، وأشار بها مرتين.

Twitter: @ketab_n

عندئذٍ فهم أوتّو مبتسماً بدوره. ثلاثة، أربعة، ستة...» ردد بصوت مرتفع. «ثم ثلاثة مجدداً. أليس صحيحاً؟».

أنزل الجد يده منهكاً وراضياً. أغلق عينيه، وفتحهما مرة أخرى، كما لو أن تلك الحركة البسيطة تكلفه عناءً ضخماً.

اقترب أوتّو من الوسادة، وقال: «تسعة آلاف وأربعمائة وثلاثة وستون مليار كيلومتر في السنة... سرعة الضوء... سرعة عائلة فولجوري».

أدار الجد رأسه. كان جلد عنقه شفافاً تقريباً. رفع حاجباً، في حيرة.

«أو جزء كبير من عائلة فولجوري على الأقل» ضحك أوتّو متيقناً تماماً من رأي الجد بخصوصه.

لكن تلك الغصة لم تزُل من حلقه.

استكان بريمو، ثم فعل شيئاً غريباً: نظر إلى أوتّو كما لم يفعل من قبل، كما لو أنه يلخص في تلك النظرة كل الأشياء التي لم يقلها بعد، والتي أمل قولها. وكانت تحمل الإجابات عن كل الأسئلة التي لم يطرحها أوتّو بعد. مرت في عيني بريمو ليلة القديس لورينزو في العام السابق، عندما استلقيا على قمة أحد التلال يحصيان الشهب، وحملت كتب النباتات والحيوانات التي قطعا بصحبتها كل أرجاء ودروب الغابة، والأرقام التقليدية، وغير المنطقية، وإحداثيات ومسافات الفضاء اللامتناهي، وحملت كل الأصفار التي كان بإمكان أوتّو أن يتخيلها واحداً تلو الآخر.

مر بهما كل ذلك وأكثر، وأخيراً قال الجد بصوت واهن: «افتح العلبة».

ظن أوتّو أنه أخطأ السمع. «أي علبة يا جدي؟» سأله.

لكنه لم يجب.

انطفأت عينا الجد بغتة.

Twitter: @ketab_n

وعلى وجهه ظل شبح ابتسامة.

لكنها اكتست بالبرود...

Twitter: @ketab_n

17. في مثمن الكتب

صمت.

خطوات.

ضوضاء.

أصوات.

ظهرت بغتة، من خلف كتفيْ أوتّو، وقد برزت من ظلام الغرفة. امتدت إليه يدا والدته في غرفة النوم، وانتزعه صوت والده سيسيفو من الوسادة.

«اذهب يا أوتّو. اذهب إلى أسفل من فضلك. يجب أن يصعد الطبيب».

تراجع أوتّو حتى بلغ الأريكة. شعر تحت أصابعه بملمس المخمل البالي، حيث قضى جده أوقاتاً طويلةً غارقاً في القراءة، حتى أن آثار جسده قد انطبعت عليه، ثم سمع صوت الباب يقرقع كبوابة عبور إلكترونية. رأى والدته تنتحب وتردد: «لم أرد أن تراه هكذا. لم أرد. كان هو من دعاك يا أوتّو. يؤسفني ذلك».

عاد الصبي إلى غرفته بشكل آلي. جلس أمام مشروعاته. تطلع إلى تصميمات آلاته. حرَّك كل أدواته من مكانها. أنصت إلى خطوات الأشخاص الآخرين الذين يتحركون في المنزل محطِّمين حاجز الصمت.

«ها هو. فكر». *لقد حدث ذلك في النهاية، ومات جدي.*

كانت عقارب الساعة تشير إلى 14: 14.

«تيك– تاك» قال أوتّو، وابتسم رغماً عنه.

كان 14: 14 رقماً سحرياً يُقرأ بالطريقة ذاتها من الجانبين. كان رقماً يُقرأ طرداً وعكساً.

Twitter: @ketab_n

وكالمعتاد كان جده محقاً: إن الألغاز الكبرى هي في نهاية الأمر محض أرقام.

ثم بدأت عقارب الساعة تتسارع. أراد أوتّو أن يظل حبيس غرفته كشيء منسي، أراد أن يبكي لكن لم يُتح له الوقت؛ ازدحمت الفيلا بحركة أشخاص جيئة وذهاباً فلم يتمكن من تحقيق ما أراد.

وصل الأقارب، والأصدقاء، والكثير من الغرباء الذين توافدوا من شتى أنحاء إيطاليا لإلقاء التحية الأخيرة على جده.

لماذا يبدو مهماً هكذا إلقاء التحية على مَن لم يعد بمقدوره تلقيها؟

ممدداً على الفراش، ومرتدياً ثيابه بالكامل، سمع أوتّو ضوضاء السيارات التي تصل بمشقة إلى الباحة المظللة، والجلبة التي تصاحب صعود الدرب الصغير وصولاً إلى مدخل الفيلا، والعبارات المعتادة التي تتردد في الهواء في أوقات مختلفة.

«كيف حدث؟».

«هل كان مريضاً منذ فترة؟».

«كانت لديه عزيمة حديدية».

«وعقل لامع!».

«لكنه كان عجوزاً».

« البروفيسور فولجوري بيروتي! أتعرف ماذا أتذكر من فترة زمالتي له في المدرسة العليا...؟».

كان أوتّو ينام، ويصحو على وقع تلك الأصوات دون أن يميز بين الحقيقة والحلم. وبغتة خطر له، وقد جن من الفرحة، أن جده لا يزال في صحة جيدة، وأن كل ذلك نتاج خياله، لكن ما إن خرج من الغرفة، حتى بدد ضجيج

Twitter: @ketab_n

الأشخاص الذين يدخلون، ويخرجون من المنزل كل وهم في رأسه. وفي قاعة الاستقبال الكبرى حيث لعب معه الشطرنج، كان يوجد نعش مفتوح.

..*«آكل أنا أم تأكل أنت. في شطرنج الحياة لا يوجد تعادل. وحتى لو حركت أنت أولاً، لا تفوز في النهاية»*.

عندما خرج من مخبئه، كان أوتّو يرتدي الثياب التي أعدتها له والدته للسهرة. كانت لا تزال هناك زمرة من رجال ونساء متأنقين، يقف بعضهم على درجات السلم، ويجلس آخرون على الأريكة، والمقاعد في الحديقة حيث لا يجلس أحد أبداً، بينما يتنقل آخرون في الغرف المجاورة لغرفة الجد.

مَن هم كل أولئك الناس؟

تجنب أوتّو الحديث مع أي أحد، وانسل كظل في الرواق مرتدياً ثياباً ذات لون بني داكن، وتسلل إلى آخر غرف الطابق الأول، حيث مكتبة فيلا فولجوري مثمنة الأضلاع. كان يأمل في أن يجدها خاوية.

إنها غرفة مميزة حقاً؛ ليس بها حائط يمتد مستقيماً، بل زوايا جدران تكسوها أرفف كتب أعدت وفقاً لمقاييس خاصة. وفي المنتصف يوجد مكتب كبير، وضع أمام مدفأة رُسم على جدارها حرفا «أ» اللذين يخصان سلفي العائلة، ويفصل بينهما صاعقة حمراء نارية. وتطل على السهل المنبسط نافذة ذات بروز مستدير، وشرفة زجاجية، وُضعت فيها بعض الأرائك المغطاة بالوسائد.

كانت المكتبة أشبه بسطح سفينة حيث يسهل نسيان الوقت، وقضاء ما بعد الظهيرة في القراءة، والتخيل.

عندما ولجها، باغَتَ أوتّو –لخيبة أمله العظيمة– رجلٌ يراقب بهدوء، وهو يدير ظهره إلى الباب، الحرفين الأولين فوق جدار المدفأة الضخمة المطفأة، واللوحة المعلقة أعلاها.

Twitter: @ketab_n

عض أوتّو شفتيه، كان يعرفه؛ رآه من قبل يتجول في المنزل، وشعر بأن جده يمقته. ماذا يفعل إذن في تلك الغرفة؟

تذكر أوتّو اسمه: إنه الكونت ليجوانا، ينحدر من سلالة إيطالية نبيلة قديمة.

بدا الكونت رجلاً طويلاً، وجذاباً في الضوء الذي يتسلل من الشرفة الزجاجية ويسقط عليه جانبياً. كان شعره مدهوناً، وخطه الشيب، ومصففاً إلى الخلف، يظهر صرامة الوجه، والفك المربع، والأنف المعقوف. لا أحد يعرف في أي مجال يعمل، لكن الجميع يعلم أن ثروته كبيرة.

راودت أوتّو الرغبة في التسلل خارج المكتبة، قبل أن يلحظ وجوده، لكن إيحاءً بالطمع بدا في الطريقة التي ينظر بها الكونت إلى ممتلكات عائلته، خلق بداخله الرغبة في الدفاع عنها. وهكذا أغلق الباب بدفعة جعلت الكونت يستدير.

تقوس حاجب الرجل في تعالٍ. «آه، إنه أنت، بيروتي الصغير، لم أسمعك تدخل يا صغيري، يؤسفني ما حدث لجدك».

كاذب. فكر أوتّو.

توقف الكونت عن التحديق في اللوحة التي تعلو المدفأة، وقال:

«أتخيل أنك حزين للغاية. يمكنك الحديث معي، إذا شئت».

عم؟ تساءل أوتّو. اقترب دون أن ينبس بكلمة واحدة من الكرة الأرضية الخشبية الكبيرة في زاوية المكتبة، وبدأ في إدارتها.

فررر...

فررر...

فررر...

Twitter: @ketab_n

«هل أعطاك إياها؟

«معذرة، ماذا؟».

ابتسم الكونت. «كنت أظن أنها قد وصلت إليك الآن».

«لا أعرف عن أي شيء تتحدث يا سيدي». أجاب أوتّو بلطف.

أشار الكونت بيده إشارة غير محددة. «لقد نسيت، ربما أنت صغير للغاية على بعض الأشياء».

«أنا في الثالثة عشرة من عمري يا سيدي. لقد أتممت الثالثة عشرة..» حدد أوتّو بدقة.

«بالضبط، إنه ما أقول. لا تزال صغيراً للغاية. حتى أن...» ركز أوتّو على الكرة الأرضية منزعجاً من الصمت الذي تلا ذلك. «حتى وإن... من كيفية حديث الجد عنك، كما لو أنك فولجوري بيروتي حقاً...» رسم الكونت بأصابعه مهراً صغيراً يقفز في الهواء. «في عائلة فولجوري يسقط جيل دائماً من الحسبان. وهكذا كان يقول دائماً. هوب! تختفي!... ثم هوب! تعود!».

ولسبب ما اشتعل أوتّو غضباً، لكنه لم يقل شيئاً.

تقدم الكونت ليجوانا لامبالياً بين أرفف المكتبة مقترباً من الصبي. «وربما ليس الأمر كذلك هذه المرة؟ ربما لم يكن يثق بك تماماً ولم ينقل إليك سر العائلة؟» لاحقه، وشفتاه مضمومتان في ابتسامة خبيثة.

«افتح العلبة» فكر أوتّو. أبعد نظره في تلك اللحظة، وقد مسه الشك، وكرر في تصميم: «لا أعرف عن أي شيء تتحدث يا سيدي، لكنني أعتقد أن لدى جدي أسباباً وجيهة».

«بالطبع، بالطبع» قهقه الرجل ممرراً سبابته ذات الظفر الحاد على خشب الكرة الأرضية. «أسباب وجيهة وتعليمات جيدة».

Twitter: @ketab_n

علت الضوضاء، وانفتح باب المكتبة المثمنة مجدداً. ظهر عملاق أصلع، ضخم، وقوي، يرتدي السواد بالكامل، ونظارة داكنة تغطي عينيه. قال الرجل: « السيارة على أهبة الاستعداد يا سيدي».

أومأ الكونت ليجوانا. «شكراً كاليبانو». رفع إصبعه عن الكرة الأرضية وأسنده، كما لو كان فوهة مسدس، إلى جبهة أوتّو. «هاتفني، إذا حدث شيء» همس مبتعداً مع وقع خطوات حذائه الفرساني المرتفع. «إلى اللقاء يا صغيري».

ظل أوتّو إلى جوار الكرة الأرضية، ونبضات قلبه تزداد قوة. انتظر بقاءه بمفرده، ثم ضرب براحة يده على الأرفف أمامه، وقال: «دنيء، مغرور، مدع، متعجرف».

سقط على الأريكة الجلدية، ثم أطلق العنان لمشاعره وانفجر باكياً.

انتحب طويلاً.

Twitter: @ketab_n

16. العلبة المنشورية

ثلاثة أيام.

في الأيام الثلاثة التالية عاش أوتّو في قلق يعذبه الفراغ الذي تركه الجد. لم يؤثر فيه واقعياً أي شيء، ولم يثر اهتمامه شيء، حتى إن مطارديه بالدراجات النارية قد توقفوا عن ملاحقته، كما لو أنهم قد أدركوا ضرورة إعطائه لحظات من الهدنة.

كان يقود دراجته مصدراً صريراً حديدياً من المنزل إلى المدرسة، ومن المدرسة الى المنزل دون أن يجرؤ أحد على الاقتراب منه. لم يسأله أحد، ولم يبلغه أحد أي شيء ذي أهمية. كان يفكر ليلاً في جده، وفي كلمات الكونت ليجوانا في الصباح الباكر عندما يهب مستيقظاً.

وقد تحقق لثلاثين مرة على الأقل من عدم اختفاء شيء من المكتبة المثمنة.

وفي الحديقة كان يراقب الوزغات تستقبل الشمس فوق الجدران.

بعد خمسة أيام من الجنازة، وصل محامي جده على متن «الفسبا». كان يحمل حقيبة جلدية ضخمة. هو شاب في الثلاثينيات، التصق شعره ببعضه بفعل الخوذة، ويتصرف ببساطة، وعجلة.

«لا بد أنك أنت أوتّو...» حيّاه، واضعاً المسند على الفسبا.

«وسيادتك المحامي راينري...» أجاب الصبي، ناظراً إليه أولاً ثم إلى الفسبا. كانت عتيقة الطراز حقاً.

«إنها قديمة الطراز تعود إلى السبعينيات، كان أبي يصطحب عليها أصدقاءه...» وافقه المحامي. «لكن لكلٍّ منا هواياته.. أليس كذلك؟».

«إنها تعجبني كثيراً» أقر أوتّو متابعاً بنظرة خبيرة الهيكل الضخم المستدير

Twitter: @ketab_n

والخمس سرعات اليدوية. ووجد أنه من الطبيعي أن يقع اختيار جده على محامٍ كهذا.

«أتروقك الدراجات النارية؟».

«أجل حقاً» أجاب أوتّو. «أهتم بشتى أنواع المركبات».

« إذا أردت، يمكننا القيام بجولة في ما بعد...».

حكّ أوتّو رأسه «من الأفضل ألا نفعل. لا أعتقد أن أمي ستوافقنا».

ثم إنني لم أعد أستطيع الاستئذان من جدي. أضاف في ذهنه.

صعدا إلى المكتبة المثمنة حيث تبعهما والدا أوتّو. كانت الأم كارلوتّا قد وضعت طبقة سميكة من مساحيق التجميل، لكنها لم تستطع إخفاء الوجه المتألم، أما الأب سيسيفو فبدا خارجاً لتوه من المكتب (وربما كان كذلك بالفعل)، بسترة وبنطلون كحلي، وربطة عنق صفراء مرقطة. كان يبدو متأهباً للجلوس خلف أحد النوافذ، وسؤال المحامي عن نوعية العملية البنكية التي يرغب بها.

جلسوا. حملت كارلوتا صينية فضية عليها إبريق من الشاي البارد مع الثلج.

«سادتي، يؤسفني كثيراً مجيئي إلى هنا لدافع كهذا» بدأ المحامي رانيري بعد أن احتسى الشراب المنعش. «لأن هذا المنزل يعتبر أيضاً مكاناً ساحراً حقاً. لكنه عملي...» وفتح حقيبته.

نظرت كارلوتّا إلى الزوج أولاً، ثم إلى ولدها. «أوتّو ربما سيكون من الأفضل أن...».

«لا» تدخل المحامي رانيري. «أعتقد أنه من الأفضل أن يظل الصبي معنا. إنها رغبة الجد». ثم أخرج من الحقيبة مجموعة من الأظرف المختومة، فتح

Twitter: @ketab_n

أحدها بقاطعة الورق الموجودة إلى جواره، وأخرج ورقتين مطبوعتين.

ورغم أنه لم يرَ والده يسكب دمعة واحدة حتى الآن، أدرك أوتّو أن عينيه تلمعان، فلقد تعرف على الخط الموجود على الظرف، وحروف الآلة الكاتبة. إنها حروف ماكينة الجد أوليفيتّي التي تعود إلى عام 1978، وهي الوحيدة التي كان يستخدمها، تقبع الآن إلى جوارهم فوق المكتب.

تنحنح المحامي رانيري. وانطلق، بدون تردد، في قراءة رغبات الجد الأخيرة، مبدياً الاحترام اللازم.

«أبنائي الأعزاء... إذا كنتم تسمعون هذه الكلمات بصوت المحامي رانيري، فإن هذا يعني أن دوري قد حان أخيراً».

لاحت على شفتي سيسيفو ضحكة صغيرة، ثم بدأ في قضم أظافره. وعقدت كارلوتّا ذراعيها، وجلست على حافة المقعد، وهي تتأرجح إلى الأمام.

«إذن، دعونا نربح الوقت. وأنت، يا كارلوتّا، يجب أن تكفي عن الجلوس على حافة ذلك المقعد وإلا حطّمتِه عاجلاً أم آجلاً».

تجمدت كارلوتّا مندهشة: «لكن كيف...؟».

«وأنت يا ولدي، ابصق طرف الظفر لأنك تشعر بالقلق بالتأكيد. لا توجد مفاجآت. أنا أعلنكم ورثة دائمين لجميع ممتلكاتي، بما في ذلك فيلا فوجوري».

تصلب والد أوتّو أيضاً، ثم أسند ظهره إلى المقعد. ابتسم أوتّو؛ كم كان الجد يعرفهم جيداً!

«كل ممتلكاتي إلا أحدها..» أضاف المحامي مثيراً توترهم. «والذي أنوي تركه إلى حفيدي».

بدأ المحامي رانيري في البحث داخل الحقيبة، وأخرج منها علبة صغيرة

Twitter: @ketab_n

من الورق المقوى مربوطة بخيط، دمغ بالشمع الأحمر، ونقش عليها تلك الأحرف «ب ف ب». ويوجد خطاب مغلق يتصل بالخيط ذاته، وقد دمغ هو أيضاً بالشمع الأحمر.

ما إن رآها أوتّو، حتى سرت به رجفة. «*افتح العلبة*». هكذا همس له جده قبل أن يموت. مد يديه ليمسك بها، وفكر في الوقت ذاته في كلمات الكونت ليجوانا.

.. هل أعطاك إياها؟

أنت صغير للغاية على بعض الأشياء.

ربما لم يكن جدك يثق بك؟

كانت العلبة خفيفة كما لو أنها فارغة، وقبعت بين ركبتي أوتّو كطائر صغير عاد إلى عشه.

«من يدري ماذا ترك الجد لك؟» سألته والدته بصوت خفيض، ممررة يدها على ظهره في حنو.

«أتريد أن تفتحها؟».

أشار أوتّو برأسه راسماً علامة الرفض. سيفعل ذلك وحده، في غرفته.

رانت على الغرفة لحظة صمت طويلة، ثم اختتم المحامي: «لا يوجد خلاف ذلك. إلا ما يشبه شرط الوصية».

«شرط الوصية؟» سأل والد أوتّو منزعجاً قليلاً. بدا وكأنه يخشى في كل رغبة من رغبات والده مفاجأة مزعجة.

«لا يوجد ما يبعث على القلق، يا سيد بيروتي، يرغب والدك في أن تتعهدوا جميعاً، بما في ذلك أوتّو، بعدم التنازل، أو بيع، أو إهداء أي من ممتلكاته، وبشكل خاص تلك الممتلكات التي توجد في هذه المكتبة، أو العلبة التي

Twitter: @ketab_n

سلمتها لتوي إلى أوتّو... إلى شخص غريب لأي سبب كان».

أومأ سيسيفو وكارلوتّا، وشعر أوتّو بعبء يزاح عن كاهله. تعجل المحامي إنهاء الشكليات الأخيرة: توقيعات وأختام، والتي لا بد من تكرارها مرة أخرى أمام موثق عدل، لبدء القيام بالإجراءات الإدارية.

استأذن أوتّو في الانصراف وآوى إلى غرفته. أغلق الباب، وأدار المفتاح، وجلس إلى مكتبه المزدحم بالأدوات، ثم تناول المقص، وقطع الخيط. استعان بسكين صغيرة ليفصل الختم الشمعي دون المساس بأي جزء منه. رفع طرف العلبة المجهولة العلوي، وأمسك بأصابعه، وهو يحبس أنفاسه، شيئاً غريباً له لون أخضر داكن خفيف أشبه بفضة يعلوها الصدأ.

إنه منشور ذو عشرين وجهاً.

إن الشيء الذي تركه له جده هو أحد الأجسام الصلبة الأفلاطونية الخمسة.

يشبه كرة لها عشرون وجهاً مثلثاً.

«مئة وعشرون تماثلاً، ستون دوراناً...» تمتم أوتّو، مسلطاً الضوء على الوجوه المثلثة الواحد تلو الآخر. رأى على كل وجه أرقاماً محفورة كما لو أنه حجر لعب كبير.

«أي شيء هذا؟» تمتم مقلّباً المنشور من كل جانب في حيرة. ثم نظر إلى النوافذ المفتوحة، وقال بصوت خفيض:

«أنت تستمتع بذلك. أليس كذلك؟».

كان واثقاً من أن جده، وإن لم يؤمن قط بالله والعالم الآخر، قريب منه، ويستمتع بما يرى.

Twitter: @ketab_n

15. خطابات ماضية

«مبهَم» صاح أوتّو بصوت مرتفع.

وضع المنشور على الطاولة، ونظر إلى الخطاب المختوم. استخدم المقص كقاطعة ورق، وفتح المظروف. أخرج منه ورقة مطوية ثلاث مرات، فتحها، وقرأ:

فيلاّ فولجوري

الساعة 12:21

عزيزي أوتّو أعرف أنك تكنّ لي من المحبة بالقدر الذي أكنّه لك، لكن لا تبك. أسألك ذلك. أكتب إليك لأشاركك بعض الأفكار المهمة، ولن أستطيع أن أفعل ذلك بالتأكيد إذا كان من يقرأ كلماتي طفلاً تملأ الدموع عينيه.

أحتاج رجلاً، وأنا مقتنع بأنك قادر على أن تكون كذلك أفضل من كثيرين غيرك. لا تهم السنون، لكن العمر يسرقك، وعندما تشيخ، يرد على ذهنك كل ما لم تحققه من أشياء، والأحلام التي تلهب فترة الشباب، ثم- ويا للحسرة- تخفت مع مرور الأعوام. لا أخبرك بذلك لأمارس دور الجد الممل المألوف، لكنني أريدك أن تضع أمام ناظريك دائماً كم يمر الوقت سراعاً، وكم تنقضي بعض الفرص، عندما تحين، سريعاً جداً.

والفرصة لا تعود.

لا تعود أبداً.

لقد كنت رجلاً محظوظاً، عشت بكل ما في الكلمة من معانٍ. عرفت أشخاصاً مثيرين للاهتمام، وعقدت صداقات، وقمت بأبحاث رائعة، لكنني أندم بشدة على شيء واحد. وأترك ندمي ميراثاً لك، إضافة إلى العلبة المنشورية

Twitter: @ketab_n

التي توجد أمامك الآن، والتي لا بد أنك قد عبثت بها قبل أن تقرأ «تعليماتي» الأخيرة.

ابتسم أوتّو. يثبت جده مرة أخرى أنه يعرفه جيداً، ويتخيل الأشياء قبل أن تحدث. علبة منشورية، لاحظ قبل أن يكمل.

العلبة لا تخصني -أكمل الخطاب- لقد أهداها لي جدي (جد جدك) أتامنتي. سلمها لي في الجامعة في عيد مولدي الحادي والعشرين، الذي كان يمثل في تلك الأيام سن النضج. كانت برفقة العلبة بطاقة صغيرة، أكثر إيجازاً بكثير من هذا الخطاب. كانت تقول: «اذهب أنت!» وأياً كان ما يعنيه ذلك، لم أفهمه قط، ولم أسأله عنه؛ لأنني كنت أعرف أنه لن يجيبني أبداً. وطالما اعتقدت أن العلبة تتجاوز كونها جماداً بديعاً، وأن لها وظيفة سرية، وترتبط - رغم أن ذلك قد يبدو لك عبثياً - بلوحته المفضلة، تلك المعلقة في غرفة المكتب، أعلى المدفأة.

إنها لوحة تنتمي إلى الحركة المستقبلية، إذا أردت أن تعرف، وكان المستقبليون زمرة من الأشخاص يحلمون بمستقبل مغاير. ربما أخطأوا السبيل، لكنهم لم يحلموا به بحيوية أقل لأجل ذلك.

ها هو الأمر إذن: أنقل إليك دليل لغز العائلة الصغير. لم يعرف عنه والدك شيئاً قط. والأفضل أن يظل كذلك، كما لم يعرف عنه والدي شيئاً قط أيضاً.

هوب! هوب! فكر أوتّو وقد صعد قلبه إلى حلقه. يسقط دائماً جيل من الحسبان هكذا قال الكونت ليجوانا.

ثم أكمل قراءة الخطاب.

ربما سيحبطك أن تعلم أنني- في حال وجود لغز حقاً- لم أكن قادراً على اكتشافه. ربما ستصل أنت إلى حيث لم أستطع أنا، وحيث أعتقد أن جدّي

Twitter: @ketab_n

أتامنتي وأرميلا أراداني أن أصل. من يدري!

هذا كل شيء يا أوتّو، كل شيء.

اذهب أنت!

واعتنِ بنفسك.

الجد بريمو

Twitter: @ketab_n

14. في منزل الكونت

بدا دير القرتوسيين في كالتشي أبيض اللون تماماً كأحد عظام الديناصور. يقع في منتصف منحدر التل، تحميه دائرة من الأشجار الضخمة. أخذ الكونت ليجوانا، ويداه متشابكتان خلف ظهره، يتفحصه من نافذة غرفة الصالون في منزله العتيق. في الخارج، كان البستانيون ينسقون السياج الهائل الذي يرتفع ثلاثة أمتار، ويطوق ممتلكاته كافة.

طرق أحدهم الباب في تردد، وبما يكفي للتعرف إليه. دعا ليجوانا ولده للدخول. كان رجلاً في الأربعين من عمره، ذا نظرة هادئة، وساحرة، مناقضة لنظرة الأب الحادة والمحتقرة.

«أبي».

«هل جدّ شيء؟».

جلس الرجل أمام طاولة المكتب، وصب لنفسه كوباً من الماء البارد.

«لا... وإذا أمكنني أن أخبرك بما يدور في خلدي، فهي لا تعرف شيئاً على الإطلاق».

هزّ الكونت رأسه وتنهد: «ما تفكر فيه لا قيمة له. أؤكد لك أنها تعرف. واصل الإلحاح عليها».

«هذا ما أفعله. لكنه ليس أمراً هيناً، إنها امرأة ذكية، كما أن تلك اللعبة المزدوجة لا تعجبني بصدق».

«امطرها بالأسئلة!».

«لكن..».

Twitter: @ketab_n

«لا توجد لكن! استمر في الإلحاح عليها، وآتني بمعلومة مفيدة لمرة واحدة!».

«لمرة واحدة؟ وأنت إذن؟» اندفع الرجل.

«بأي جديد أتيت من فيلا فولجوري؟»

«لا تبدأ ذلك».

«هل ابتعت كل أثاث أتامنتي؟ هل اكتشفت ممراً سرياً؟ هل وضعت يدك على هذا الكنز الوهمي؟»

«نحن لا نبحث عن كنز!».

«عمّ نبحث إذن؟».

دق الكونت ليجوانا على الطاولة، مظهراً صوت مفاصل أصابعه واحداً واحداً. «نحن نبحث عن... طريق يا ولدي. طريق رُسم لنا منذ وقت طويل».

ضحك ابن الكونت بعصبية. وضع يداً على صدغه، وقال: «طريق».

اتقدت عينا الكونت. «بالضبط».

«نحن في طريقنا إلى الجنون يا أبي. أؤكد لك. هذا ما نفعله!».

«انتبه لكلماتك!».

«لأي شيء؟ لأي شيء انتبه؟ ربما لم تدرك ذلك يا أبي، لكنني نضجت! لم يعد بإمكانك أن ترهبني بـ... بذلك الوحش الذي يأتمر بأمرك. ليس بعد الآن. يمكنك أن تأمره بقتلي، ربما، لكنني لا أعتقد أنك ستحقق الكثير».

«لا تثرني».

ضرب ابن الكونت بيده على صدره. كان هادئاً، لكنه حاسماً للغاية. «إن لي قلباً، هنا، بالداخل، أتفهم؟ قلب! ولا يمكنك أن تأمره هو أيضاً».

Twitter: @ketab_n

شحب وجه الكونت ليجوانا. «إذن استخدمه، استخدم ذلك القلب، ليعرف شيئاً من تلك المرأة الغبية!».

هزّ ولد الكونت رأسه. «هذه هي المرة الأخيرة التي أسمح لك فيها بأن تدعوها كذلك!».

«وهذه هي المرة الأخيرة التي أسمح لك فيها بدخول هذا المنزل!».

«أنت لا تفهم حقاً. لقد تحول الأمر إلى هوس. هوس حقيقي».

لم يعد الكونت ينصت إليه، اقترب من أحد جدران غرفة المكتب، وضغط زراً يغطيه شباك مذهب صغير، وأزاح إطاراً يخفي بعض الشاشات. وكانت تلك تعرض صوراً لحديقة، وبوابة، وطريق يمتد وسط الغابة.

إنها فيلا فولجوري مصورة عن بعد.

«لأعوام وأنت تقضي وقتك في التلصص عليهم» اختتم الابن. و«في كل تلك الأعوام ماذا اكتشفت؟ لا شيء». حدق طويلاً في ظهر والده. ثم انصرف دون أن يضيف شيئاً.

«إفعل كما قلت لك!» صاح الكونت ليجوانا قبل أن يُغلق الباب.

Twitter: @ketab_n

13. أصل الأرقام

تداخلت في عقله بغتة كلمات جدّه مع كلمات الكونت ليجوانا الغامضة، وشكّلت متاهة لم يعرف كيف يجد طريقه فيها.

كان أوتّو يقطع الغرفة ذهاباً وإياباً كأسد حبيس، متفحصاً العلبة المنشورية الغامضة، الموضوعة فوق الطاولة. ما أهميتها؟

كانت الأرقام المنقوشة على الأوجه غريبة للغاية حقاً. بمقدوره البدء من هنا. نقلها على ورقة، بشكل زوجي، الواحد تلو الآخر. ثم رتبها بطريقة تتيح له وضع الأرقام التي توجد على مثلثات متقابلة، الواحد إلى جوار الآخر.

أما في ما يخص ترتيب الأزواج، فقد وضعها عشوائياً، حيث لا يبدو أن أياً من وجوه المنشور العشرين يتمتع بأهمية تميزه عن الوجوه الأخرى.

1392000—0

4878—87.97

12104—224.7

12756—365.26

3476—365.26

6792—686.98

141700—4332

12000—10759.22

50800—3068564

48600—60195

وماذا إذن؟

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

قبل ذلك بلحظات كان أوتو متبوعاً بدراجات عصابة المدرسة النارية طيلة الطريق العام، الذي يمتد من برج بيزا المائل إلى جبال سان جوليانو، وفي اللحظة التالية كان يحلق فوق القناة.

ويدير إطار الدراجة في الفراغ.

Twitter: @ketab_n

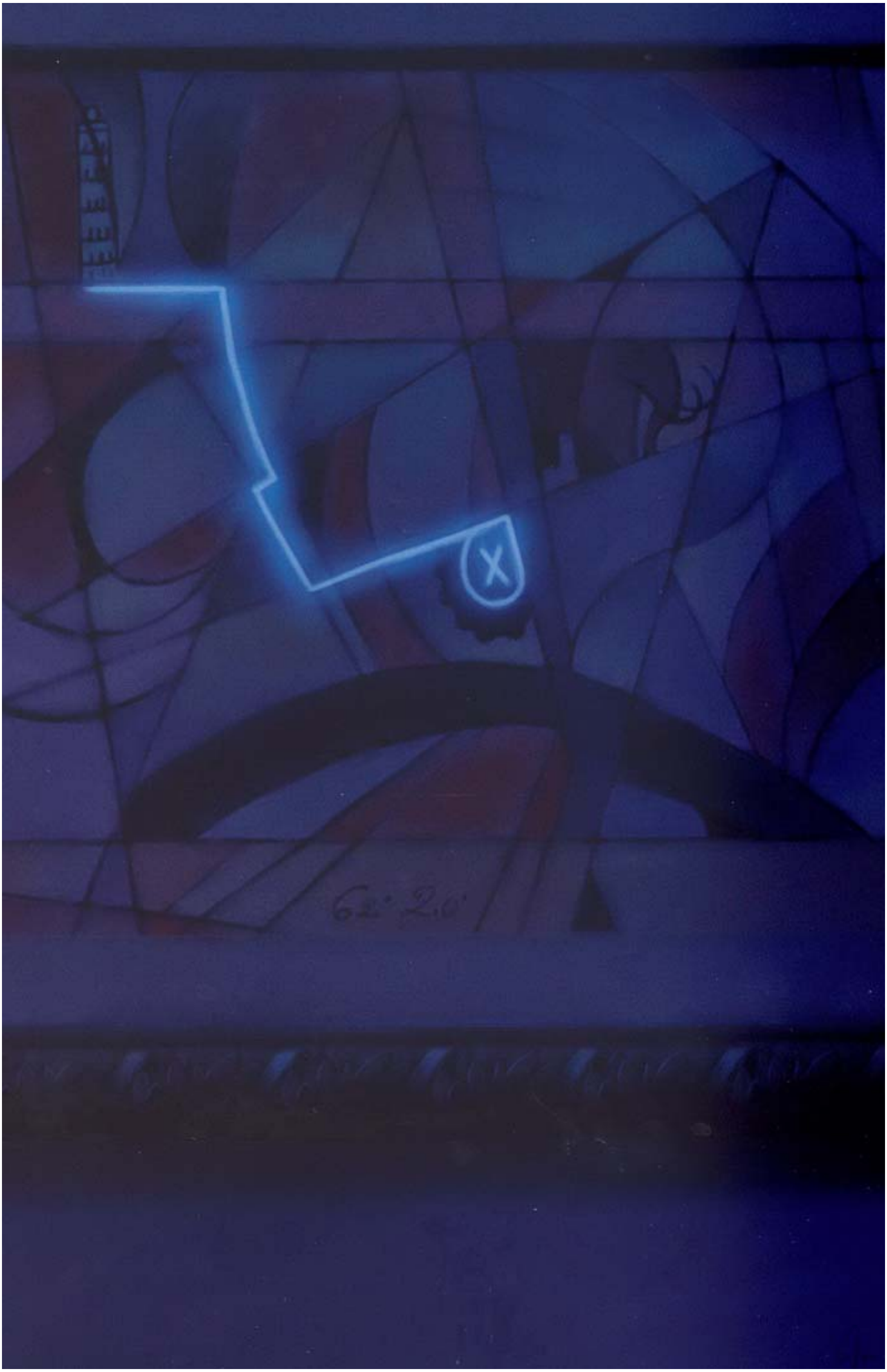

Twitter: @ketab_n

كانت بعض خطوط اللوحة مرسومة بحبر مضيء، يلمع في الظلام ببريق أزرق خفيف.

Twitter: @ketab_n

حركها، وجمعها، وقسمها، وضربها، وأرهق آلته الحاسبة بحثاً عن صلة تربط بينها، لكنه لم يصل إلى شيء. كانت أرقاماً، محض أرقام.

تختلف في ما بينها. معقدة وغريبة.

يوجد صفر واحد. أيعني هذا شيئاً؟

ويوجد رقم يتكرر مرتين: 365,26.

وزَنَ المنشور بيده: إنه خفيف كما لو كان مجوفاً، ويبدو صلباً، ومتيناً للغاية. فكر للحظة في أن يلقيه أرضاً ويكسره ليرى ما بداخله، لكنه أخذ يديره كيفما اتفق، كما لو كان مكعب روبك، وأدرك أن بمقدوره الضغط على الوجوه المختلفة وإدارتها.

تيك، تيك، تيك، طقطق المنشور، وهو يدور حول نفسه، ويظل دائماً كما هو. أخذ أوتّو يضغط الوجوه، ويديرها بحثاً عن وحي ما، لكنه كلما أداره، راوده إحساس بأنه لم يحقق أي تقدم. قاوم إحباطاً شديداً. ما الذي يمكن أن يفهمه صبي في الثالثة عشرة من عمره، في صفه الأول من المدرسة الثانوية، وقد فشل في ذلك عبقري كجده؟

فكر، يا أوتّو، فكر.

على النقيض من مكعب روبك، كانت العلبة المنشورية أحادية اللون. لا بد من التفكير فيها إذن بشكل مختلف... لا بد من صلة حسابية ما بين الأرقام المنقوشة عليها، لكن ما هي؟ بعد بضع ساعات من المحاولات، كان أوتّو لا يزال في نقطة البداية، وشديد الانتباه لأفكاره حتى أنه لم يسمع وقع الخطوات في الرواق، ووثب من مكانه عندما طُرق الباب.

«أوتّو، هل كل شيء على ما يرام؟».

إنه والده. فتح الباب، وأطل. «ألا تزال تغلق على نفسك هنا بالداخل؟»

Twitter: @ketab_n

علق متفحصاً.

«لديّ ما يشغلني» أجاب الصبي بمكر.

تناول العلبة المنشورية، وأعطاها لوالده. «وجدت هذا في لفافة الجد...».

«وما هي؟» قلّبها ليعرف اتجاهها الصحيح.

«ليست لدي أدنى فكرة. هل رأيتها من قبل؟». أعادها إليه سيسيفو دون أن يجيبه بشيء، بالرغم من أن عينيه قد عكستا ما يزعجه. ربما لأنه لم يرها من قبل قط.

«العشاء جاهز» قال له. «سنأكل في الحديقة، أيناسبك ذلك؟».

فقط عندئذ أدرك أوتّو أنه يتضور جوعاً. ترك المنشور فوق طاولة المكتب ونزل درجات السلم عدواً خلف والده.

كان العشاء بهيجاً للغاية.

سرت في غطاء الطاولة الأبيض ريح خفيفة، وعلا من أشجار الغابة حفيف أغصان هادئ. قاوم أوتّو في تهذيب موجة من أسئلة والديه، كما قاوم أيضاً، كي لا يثير الانتباه، إغواء العودة إلى غرفته لمواصلة محاولاته، وساعد في رفع الطعام عن الطاولة.

وبينما هو يسير في المنزل، شعر بما يشبه الدوي الأصم في صدره، ما يشبه النداء. «سأصعد إلى المكتبة» قال بعد أن وضع الصحون في الحوض.

وهكذا فعل.

أوقد المصابيح المختفية بين أرفف الكتب، وراقب الغرفة باهتمام. اقترب أولاً من شجرة نسب عائلته، وهي اللوحة التي لم يولها حتى ذلك اليوم الانتباه الكافي.

Twitter: @ketab_n

عائلة فوجوري بيروتي

أتامنتي 1890–1966
(أرميلا 1916)

↓

كريتيو 1918–1980
(كاناتشي 1937)

↓ ألجيرا 1940
(جوسبي 1972)
↓ ميديا 1970

↓ بريمو 1939
(ريتا 1965)
↓ سيسفو 1968
(كارلوتّا 1995)
↓ أوتّو 1996

ها هم، أسلافه، ولم يُكتب تاريخ وفاة الجد بعد. رأس العائلة هو أتامنتي، الذي لا بد من وجود صورة له في أحد أركان المنزل. كان أتامنتي ذا عقل لامع.

كان رياضياً عبقرياً.

كالجد.

وأوتّو.

«*يسقط دائماً جيل*» فكر، وهو يشد قبضته.

وفي ما يتذكر من قصص العائلة، كتب أتامنتي «الخوارزميات والغازات»، الذي ظل لعقود طويلة يُدرس في المدارس العليا المتخصصة، وسجل اختراعه

Twitter: @ketab_n

لقطعة ميكانيكية «مفك البراغي»، وهو أداة ذات سطح مبرغل، وأهمية كبيرة للكرونوغرافات[3] بالغة الدقة. ثم؟ ماذا يعرف سوى ذلك؟

ابتاع أتامنتي فيلا فولجوري، وعندما أتم الجد واحداً وعشرين عاماً أهداه العلبة المنشورية الغامضة. كان له أصدقاء مثيرون للاهتمام، كأولئك الذين رسموا اللوحة أعلى المدفأة.

دار أوتّو على عقبيه ليتطلع إليها. إنها لوحة تجريدية: حشد غير منظم من الأشكال الهندسية، يمكنه أن يوحي بمدينة، أو محرك مفكك، حيث تتداخل التروس المسننة والبكرات والأشكال فيما بينها دون وجود منطق يحكمها. أخبره جده أنها لوحة ذات قيمة عظيمة، لوحة تنتمي إلى الحركة المستقبلية، وأن أتامنتي قد تلقاها كهدية من رسّامها ذاته. وقد أضاف الرسام مفك البراغي إلى عناصر اللوحة الأخرى، هناك في الأعلى، إلى اليسار، وها هو هناك، مائلاً، ومبرغلاً.

مال أوتّو ليقرأ التوقيع على اللوحة.

ثلاثة حروف.

زاب.

كصخب دوي الصاعقة في القصص المصورة.

ماذا يوجد خلاف ذلك؟ لم يعرف أوتّو شقيقة الجد، ولا أقاربه الآخرين، عدا «العمة» ميديا، ابنة ألجيبرا. كانت ميديا، على النقيض من والدته، عالمة آثار غزيرة المعرفة، وامرأة حقيقية. وقد صارت على النقيض من والدة أوتّو، التي لا تتفق معها كثيراً، كما لا يحبها والد أوتّو، فهي لا تتجاوز -وفقاً له- كونها دجالة كبيرة. من الأفضل أن نتسم بالتواضع في بعض الأحيان، بدلاً

(3) ساعات ضبط الوقت. (المترجمة)

Twitter: @ketab_n

من التظاهر بالقدرة على فعل كل شيء، هكذا كان يردد. لم يكن أوتّو يوافقه الرأي؛ لأن العمة ميديا تروق له كثيراً، ويحب سماع قصصها العجيبة.

شجرة نسب. لوحة مستقبلية. علبة منشورية.

ما زال يجمع بينها؟ تساءل وهو في طريقه إلى غرفته. غرق في النوم دون أن يدري، محتضناً المنشور وأرقامه الغامضة.

Twitter: @ketab_n

12. أضواء ليلية

فجأة هبط الوحي.

في الحلم.

أو ربما كان مستيقظاً بالفعل، ولم يغلبه النعاس. كان يمر بتلك الحالة من الوعي المضطرب الذي يسبق الاستيقاظ، وقلبه ينبض بعنف لحلم لم يعد قادراً على تذكره. ثبت أوتّو بصره على سقف غرفة نومه، وقال: إنه ليس مفك البراغي.

كانت صورة لوحة زاب المستقبلية المعلقة أعلى مدفأة المكتبة واضحة في عينيه. اختلاط الأشكال المبعثرة، والقطع الآلية، والعجلات الصغيرة، وأجزاء المحرك، والأنابيب، والبكرات، والمسمار اللولبي، أو مفك أتامنتي، بأعلى إلى اليسار.

لكنه لم يكن مفكاً لولبياً.

أزاح أوتّو الغطاء، وسار خارجاً ببطء في رواق المنزل الصامت. كانت الرابعة فجراً، أو ربما الخامسة، ولا يدخل من بين المصاريع أي شعاع من الضوء.

كانت الأرضية باردة تحت قدميه العاريتين. وكان بمقدوره أن يسمع الأنفاس البعيدة لوالده ووالدته اللذين لا يزالان يغطان في النوم.

سار مباشرة صوب المكتبة المثمنة (والتي لم تكن في الحقيقة كذلك، وجال في ذهنه اكتشاف السبب الذي أُطلق لأجله عليها هذا الاسم). فتح بابها راجياً ألا تئن مفاصله كالمعتاد، ودخل. لاح له بريق غريب أعلى المدفأة، ثم ضغط مفتاح الإضاءة، فاختفى هذا الإحساس.

Twitter: @ketab_n

بدت له المكتبة، وقد أضاءتها مصابيح الأرفف، مسطحة، وغير حقيقية، كما لو كانت مرسومة.

ألا يزال يحلم؟

عبر الغرفة بحذر، دون أن يغلق الباب خلفه، واقترب من اللوحة أعلى المدفأة، وتمعن فيها، من أسفل، من ارتفاع سنوات عمره الثلاث عشرة.

لم يكن متأكداً.

جذب مقعداً إلى المدفأة، واعتلاه، وقف على أطراف أصابعه فوق الوسادة الجلدية.

«يا إلهي» همس.

كنت محقاً. فكر. وتملكته رجفة.

لم يبد الشكل المبرغل المرسوم بأعلى يسار اللوحة كمفك جد جده قط. ولرؤيته من مسافة قريبة للغاية، لم يكن للشكل الدقيق المائل، في ظل أسود، هيئة المفك اللولبي المألوف، ولا الرأس المدبب المبرغل.

«إنه برج بيزا...» تمتم أوتّو واضعاً إصبعاً فوقه، ثم أبعد بصره عن اللوحة.

إذا كان هذا هو برج بيزا، فكر، وهو ينزل من فوق المقعد، ويعود إلى أرضية الغرفة. إذا كان هذا هو برج بيزا، في ميدان ميراكولي... إذن ربما يكون الأنبوب الضخم المتعرج أسفل منه مباشرة...

«نهر الأرنو؟».

أكانت لوحة جده المستقبلية رسماً لبيزا؟ خريطة؟

وإذا كانت كذلك... فإلى ماذا تشير؟

اذهب أنت! دوت العبارة في رأس أوتّو.

«أين، أين ينبغي أن أذهب يا جدي؟» تساءل متفحصاً اللوحة الضخمة،

Twitter: @ketab_n

التي لم يتمعن فيها من قبل قط، وكما لم يفعل أي شخص آخر، ولا حتى الكونت ليجوانا!

بدت له بؤر العجلات المسننة الآن كميادين، والبكرات طرقاً ودروباً، والمسامير اللولبية المباني الأكثر أهمية، وتذكر الإحساس الذي راوده عند ولوجه باب المكتبة. «الضوء!».

عاد سريعاً إلى الباب، وأطفأ المصابيح. ساد الظلام الغرفة، في ما يشبه الدوامة. لم يرَ أوتّو شيئاً لبضع ثوان.

لكنه انتظر في نفاد صبر.

عندما اعتادت عيناه الظلام، لاحظ مجدداً البريق الصادر من المدفأة، لكنه لم يكن بريقاً تماماً، بل توهّجاً ينبعث من اللوحة.

كانت بعض خطوط اللوحة قد رُسمت بحبر مضيء، يتوهج في الظلام ببريق أزرق خفيف. خطوط بسيطة، وبقع لونية، قد يظنّها أي شخص ثمرة إبداع الرسام. أي شخص، لكن ليس أوتّو الذي يتطلع إليها بقلب ثقيل، وحلق جاف.

إذا كانت اللوحة تمثل خريطة، فقد تشير الخطوط المضيئة إلى... طريق؟

«هذا هو برج بيزا..» عاد أوتو من جديد، منطلقاً من العنصر الوحيد الذي استطاع تمييزه، ونزل إلى أسفل، يميناً، بإصبعه متتبعاً خطاً أزرق اللون.

«طريق سانتا ماريا... شارع دي ميلّي...».

كان اللون الأزرق يشكل دائرة صغيرة تتوسطها علامة ×، الإشارة التقليدية التي يشير بها أحد القراصنة إلى المكان الذي دفن فيه كنزه.

ماذا يوجد هنا تساءل أوتو محاولاً تخيل المسار بعقله.

«ميدان كافاليري». اندفع بصوت مرتفع.

Twitter: @ketab_n

توالت البقية من تلقاء نفسها.

في ميدان كافاليري تقع المدرسة العليا، وهي المكان الذي قام بالتدريس فيه، الجد بريمو، وجده أتامنتي لأعوام عدة.

Twitter: @ketab_n

11. عالمة الآثار

«مرحبا؟»

«إنه أنا يا عمتي».

«أهلاً أوتّو، كيف حالك؟» حيته ميديا مغيِّرةً بغتةً من نبرة صوتها.

بدا صوتها بعيداً، لكنه يوحي بتلك الجرأة، وحيوية التصرف التي تزعج والدته كثيراً. إن العمة ميديا امرأة عزباء، مستقلة، تحيا بمفردها، لا لأنها تخشى مواعدة الرجال، بل لأن اهتماماتها– ببساطة– تبعد مئات الكيلومترات عن المكواة، والغسالة، والأبناء، وكل ما يشغل الحياة اليومية للغالبية العظمى من أترابها. وتدور حياتها حول أشياء مختلفة تماماً، كالبحث عن كتاب قديم، أو تقييم هذا العمل الكلاسيكي، أو ذاك، وتنظيم أحد المعارض...

«ينبغي أن أتحدث إليك يا عمتي».

«هل حدث شيء؟».

«لا، بل أجل. إنه بخصوص الجد».

«فهمت...».

«لا، لا أعتقد أنك تفهمين حقاً. ولكنني أحتاج مساعدة، وأظن أن... إجمالاً... بمقدورك أن تكوني الشخص المناسب لمساعدتي».

«مساعدة؟».

«لا تزالين تعملين بالمدرسة العليا، أليس كذلك؟».

صمتت ميديا لحظة. لم تتوقع بالتأكيد سؤالاً مباغتاً كهذا.

«بالتأكيد أعمل هناك. مم... لكن يمكنني أن أخمن السبب... انتظر.. أيكون ابن عمي قد طلب منك مهاتفتي لإقناعي بعدم طلب التمويل اللازم

Twitter: @ketab_n

لمعرض السفن الرومانية؟».

«أوه، لا، لا» اندفع أوتو مؤكداً. «لا يعلم أبي شيئاً عن مكالمتي لك».

«إذن يوجد سر ما، أليس كذلك؟».

«في الحقيقة، لست متأكداً من معرفتي أنا شخصياً به».

«أتوجد صبية ما؟».

«لا، ماذا فهمت! إنه حقاً... لا أعرف! أريد الدخول لإلقاء نظرة... على قاعات الدرس، أو المكتبة. توجد مكتبة، أليس كذلك؟».

«أوتّو...».

«أجل...».

«أخرج ما في جوفك، لأي سبب غامض تريد دخول مكتبة المدرسة؟».

عضَّ أوتّو على شفتيه. كان قد فكر، قبل أن يهاتف العمة ميديا، أنه حال سارت الأمور على نحو سيئ، ستكون هي الشخص المناسب ليكشف لها عن ماهية إرث جده، لكن يشعر الآن، وقد حانت تلك اللحظة، بغبائه الشديد.

«اسمعي... لا يمكننا الحديث عن ذلك... ومن جانب آخر، ليس على الهاتف؟» سأل.

ضحكت العمة في فضول. «اتفقنا. لا تريد أن تخبرني. ليكن كذلك: لنلتقِ في منتصف النهار في مونتينو؛ إنه قريب من المدرسة. وهكذا إذا تمكنت من إقناعي، ذهبنا إلى المكتبة معاً».

«مونتينو؟»

«في منتصف النهار» كررت العمة.

ثم وضعت سماعة الهاتف.

كان المونتينو أحد أقدم مخابز بيزا، يقدم حمصية، وفطائر، وسمبوسك

Twitter: @ketab_n

«رائعة»، لا يمكن نسيانها. يوجد بالخارج بعض الموائد تحتشد في ميدان صغير ظليل يزدحم بالطلاب، وبالداخل قاعتان صغيرتان، طويلتان، وضيقتان، تبدوان كخلوة خلفية في أحد محال الأحذية.

تجاوز أوتّو النظرة الصارمة لنادل فظ ذي جبهة لامعة، وميَّز العمة جالسة إلى المائدة الأخيرة في القاعة الثانية: هالة ضخمة من الشعر الأحمر خلف صحيفة مفتوحة.

انخفضت الصحيفة بمجرد أن دلف أوتّو إلى القاعة.

«أهلاً».

جاءهما النادل قبل أن يتمكن أوتّو من الجلوس، مرر يداً على الرأس الحليق وقال: «اليوم يمكنني تقديم: حمصية، بيتزا أو سمبوسك، ومكرونة أيضاً. مكرونة باللحم المقدد. مكرونة بصلصة الطماطم. مكرونة باللحم المفروم، أو سمبوسك، وحمصية، وبيتزا. هل تريدان المكرونة؟».

ضحكت ميديا حيث تبدو وكأنها في بيتها في ذلك المكان.

«أريد مكرونة باللحم المقدد، يا أندريا. ولابن عمي...».

«إنه ليس من ليفورنو، أليس كذلك؟».

«لا، لا تقلق» مزحت ميديا.

«حسناً، وإلا دفع أكثر. حمصية، سمبوسك، بيتزا، أم مكرونة؟

«سآخذ كما طلبت العمة».

«قليل من الخمر؟».

«مياه فقط اليوم».

«مياه، لكنني سآتيكم بقليل من الحمصية قبل المكرونة» قرر أندريا قبل أن يختفي.

Twitter: @ketab_n

ضحك أوتّو أيضاً عند هذا الحد. أسند يده على غطاء الطاولة الورقي، وقال: «واو! لم أكن أعرف هذا المكان».

«إنه أسطوري» أجابت ميديا. «وإذن»؟

ابتسم أوتّو وبدا مرتبكاً قليلاً. لم يضحك منذ دُفن الجد. تبادلا بضع عبارات حول سير الأحوال في فيلا فولجوري، وتقبلت ميديا بارتياح أخبار هدوء الأجواء مع مرور الأيام.

«والآن أخبرني بالبقية، هيا».

برز من العدم طبق من الحمص الساخن المطحون، وبدأ أوتّو فرحاً في تناوله.

«اتفقنا يا عمتي. لكن شريطة أن تقسمي...».

«بألا أخبر والديك بشيء. لقد كنت مراهقة أنا أيضاً، ماذا تظن؟».

«في ما يخص ذلك، تقول أمي...».

«أنني لا أزال كذلك. أعرف. لندخل في صلب الموضوع».

«لكن أمي محقة في شيء آخر».

«وهو؟».

«أنك لا تدعينني انتهي من عبارة واحدة أبداً».

«لأنني في الأغلب أعرف ما تريد قوله، ولا أرغب في الانتظار. هيا يا بني! أثر دهشتي!».

أشار إليها أوتّو بقطعة من الحمصية معلقة بالشوكة: «لست متيقناً من ذلك، لكنني قد أنجح فيه. لقد ترك لي جدي علبة. وخطاباً...».

وبينما حل صحنا المكرونة المكتظة باللحم المقدد محل الحمصية، قص عليها أوتّو أمر الوصية، وقرأ عليها الخطاب، وأراها العلبة المنشورية، مستوثقاً من

Twitter: @ketab_n

عدم تطلع أحد إليها، وكشف لها عن المحادثة الغريبة مع الكونت ليجوانا، ثم أنهى قصته باكتشاف اللوحة المستقبلية التي تتوهج في الظلام. وبعد أن اختتم حديثة، لاحظ أن العمة ميديا لم تمس صحنها، ولم تقاطعه قط.

«يا إلهي» تمتمت المرأة. «إنها قصة جيدة حقاً، وقديمة في ظني. فإذا كنا نتحدث عن أتامنتي، فنحن نتحدث عما قبل الحرب العالمية الأولى... يا إلهي... أتعرف شيئاً؟».

«لا».

«تذكرت أن والدتي، وأنا طفلة، قد أرتني حزمةً قديمةً من خطابات أرميلا، ومذكرات... يا إلهي، أين انتهى المآل بتلك الأشياء؟ ربما مر عشرون عاماً دون أن تقع عيني عليها. ولقد نسيتها تماماً. دعني أتذكر...».

«ربما كانت في مكتبك؟».

«أوه، لا. كنت سأعلم بوجودها هناك» أجابت ميديا، عاقصةً شعرها الطويل إلى الوراء. «ربما وضعت كل شيء في العلية؟ ثم توجد، على أية حال، قضية علامة × التي تشير إلى ميدان المدرسة. ماذا تعتقد أننا سنجد؟».

«ليست لدي أدنى فكرة..» أجاب أوتّو.

«تبدو لي بداية رائعة يا ابن العم. بداية رائعة حقاً» نهضت العمة فجأة. «هيا. لننطلق».

تحتل مدرسة بيزا العليا ميدان كافاليري كله بواجهتها التي تجمع بين اللونين الأبيض والأسود، ودرجاتها المزدوجة. تبع أوتّو العمة، متجاوزاً البوابة القديمة المؤلفة من الزجاج والخشب، وحيّا الحارس، ثم اتجه يساراً، واتخذ السلم، وصعد متطلعاً إلى الميداليات المصطفة فوق رأسه. تقع قاعات الرياضيات– شرحت له ميديا– في الطابق الثاني، أما قاعات الآثار فتتوزع في الدور الأخير.

Twitter: @ketab_n

قاما بتحية بعض الأشخاص، ثم سألت ميديا ما إذا كان البروفيسور ميرليتي في المدرسة. إنه المدرس الذي يهتم بأمر المكتب الذي شغله جده ذات يوم.

دخلا. كان ميرليتي طويلاً ونحيفاً، ذا لحية خفيفة، صغيرة، ووجه لطيف. وجه إلى أوتّو بضعة أسئلة حول الجد، وقص عليه بعض الأمور الشيقة التي كان يجهلها، وبدا عموماً متعاوناً للغاية. بعد ربع الساعة، زاروا إحدى قاعات الدرس. ترتفع المدرسة حول فناء داخلي، ويشيع فيها جو مبهج ومريح للأعصاب. وعندما بلغوا المكتبة في الطابق الأول، أصابت الدهشة أوتّو لكثرة الكتب القديمة التي تكدست بها، لكن لأنه لا يدري عن أي شيء يبحث بالضبط، لم يجد ما يثير اهتمامه حقاً.

«هل توجد قائمة بالكتب المستعارة؟» سأل. «قائمة قديمة بالكتب المستعارة؟».

أدرك الآخران ما يرمي إليه بسؤاله هذا. «هل تبحث عن قائمة بالكتب التي راجعها جدك؟».

«أجل».

«يا إلهي، لا أدري...» أجاب البروفيسور. «نحن نتحدث عن خمسة عشر عاماً مضت تقريباً، وربما أكثر».

اتجهوا إلى مكتب السكرتارية، وسألوا القائمة على فهرسة الكتب.

«توجد بالطبع» أجابت المرأة. «لكن ليس هنا».

«أين إذن؟».

في القبر.. أجابت ببساطة شديدة.

Twitter: @ketab_n

10. القبر

بلغوا باباً بعيداً للغاية، فتحوه بحذر. صرير طويل، ثم ألقى ضوء الرواق الوحيد الذي يوجد على الجانب الآخر وميضاً مائلاً. تناهى إلى مسامعهم صخب السيارات التي تسير الطريق، في الأعلى. يتدلى سلم معدني صغير، رفيع، ومهتز، إلى ما يشبه مخزناً كبيراً.

أو قبواً.

كانوا يقفون عند مدخل أرشيف المدرسة، أو كما يطلق عليه من يعملون فيه، «القبر».

ميزوا على هدي الشعاع الواهي، الذي يضيء الغرفة، هياكل الأرفف المعدنية، التي اصطفت فوقها، صناديق كبيرة، وكتب، ومجلدات من كافة الأحجام، تكتسي بأغطية بلاستيكية شفافة.

«حظاً سعيداً» ابتسمت أمينة المكتبة، وهي تهز المفاتيح. «وأوصيكم ...».

«أنت لم تصحبينا إلى هنا» أنهت العمة ميديا العبارة بدلاً منها. «لأن هذا المكان ليس له وجود».

«رُتبت الكتب ترتيباً زمنياً، من الأكثر حداثة إلى الأقدم».

أومأت ميديا، والصبي، متفحصين المخزن الذي يمتد أمامهما بلا نهاية.

قد توجد هنا سجلات، ومحفوظات تعود إلى زمن إنريكو فيرمي، وربما إلى جاليليو أيضاً، حيث استضافت قاعات قصر كفاليري أكاديمية ميديتشي العسكرية قبل أن تصير جامعة.

نظرت أمينة المكتبة إلى ساعتها. «ساعة على الأكثر، ثم ينبغي أن أعود

Twitter: @ketab_n

لاصطحابكما».

«ستكفينا».

«دفعت ميديا أوتّو إلى أسفل عبر السلم المتأرجح. وأغلق الباب خلفهما. ظلا بمفردهما.

«هل تخيلت ذلك قط؟».

«لا» أجاب الصبي، متجولاً معها بين السجلات الكبيرة المكسوّة بالتراب، أرفف كثيرة صُنفت وفقاً لتاريخ العام، وفهرس موجز لمحتوياتها.

قضيا حوالي نصف الساعة، يرفعان رأسيهما إلى أعلى، وهما يغوصان متجولين بين جنبات تلك القاعة الكبيرة التي تبدو بلا نهاية. وسرعان ما تلاشى صخب الطريق، وسرى الطنين الهامس لمراوح التهوية، ودقات مقاييس الحرارة التي تتحكم في دورانها.

«المكتبة. سجلات الاستعارة» قرأت ميديا. «ها نحن!».

بحثت عن مقعد، واعتلته، رافعةً الأغطية البلاستيكية، كي تتفحص الكتب الموجودة في الأسفل.

«عن أي الأعوام نبحث؟».

«لا أدري. الأعوام التي كان الجد فيها هنا، كما أظن».

«مكث الجد هنا لأعوام طوال... لنرَ...».

«الأعوام الأخيرة». اندفع أوتّو.

مررت العمة إصبعها على خلفيات السجلات المتماثلة، وتوقفت عند أكثر ما أقنعها، وبجذبة خفيفة، أخرجته من الرف. أسندته إلى ركبتيها، وبدأت في تقليب صفحاته المسطورة، والممتلئة عن آخرها بالخطوط اليدوية.

«فولجوري بيروتي. بروفيسور بريمو» قرأت في نهاية بحثها.

Twitter: @ketab_n

علق أوتّو أمام القائمة اللانهائية من العناوين الموضحة: «لقد كان يقرأ كثيراً بالتأكيد...».

«أتظن أننا نقوم بشيء لا قيمة له؟».

«أجل، في ما يبدو» وافقها الصبي على مضض. «وهكذا أصبح عدد الألغاز ثلاثة: العلبة المنشورية، والمدرسة العليا، والطريق المضيء في اللوحة».

«تبقى لنا قراءة خطابات والدتي» قالت العمة ميديا. «إذا تمكنت من العثور عليها».

واصل الإثنان قراءة عناوين الكتب التي لجأ إليها بريمو بحثاً عن شيء لا يدريانه...

«انتظري» صاح أوتّو في لحظة ما، وأشار بإصبعه إلى أحد الأسطر. «لقد استعار هذا الكتاب ثلاث مرات بالفعل، بل أربع».

«هكتور زاب. *تروس العقل*».

«بل خمس مرات!» واصل أوتّو، وهو يقلب الصفحة.

«لنرَ إذا كانت محض مصادفة» صعدت العمة ميديا فوق المقعد مجدداً، ومالت بجسدها لتُحضِر سجل استعارة الأعوام السابقة أيضاً. مرت دقائق معدودة، ثم قرأت... زاب».

كان أحد أوائل الكتب التي تم تسجيلها.

«لا يمكن أن يكون «*تروس العقل*» هذا محض مصادفة...» تمتم الصبي، ثم إن زاب هو أيضاً توقيع صاحب اللوحة.

«إذن يجب أن أذهب لألقي نظرة على اللوحة».

أصدر باب بعيد صريراً، وانفتح، ثم تردد صدى صوت أمينة المكتبة عدة مرات: «هيه، ألا تزالان هنا؟».

Twitter: @ketab_n

«سنأتي!» أجابت المرأة، والصبي في نفس واحد.

أعادا السجلات إلى موقعها فوق الرف، ثم أسرعا صوب المخرج.

«لتستمري بالحديث، كي تساعدينا على الخروج!» صاحت ميديا ضاحكة. «إن هذا المكان كالمتاهة».

وصلا درجات السلم المعدنية المتأرجحة، وصعداها كل درجتين معاً.

«هل وجدتما شيئاً مثيراً؟» سألتهما المرأة بابتسامة خفيفة.

«ربما!. ألا يزال لديكما كتاب هكتور زاب *تروس العقل*؟».

«لنتحقق من ذلك فوراً».

لكن الكتاب لم يكن له أثر.

Twitter: @ketab_n

9. الكتاب المفقود

حاول أوتّو وميديا البحث عن كتاب زاب في قوائم الكتب النادرة «أون لاين» لكنهما لم يجداه على موقع ماريماجنوم دوت كوم، ولا على أبيبوكس دوت كوم. بدا وكأنه قد اختفى ببساطة من الوجود. بعد الظهيرة ذهبت العمة إلى عملها، وعاد أوتّو إلى المنزل.

جلس الصبي أمام اللوحة. أحصى ما بها من أشكال، وحدد موقعها، والمسافة التي تفصل كلاً منها عن الآخر، وموقعها، متخيلاً تصورات مختلفة لها كلما انطلق من إحدى الجهات الأربع. ابتعد شيئاً فشيئاً عن فكرة أن تكون اللوحة خريطة، مصوباً جل تركيزه على البؤرة المركزية، حيث رسم الفنان ما يشبه انفجار أشكال هندسية، أو- كما يراها أوتّو- أجزاء ميكانيكية. سجل عندئذ تتابعاً رقمياً، مبتدئاً من الأقرب إلى المركز، وأدرك أن الأخرى تشكّل حركة، تمثل خطاً مقوساً مثالياً يتواصل في دوامة. قارن الأرقام كلها مع تلك التي استخلصها من العلبة المنشورية، لكنه وجد نفسه، عند المساء، خاوي الوفاض، ورأسه تؤلمه.

رن جرس الهاتف بعد العشاء مباشرة. كانت العمة.

«نحن غبيان» بدأت المرأة. «لقد كان أستاذه!».

«كيف؟ من؟».

«كان هكتور زاب، وهو ابن لسيدة إيطالية، وأستاذ جامعي ألماني، أستاذ الجد الأول أتامنتي. وقد تخرج مع مرتبة الشرف من جامعة توبينجن، إلخ. أعزب. وقد وجهت له الدعوة منذ عام 1914 لعقد سلسلة من المحاضرات في المدرسة العليا في بيزا. وفي العام التالي استقل سفينة من نابولي، ومات...».

Twitter: @ketab_n

«مات؟».

«كانت سفينته هي أنكونا – تزن 8188 طناً، وطولها 482 قدماً، جهزتها جمعية إيطالية للإبحار البخاري في جنوة – وأُغرقت في 7 من نوفمبر 1915 على يد غواصة نمساوية، في خليج كابو كاربونارا، بالقرب من كالياري، وقد لقي 206 أشخاص حتفهم».

«وكان هو من بينهم».

«بالضبط».

«إذن، ما الصلة بين البروفيسور زاب والجد الأكبر أتامنتي؟».

«لقد سألت صديقاً يعمل في صحيفة «ماتّينو» في نابولي، ما إذا كان بمقدوره أن يكتشف شيئاً ما... ربما نكون محظوظين».

«لا أطيق الانتظار».

«في إطار مشروع أوروبي، تقوم هيئة التحرير بإدخال كل أعداد الصحيفة القديمة إلى الحاسوب، وقد وجد صديقي، بقليل من البحث، نعي زاب. سأوفر عليك سماع النص كاملاً، وسأقرأ لك الاستهلال فحسب: هكتور زاب، بروفيسور سابق في جامعة توبينجن، وأستاذ الرياضيات في بيزا، ومصمم أنظمة تحكم أجهزة ميكانيكية وتقنية...».

«أنظمة أجهزة ميكانيكية!» صرخ أوتّو تقريباً.

«فكرت في ذلك أنا أيضاً، لكنه لا يمثل شيئاً. من الغريب أن زاب لم يكن يستقل سفينة أنكونا وحده، لكنه حمل معه ثمانية من طلابه في المدرسة العليا. وانظر إلى ما حدث...».

«لقوا جميعاً حتفهم في غرق السفينة».

«بالضبط. إنها مصادفة مؤسفة، كما أظن. إذا أضفنا إلى ذلك أنّ ما من أحد

Twitter: @ketab_n

يدري حتى اليوم بدقة سبب غرق السفينة، ولا ماذا كانت تنقل حقاً...».

«انتظري.. انتظري..» غمغم أوتّو، «أتقولين إن ما نبحث عنه ربما كان ذا صلة بحادثة غرق غامضة لسفينة في الحرب العالمية الثانية؟».

«لا. بل في الحرب العالمية الأولى».

«كيفما تكون!».

«ربما كان هذا صحيحاً، وربما لا. لكن ليس هذا كل شيء، لقد حان دور الخبر المهم».

«وهو؟».

«لقد وقع على الرثاء بعض من زملاء دراسة الطلاب الهالكين».

«أتامنتي؟».

«أجل هو، وليس وحده».

«من؟».

«مركوتسيو ليجوانا».

حبس أوتّو أنفاسه.

«بالضبط. إنه جد الكونت ليجوانا العجوز الطيب الذي أثر فيك بشدة».

«أكانا رفيقي دراسة؟».

«أجل».

«وماذا يعني هذا؟».

يعني أنني سآتي غداً لألقي نظرة على هذه اللوحة التي يرغب الكونت «يعني ليجوانا» في اقتنائها بأي ثمن.

Twitter: @ketab_n

8- الميت الحيّ

تحركت في الظلام ظلال طويلة. كان بستانيو الفيلا يعملون بلا كلل، يهذبون وينسقون أقسام الحديقة المؤدية إلى متاهة الأشجار المتسلقة. كانت هذه إحدى الغرائب التي اعتاد الجيران عليها؛ رجال في عمل دائم، ليل نهار، وحتى تحت الأمطار.

وفي داخل المنزل، على النقيض، ساد الهدوء المطلق والصمت المطبق. كان قسم كبير من الأضواء مطفأً، عدا الضوء الشاحب في مكتب الكونت.

وهناك، وبمجرد اجتياز الباب، كان يقف عملاق أصلع متصلب، وملتفّ في حلته الداكنة الدائمة. «هل يجب أن أتبعه إذن؟» كرر بصوت مسطح خاوٍ من أي نبرة.

كان الكونت ليجوانا جالساً خلف مكتبه، يدير خاتماً في يده اليمنى. «أتدري؟ ينتابني الشك، في بعض الأحيان، في أن بعضاً من دماء العائلة يجري في جسد ولدي؟» فكر بصوت مرتفع. «إن الجذوة تذوب، وتبرد من جيل إلى جيل».

«الجذوة، يا سيدي؟».

رفع الكونت ليجوانا بصره، وقد انتُزع من أفكاره. «ماذا تقول؟».

«ألهذا صلة بالنار؟».

«بالضبط، يا كاليبانو. إن للجذوة صلة بالنار، لكنها نار داخلية، شيء ما يدفعك إلى المخاطرة إلى التحرك، وتساعدك على المواصلة عندما يتوقف الآخرون».

«إن الجذوة هي وقودي» اختتم كاليبانو في صرامة.

Twitter: @ketab_n

ابتسم الكونت ليجوانا رغماً عنه. «أنت مختلف حقاً يا عزيزي. وعلى أية حال، وعودةً إلى ما كنا نقوله من قبل... أجل يجب أن تتبعه».

«سيلحظ ذلك».

«إذن اتبعها هي، عندما لا يوجد ابني».

«كما تريد».

«نظر الكونت إلى ساعته، وعلق: «إنه وقت الطعام».

دق كاليبانو كعبيْ حذائه، وخلال ثوان قليلة، انفتح باب المكتب كاشفاً عن نادل غريب، يشبه وجهه الشاحب وجه تمثال شمعي، وتعكس طريقة سيره إيقاعاً ما، تصاحبه دقات في الخلفية، ورائحة الكيروسين قليلة الحمضية. وضع حقيبتين كبيرتين على أرضية الغرفة، وخرج منها دون أن ينبس بكلمة.

«اذهب أنت أيضاً يا كاليبانو...» أمر الكونت ليجوانا. «هل اتفقنا؟».

«سأتبع المرأة عندما لا يوجد ولدك».

وخرج.

عندما صار وحيداً، نهض الكونت، وأوصد كل الأبواب، وجذب الستائر الثقيلة ليحجب الرؤية من الخارج، ثم اتجه إلى المكتبة الحائطية. أخرج مفتاحاً معدنياً طويلاً مخبأً داخل حزام بنطاله، وأدخله في ثقب في الجدار، يتوارى خلف الكتب. أداره مرتين في صرير واضح، ثم فتح صوت «*الكليك*» الضعيف باباً صغيراً مستطيلاً، دار على مفصلات طيعة.

تناول الكونت الحقيبتين، وحملهما معه في ممر المكتبة الذي يؤدي إلى غرفة صغيرة ينيرها ضوء النيون الأزرق الباهت. يحتل الغرفة بالكامل جهاز ضخم له أنابيب تدخل وتخرج من الجدار، وأجهزة قياس ضغط تشير أسهمها الصغيرة إلى أرقام تتغير ببُطء، وشاشة طبية متناهية الصغر توضح الخط المتأرجح

Twitter: @ketab_n

لنبضات قلب ضعيفة، وتصدر «بيب» بطيئة متواصلة. استقر بين الأجهزة فراش، يحميه صندوق زجاجي، ومرشحات مفتوحة، ورقد عليه رجل وجهه جاف، أصفر، شديد القدم، لا يظهر منه سوى الرأس، والجزء الأعلى من الصدر العاري المترهل. بدا العجوز ميتاً، أكثر منه حياً. لكن ما إن اقترب الكونت من الصندوق الزجاجي الذي يقيه من العالم الخارجي، حتى انفتحت عيناه عن آخرهما في غضب.

.. وجوع.

«لم أعد أدري ماذا أفعل مع والدي...» تمتم الكونت مبادراً في نوع من التحية، ودون انتظار إجابة ما، فتح الحقيبتين، وأخرج منهما حوالي عشرين كيساً من سائل كثيف، داكن اللون، يشبه الدم، وصفّهما داخل فتحتَيْ الجهاز الجانبيتين. أزال الأكياس الفارغة، ووضعها داخل الحقيبتين، وأوصل الجديدة بالأنابيب.

بدأت مضخّةٌ في العمل ببطء، دافعةً في الأنابيب ذلك السائل الكثيف نحو الجسد الممدد على الفراش.

صدر عندئذ، من الصندوق الزجاجي، صوت واهٍ، لكنه مفعم بحقد شديد. «لقد أفسدته. لقد ربيته أعوج. ويجب أن تقوّمه».

«إنه ليس خطأي».

«بل هو خطؤك إن لم يفهم. إنه خطؤك إذا كان لا يعتقد بوجود طريق...».

أعاد الكونت ليجوانا إغلاق الحقيبتين، ورفع بصره مجدداً ليلاقي نظرة ذلك الكائن الذي يعيش منذ سنوات داخل جهاز آلي أقامه هو ذاته. «أنت تقول طريقاً، وهل نحن واثقون من معرفة آل فولجوري له؟».

Twitter: @ketab_n

لمعت عينا العجوز بوميض جنون. «إنهم يعرفون الطريق! ويحفظونه سراً، لكن يجب أن تعثر عليه! يجب أن نعثر عليه!».

أومأ الكونت ليجوانا في عبوس. اتجه خارج غرفة الإنعاش. «سأفعل كما تقول، يا والدي. سأفعل كما قلت دائماً».

ثم أغلق الممرّ خلفه في غضب.

Twitter: @ketab_n

7. الضيف الثقيل

دوّى في فيلا فولجوري صوت آلة تنبيه سيارة العمة ميديا الخنفساء[4] القديمة سماوية اللون.

هرع أوتّو إلى أسفل على درجات السلم، في اللحظة التي استقبلت فيها والدته العمة بعناق سريع للغاية، وعبارات ترحيب. كانت رؤيتهما تتحدثان دون وجود والد أوتّو وسيطاً بينهما تمثل معاناة حقيقية. بدت الموضوعات التي تفرضها المناسبة مؤلمة ومحرجة. وضع أوتّو حداً للحرج، وأخذ العمة جاذباً إياها من يدها: «هلمّي إلى أعلى، سأريك تلك التصميمات، اتفقنا؟».

رسمت الأم بشفتيها عبارة «شكراً» كبيرة لأنه أراحها من ابنة العم.

دخلت العمة وأوتّو المكتبة المثمنة، حيث يتوهج ضوء الشمس وينصبّ على المدفأة.

«ها هي اللوحة التي...».

بعد دقائق من التمعن، قالت ميديا: «تبدو كإحدى لوحات بوتشيوني، والأسلوب «مستقبلي» بدون شك. ربما تساوي ثروة. لست خبيرة لكن... هل ثمّنها أحد؟».

«لا أدري» أجاب أوتّو.

«دعنا نراها عن قرب».

أحضر أوتّو مقعداً ووضع صحيفة مفتوحة على قاعدته، وصعد فوقه. نزع اللوحة من المسمار، وناولها بحذر إلى العمة التي وضعتها على الطاولة.

«لم أرَ صوراً لها قط...» تمتمت المرأة. «ولا حتى في إحدى المجلات،

---

(4) سيارة فولكس فاجن صغيرة. (المترجمة)

Twitter: @ketab_n

أو المجلدات المصورة. لكن لا يدهشني إن سُحر بها شخص ذو بصر ثاقب مثل الكونت ليجوانا...» أدارتها. «هل لاحظت الإهداء المكتوب بقلم الرصاص؟»

كي لا أفقدك وأختفي

«لا» أقر أوتّو.

كانت الكتابة متبوعةً برسم خفيف لبعض الدوائر متحدة المركز. قد يكون رمزاً غامضاً، أو مجرد رسم بسيط.

«أراهن على أن الجد الأكبر أتامنتي هو من كتبها».

«لماذا؟».

أدارت ميديا اللوحة على واجهتها. «دوائر داخل دوائر. لا بد من أنه إهداء إلى أرميلا زوجته».

«لا أفهم».

«أتعرف ماذا تعني أرميلا؟».

«لا أعتقد».

«وماذا يكون المجال السواري؟».

«مجـ...؟».

«مجال سواري».

ضحك أوتّو. «لا أزال بعيداً عن الفهم يا عمتي».

إن المجالات السوارية هي أسطرلابات قديمة: تخيل قفصاً حديدياً يضم عدة حلقات معدنية متدرجة يمكن لكل منها أن يدور منفصلاً عن الآخر، محاكياً حركة النجوم.

أومأ أوتّو هذه المرة: «أعتقد أنني رأيت أحدها».

Twitter: @ketab_n

«توجد نماذج رائعة منها في فلورنسا، في متحف تاريخ العلم، خلف رواق ديلّي أوفيتسي مباشرة».

نظر أوتّو إلى عمته. «وإذن؟».

«لا شيء.. أعرف المدير جيداً، ربما.. لا أدري. على أية حال لا توحي لي هذه اللوحة بشيء، يا أوتّو. لا بد من أن نأخذها إلى أحد الخبراء».

«هل تعرفين أحداً منهم؟».

«أجل... لكن ربما كانوا مشغولين تماماً، حتى أنهم لا يمتلكون من الوقت ما يكرسوه لنا».

«إذن، هل نذهب للبحث عن المذكرات؟».

«أعتقد أنه الشيء الوحيد الذي تبقى لنا».

تسكن العمة ميديا على مقربة من منزل آل فولجوري بيروتي. في منطقة أشبانو، على منحدرات جبال بيساني. كان منزلها صغيراً، ومعزولاً عن البلدة، وهادئاً للغاية. صعدت هي، وأوتو إلى العلية، وفتحا بابها مثيرين سحابة من الغبار.

«معذرة عن الفوضى...» بررت العمة على الفور. «لا تخبر والدتك عنها، اتفقنا؟».

«بالتأكيد».

«يزدحم هذا المكان بكل ما كدسته طوال خمسة عشر عاماً من الرحلات. لا يوجد شيء ذو قيمة، لكنني مغرمة بها، ولا أنوي التخلص منها. لتتذكر ذلك».

«سأفعل».

انسلاّ داخل العلية. كان بمقدورهما السير معتدلين في المنتصف فحسب،

Twitter: @ketab_n

أما في الأطراف المائلة، فكانا يتقدمان منحنيين، كي لا يصدما رأسيهما.

«عمّ نبحث بالضبط؟».

«عن صندوق كبير ذي مقابض نحاسية...» أجابت ميديا. ومن المصابيح المدلاة من السقف أضاء واحد فقط، وأعاق ضوءه الضعيف الكم الهائل من الأشياء المكدسة فوق بعضها.

نقلت ميديا وأوتّو طاولات، واقربا إلى جوار تماثيل وآنية مائلة، ورفعا سجاجيد وأغطية من الكتان.

«يمكنني التقاعد لأصبح بائعة تحف...» مزحت المرأة محركةً مشجباً حديدياً يتدلى منه معطف ذو طراز نابوليوني، وثوب نسائي ضخم يعود إلى القرن الثامن عشر، استُخدم في أحد احتفالات البندقية.

نظر أوتّو حوله بحثاً عن الصندوق، أو ما يشير إلى وجوده. لاحظ شمعدانين طراز سواروفسكي يستندان إلى صندوق تكسوه ستارة ممزقة، وأقمشة أخرى أكلتها الفئران التي تنتشر في أنحاء العلية. حاول رفع بعضها، ولمح رتاجاً نحاسياً في المنتصف. «عمتي، أعتقد أنني وجدته» صاح.

أزاحت جانباً أسطوانات يكسوها الغبار، وجدتها في علبة متآكلة تماماً، ودنت من ابن العم. حركا معاً الشمعدانين، وأزاحا الستارة.

«إنه هو بالفعل..» أكدت ميديا، وهي تفتح الصندوق.

أخرجت دميتيْن وجهاهما من السيراميك، وأعينهما كبيرة تفتح، وتغلق وفقاً لوضع الرأس. وجدهما أوتّو مخيفتين، بينما تطلعت ميديا إليهما، كصديقتين التقتهما بعد غياب طويل.

«لا بد أن أبي قد أتى بالصندوق إلى هنا، بينما كنت في الخارج في رحلة ما...» أسرّت إلى الصبي.

Twitter: @ketab_n

وضعت الدميتين جانباً على مضض، وأخذت تفتش بين كتب ودفاتر المدرسة، وملفات تحمل رسوماً طفولية، وثياب صغيرة أتلفها الزمن، ومظروف شفاف قديم كانت تظن أنها أضاعته، وفي القاع، حزمة من الخطابات دست بين صفحات مذكرات قديمة ذات غلاف قماشي مزهر.

«إذا كنت أتذكر جيداً... لا بد من أنها هي...» قالت في رضا. جلست عاقدة ساقيها فوق الستارة الممزقة تاركة طرفاً منها لأوتّو. أخذت الخطابات، وأعطته كتاب المذكرات. «اقرأ هذا...» ثم أكملت، وقد لاحظت تعبير الحيرة الذي ارتسم على وجه ابن العم: «لا تقلق. لقد عاشت الجدة أرميلا في زمن بالغ النقاء. تأكد من أنك لن تجد فيها شيئاً يسبب لك الحرج».

فتح أوتّو المذكرات غير مقتنع تماماً، وبدأ في القراءة، بينما كانت العمة تحاول ترتيب تواريخ الأختام البريدية فوق طوابع الخطابات المختلفة. سيدات، جنود، طائرات، إيطاليا، وصورة جانبية لفيتوريو إيمانويلي الثاني. وسرعان ما أدركت العمة أن الخطابات المرسلة إلى أرميلا جاءت من أشخاص عدة، وليس من بينهم أتامنتي.

«لا يوجد هنا ما يثير الاهتمام» أقرت. «وأنت؟».

«ربما وجدت شيئاً...» تمتم أوتّو، دون أن يرفع نظره عن خط أرميلا المائل الأنيق. «اسمعي هنا!».

يكسو أتامنتي الغموض. يبدو مضطرباً بسبب شيء لا يجرؤ على البوح به إلي. تشيع الحرب الفوضى في حياتنا بكل تأكيد، لكنني لا أعتقد أن الحرب هي ما يقلقه. ينتابه القلق، ببساطة، بسبب رحلته إلى أمريكا، أقدر ذلك، فلن أشعر أنا أيضاً بالاطمئنان إذا تركت إيطاليا الآن، ويعلم الله وحده كم من الوقت. لماذا يتردد؟ لا يعني السفر إلى أمريكا الرحيل إلى جبهة القتال! بل يعني تتويجاً

Twitter: @ketab_n

لجهوده، وأبحاثه، وعبقريته. أمريكا! لو أمكنني الرحيل معه!

«مثير... أكمل».

نقل أوتّو بصره بضعة أسطر إلى أسفل. حملته زخرفة الكتابة بالريشة على تحريك عينيه.

..يستحيل الحديث معه اليوم. إنه يعاملني كما لو كنت غريبة عنه. يقرأ أخبار صحيفة «الأمة» كالمجنون، ويوجه إليّ أسئلة غريبة. أصرّ على أن أساعده في إيجاد معلومات عن فنان معماري فرنسي يدعى أرنولد دورو. لم أسمع عنه من قبل، حتى لو كان أتامنتي يردد أنه «مستقبلي». يبدو غاضباً؛ لأنه قال لي إنه يتحتم على الجميع معرفة المستقبليين. أما أنا فلا أعرف ماذا يكونون بكل دقة: ثائرون غريبو الأطوار؟ معتوهون حالمون؟ كتّاب متواضعون؟ فنانون؟ أياً ما كانوا، لا أعبأ بهم، كما لا أعبأ بالحرب التي تدنو منا أكثر فأكثر.

الشيء الوحيد الذي أهتم لأمره هو الرحلة إلى أمريكا، والتي كلما دنا موعدها، ابتعد أتامنتي عزيزي عني أكثر.

طالَعَا معاً الصفحات التالية حتى بلَغَا فقرة مهمة حقاً.

لا أصدّق أذني: لن يرحل أتامنتي غداً. يقول إنه اتخذ القرار هذا المساء، ولن يذهب فجراً مع الطلاب الثمانية الآخرين الذين اختارهم البروفيسور زاب. أكدت له أن هذا كله خطأ، وأنه يتحتم عليه الرحيل، لكن أتامنتي يبدو مصراً. لن يذهب إلى نابولي ليستقل السفينة. لماذا؟ لماذا؟

يكرر لي أتامنتي أنه لم يفعل شيئاً سوى التفكير في فكرة البروفيسور زاب، ليل نهار، وقد قرر البقاء.

عندما سألته أي شيء يقصد بـ«فكرة البروفيسور زاب»، لم يجبني. يردد عبارات غريبة، ويتحدث عن رؤية ما لعالم أفضل، مكان لا تطاله الحروب،

Twitter: @ketab_n

ومستقبل سعيد. أنا لا أرى ما يعيب في هذا كله. لكن ليفعل ذلك، ولينفذ فكرته، يجب عليه الاختفاء. وهو لا يود الاختفاء. يريد البقاء. يريد البقاء معي!

لا بد من أن عباراته تنطق بالحب، لكنني أجدها بلا مغزى، إنها كلمات من يعاني عذاباً أليماً...

تنهدت ميديا. «لو أخبرني أحدهم بذلك، لما قضيت أيامي بحثاً عن التحف».

ابتسم أوتّو. صارت ملاحظات أرميلا في الصفحات التالية أكثر ندرة وتعجلاً.

..كررت لأتامنتي أنه يسيء الاختيار، ولا ينبغي له ترك فرصة كتلك. لربما أراد طلاب آخرون الرحيل بدلاً منه، فقط إذا كان قد أخبر البروفيسور. لا يمكنه أن يقرر البقاء في بيزا عشية السفر.

«من طريقة سير الأمور بعد ذلك... أعتقد أن أتامنتي قد فعل خيراً بعدم السفر» قالت ميديا.

«أتقولين إنه كان يعلم بما سيحدث لأنكونا؟».

«لا، ربما...».

«أكان يتمتع بحاسة سادسة؟».

«يُحتَمل. وإن كنت أفضل الاعتقاد بأنه قرر عدم ترك أرميلا وحدها» أتم القراءة.

«لم يتبق سوى القليل، يبدو لي...» همس الصبي، مقلباً صفحات المذكرات التي تكاد تخلو من الكتابة.

«عرفت أرميلا عن غرق السفينة، وهي سعيدة بعدم رحيل أتامنتي. يقول

Twitter: @ketab_n

لها إن كان يشعر بذلك... وانتظري! يقول هنا أتامنتي إن مشروع الأساتذة الثلاثة هو محض جنون، وأنه ما كان يجب القيام بالرحلة، فلن يصل أي منهم إلى المدينة الجديدة».

وعند تلك الكلمات، قفز شيء ما إلى رأس أوتّو! «*اذهب أنت*»!

«مشروع الأساتذة الثلاثة؟» تساءلت ميديا. «وعن أي مدينة جديدة يتحدث؟».

رفع أوتّو يده إلى فمه... «ها هو حيث يجب أن أذهب».

«ماذا تقول؟».

عندما أهدى أتامنتي المنشور إلى جدي، ترك له بطاقة تقول ببساطة: «اذهب أنت!»، لكن لم يدرك الجد بريمو قط ماذا تعني العبارة، ولم يسأل عن ذلك. وقد كتب لي أنه ربما كان بمقدوري أن أفهم بدلاً منه. والآن تأتي هذه الرحلة إلى المدينة الجديدة...» شعر الصبي برجفة تتملكه، تأتي من بعيد للغاية، كزئير مخلوق استيقظ تواً. «لقد كان كل شيء هنا، في هذه المذكرات...أوه فقط لو قرأها الجد! يجب علينا... بل يجب أن أفهم، يا عمتي... عن أي شيء يتحدثون، وماذا حدث لتلك السفينة».

«حدث أن اختار جدك الأكبر البقاء إلى جوار من يحب، بدلاً من أن يستقل السفينة مع أحد الأساتذة، وثمانية طلاب آخرين... تلك السفينة التي أغرقها النمساويون في ما بعد».

حدّق بها أوتّو. «أتقولين نمساويين أم إنجليز؟».

ضحكت العمة ميديا. «لقد غرقت السفينة، يا أوتّو. وقد وجدها بعض الباحثين عن حطام السفن منذ عامين على امتداد شواطئ سردينيا».

«ألا يحتمل عدم وجود البروفيسور، والطلاب على متنها؟».

Twitter: @ketab_n

«ولماذا؟ لقد سمعت ما كُتب في النعي، أليس كذلك؟».

«إنه لا يثبت شيئاً..».

«لا يوجد ما يدفع إلى...».

«الاختفاء. وفقاً لأرميلا، لم يُردْ أتامنتي الاختفاء».

«كانت تقصد في رأيي أنه لم يرد الذهاب إلى أمريكا بينما تنشغل إيطاليا بالحرب، ألا تظن ذلك؟».

لم يبد أوتّو مقتنعاً. يوجد ما يلح على ذهنه باستمرار: أتامنتي، العلبة المنشورية، رحلة لم تتم، عائلتا فولجوري وليجوانا اللتان ارتبطتا معاً منذ ذلك الحين بشكل ما، وأستاذ إيطالي-ألماني غريب وضع توقيعه على لوحة أكثر غرابة، وهي خريطة خيالية تشير إلى المدرسة العليا، وكتاب مختفٍ استعاره جده أكثر من مرة، والآن إشارة إلى رحلة غريبة إلى مدينة جديدة، يتطلب الشروع فيها الاختفاء. والجد الأكبر يفضل البقاء إلى جوار أرميلا.

أرميلا.

الإهداء على ظهر اللوحة يقول: كي لا أفقدك وأختفي.

إنه لأرميلا إذن.

أرميلا تعني المجال السواري.

مجال الكواكب.

«انتظري... انتظري!» هتف أوتّو بغتة.

«هل لديك حاسوب يتصل بالإنترنت؟».

«في الأسفل. لماذا؟».

«طرأت لي فكرة».

هرعا إلى مكتب ميديا كصبيين صغيرين. «هل يمكنني أن أعرف...».

Twitter: @ketab_n

«أحتاج إلى «فيرفوكس»[5] خاصتي».

شغّل أوتّو جهاز الماكنتوش، وأطلق فيرفوكس، وولج جوجل، ثم ضغط الرقم الذي نُقش مرتين على العلبة المنشورية .365.26. انتظر أقل من ثانية، «يا للجهل!» قال، عندما قرأ النتيجة.

«ماذا؟».

«إنه عدد الأيام التي تستغرقها الأرض لتتم دورة كاملة حول الشمس! وقد ذُكِر مرتان لأنه... عدد الأيام ذاتها التي يستغرقها القمر أيضاً. انظري!».

ضغط بعض الأرقام الأخرى على لوحة الحاسوب، قبل أن يكمل: «الأرقام المتقابلة تشير إلى أبعاد الكواكب بالكيلومترات!».

«وماذا إذن؟».

«أعتقد أنه ينبغي علينا الذهاب لرؤية الأسطرلابات التي كنت تتحدثين عنها، تلك التي توجد في متحف فلورنسا».

وافقت العمة ميديا مأخوذة. «حاول إدخال الأرقام الأخرى» قالت. دوت في تلك اللحظة آلة تنبية إحدى السيارات.

«يا إلهي!» صاحت. وبدت وكأنها تستيقظ بغتة.

نظرت إلى الساعة. «يا إلهي، كيف نسيت ذلك؟ يجب أن أخرج مع أحد الأصدقاء، لكن... انظر في أي حال أنا! بخيوط العنكبوت في شعري!» نظر أوتّو خارجاً من النافذة. «هل صديقك هو ذلك الرجل في السيارة المكشوفة».

«أجل، إنه مجرد صديق، لكن...».

«لكن.. فهمت. لن نذهب إلى متحف فلورنسا اليوم».

(5) متصفح إنترنت مجاني وحر. (المترجمة)

Twitter: @ketab_n

«لا. لا. انتظر لحظة واحدة. سأذهب لأتحدث معه. لا تتحرك».

وعبر النافذة، رأى أوتّو الرجل يعبر بوابة المنزل. وبخلاف كونه مجرد صديق، كان يحمل معه باقة صغيرة من الزهور. بدا أنيقاً، شعره مرتب، وترتسم فوق شفتيه ابتسامة ساحرة. هرعت إليه العمة، احتضنته، وتبادلا قبلة سريعة، ثم شرعا في الحديث. وقع شجار صغير جعل أوتّو يدرك أنه قد أطال التطفل كثيراً.

عاد الصبي إلى الحاسوب، وواصل إدخال أرقام المنشور على محرك بحث جوجل. وجدها كلها، في حساب متقن. تمثل الأرقام الأيام التي تستغرقها كواكب المجموعة الشمسية لتتم دورتها حول الشمس، وأبعادها بالكيلومترات. يقابل 356.26 يوماً 12.759 كيلومتراً للأرض، و 686.98 يوماً لقاء 6790 للمريخ، وهكذا. كان الصفر يشير، بالطبع، إلى الأيام التي تستغرقها الشمس.

صار للأرقام، التي لم تكن توحي له حتى تلك اللحظة بأي شيء، منطق خاص بها.

سمع أوتّو وقْعَ خطى العمة تعود إلى المنزل، وتصعد درجات السلم.

«هل غضب؟» سألها.

«ليس بالضبط، لقد حولنا نزهة ما بعد الظهيرة إلى عشاء في المساء. إذن لننْهِ ذلك سريعاً يا ابن العم. هل أنت مستعد؟».

Twitter: @ketab_n

6. حركة الكواكب الخفية

فرن حقيقي.

كانت الحرارة داخل سيارة العمة الفولكس فاجن الخنفساء مرتفعة بشكل لا يُحتَمل. كانت موديلاً عتيقاً لا يوجد به تكييف للهواء، أو زجاج كهربائي. ولكي يرفع أوتّو الزجاج، أو يخفضه، كان يضطر لإدارة المقبض بكلتا يديه. فكر مجدداً في سيارة صديق العمة الرياضية المتوهجة، واجتاحه شعورٌ بالحسد.

تحقّقا للمرة الألف من أنهما قد أخذا كل شيء، ثم انطلقا صوب فلورنسا. وطيلة طريق فلورنسا– بيزا – ليفورنا، تناولا بالحديث كل شيء، لكن عندما بلغا طريق الفيادوتو ديل إنديانو، صمتا بغتة. وصلا في لحظات إلى فلورنسا، حيث كان الجو شديد الحرارة.

دخلا مباشرة إلى مركز المدينة التاريخي، بفضل التصاريح التي تحصل عليها العمة. أوقفا السيارة في زقاق ضيق مختفٍ عن الأعين، وسارا بمحاذاة قصر كاستيلاّني، الذي ترتفع أمامه ساعة شمسية حديثة. فوق عمود معدني أسود تدور كرة من الزجاج المنفوخ، تُلقي على الباحة ظلاًّ يشير إلى الساعة، والبرج الفلكي.

عندما وصلا المتحف، كانت ثيابهما تلتصق بجسديهما. كان المبنى مغلقاً، لكن ميديا لم تتخل عن شجاعتها. تناولت هاتفها الجوال، وأجرت مكالمتين.

نجحت بعد نصف ساعة في تقصي أثر أحد الحراس، وأقنعته أن يفتح لهما الأبواب.

«هاتفيني عندما تنتهين» أوصاها الرجل.

Twitter: @ketab_n

دخلا إلى صمت مطبق، مستمتعين بزيارتهما في وحدة تامة. جاب أوتّو بنهم القاعات المزدحمة بالأجهزة الرياضية والعلمية القديمة، وطرز ساعات شمسية تعود إلى عصر النهضة المتأخر، ومناظير جاليليو جاليلي، ثم توقف في القاعة السابعة مذهولاً أمام مجال سانتوتشي السواري الذي أشارت إليه العمة ميديا.

كان ضخماً حقاً، يتوسط الحجرة المفروشة بالخرائط. أحيطت الكرة بحاجز يمنع الاقتراب منها، وهي تتكون من شبه دائرتين مذهبتين، وضعت إحداهما فوق الأخرى على ارتفاع خط الاستواء، ويضمان عدداً لا يُحصى من الأسطوانات المحفورة من خشب الزان، والمطلية بالذهب، والقادرة على الدوران داخل هذا الجهاز، وهو كوكب الأرض. يستند القفص الذهبي من الحلقات المتداخلة إلى قاعدة لها أربعة أرجل منحوتة على هيئة عروس البحر.

حركة الكواكب. فكر أوتّو، وهو يقترب ليتأمل حركة الدوائر المتداخلة العجيبة، والمرسومة يدوياً مع مواضع النجوم والكواكب.

بدا كما لو أن تلك الآلة الضخمة التي تعود إلى عصر النهضة تتحدث إليه.

جلس على مقعد في زاوية الحجرة، وأخذ بين يديه العلبة المنشورية، بأرقامها التي تمثل الأبعاد الفلكية الضخمة لذلك النظام الشمسي ذاته.

وهنا فقط، أمام الكرة، أدرك أوتّو تفصيلة مهمة: إذا كان لترتيب الكواكب المختلفة أهمية في حل لغز المنشور، فإن أول ما يجب الاعتداد به هو أن الشمس لا تحتل مركز آلة الكون، تلك كما يجب أن يكون، بل تحتله الأرض.

«ربما...» همس أوتّو. «يجب أن أتبع الترتيب ذاته».

هبّ من مقعده، وبدأ في تحريك مثلثات المنشور بطريقة تجمع بين أبعاد الكواكب، وفترات دورانها حول الشمس، وعندما انتهى من ذلك، ضغط

Twitter: @ketab_n

أولاً المثلثين اللذين يطابقان إحداثيات الأرض.

كليك - كليك... وظلا مضغوطين.

راجع أوتّو المجال السواري ليعرف أي الأجرام السماوية أقرب. إنه القمر. والتالي هو عطارد: 4878 كيلومتراً، و87.97 يوماً في دورته حول الشمس.

ضغطهما معاً.

كليك.

اختفى المثلثان داخل العلبة المنشورية مُصدريْن صفيراً شبه مسموع.

تابع أوتّو وقلبه يقفز إلى حلقه، وفق الترتيب «البطلمي» لعالم الدوائر المتداخلة. وبعد عطارد، جاء دور الزهرة، ثم الشمس، والمريخ، والمشتري، وزحل.

وكلما ضغط المثلثات، اختفت داخل المنشور، ودار المنشور ذاته، وعدل من شكله. بدا أن المنشور ذا العشرين وجهاً يفقد بعض جوانبه، وأوجهه محولاً إياها إلى شيء آخر.

انتهت دوائر سانتوتشي، ربما لأنهم في القرن السادس عشر كانوا يجهلون وجود كواكب أخرى، لكن أوتّو لم يتوقف. كان يمسك بين يديه ما يشبه مكعباً نابضاً، وبدت له، من خلاله، رؤوس شرارات كهربية صغيرة، أشبه بنبضات كهربائية بسيطة.

أورانوس.

نبتون.

وأخيراً كفّ المنشور عن التحول.

رفعه أوتّو، ووضعه أمام عينيه.

«يا إلهي المقدس...» تمتم.

لقد صار المنشور الذي يحمل أرقام الكواكب... شيئاً آخر.

Twitter: @ketab_n

«أوتّو!» دعته عمته. «أوتّو، أين أنت؟».

دسّ الصبي الجهاز في جيب بنطاله، وهدأ، عندما رأى ميديا بمفردها.

هرع إليها، وبينما هو يمر إلى جوار القفص الذهبي لمجال سانتوتشي السواري، انبعث من جيب بنطاله شعاع أزرق.

صرخت العمة ميديا، وتوقف أوتّو بغتة. لقد احترق القماش الداخلي لبنطاله تماماً.

«ماذا حدث؟».

«لا أدري!».

كانت النجمة ذات المستويات المتداخلة التي تحولت إليها العلبة المنشورية ساخنة، وبدت كأنها تنبض بخفة في يده.

«أعتقد أنها هي...» قال أوتّو، وهو يزنها بيده.

بدا كما لو أن طاقة ما ظلت خامدة حتى تلك اللحظة، وتنبض داخل الجهاز. طاقة شكلّت دائرة كهربائية مع...

أدنى أوتّو المنشور من المجال السواري الذهبي... وزوت! ظهر بين الآلتين قوس كهربائي براق.

«أوتّو!».

وثب الصبي إلى الوراء، لكنه ابتسم: «أرأيت؟».

«رأيت، أجل، لكن من أين تأتي تلك الشحنات؟».

«من منشور أتامنتي، يا عمتي!» قفز فوق الحاجز الذي يحمي المجال السواري، وأخذ يحدق فيه عن قرب.

«انتبه!» تابعت العمة. «إذا اكتشفوا أمرنا، أو أحدثت أضراراً...».

«وقد ينطلق جرس الإنذار أيضاً...».

Twitter: @ketab_n

«كان من الأحرى به أن ينطلق مع الهزات الأولى... الهزات التي تأتي من... من هنا... كما أعتقد» انحنى ليتطلع إلى تشابك الحلقات متحدة المركز.

انزلقت أصابعه بامتداد خط الاستواء الأكبر في المجال، وبلغت مقبضاً مائلاً يوجد في الداخل. «أوه، يا إلهي!» قال.

« أوه، ماذا؟».

«أعرف أنك لن تصدقيني يا عمتي، لكن...».

«لكن، ماذا؟».

«لكن هذا المقبض يتطابق مع...» قرب آلة جده إلى الآلة التي تدير المجال السواري كاملاً.

«أنت تضعنا في مأزق، يا أوتّو. هلم إلي!».

«لا أستطيع».

«بل تستطيع، لقد دخلنا إلى هنا؛ لأن المدير قدَّم لي معروفاً، ولا يمكننا...».

زوت! أصابت شحنة كهربائية ثالثة ذراع أوتّو بالرجفة، مطلقةً شعاعاً أزرق انتشر في الغرفة كلها.

«أوه، يا إلهي!» هتف الصبي.

بدأت حلقات المجال السواري في الحركة ببطء، الواحدة تلو الأخرى، وهي تدور على مسنناتها.

« ماذا فعلت؟».

«لقد أعدتها إلى العمل... كما أعتقد...».

«أوتّو!».

Twitter: @ketab_n

أخذت الحلقات في الدوران بحركة التروس البطيئة. دوائر تدور حول دوائر أخرى بشكل هادئ. بدا كل شيء يتحرك بدقة متناهية بفضل التحكم الداخلي: تدور الكواكب كل منها حول الآخر، وتدور جميعها حول الأرض. وفي تلك الأثناء، ينبعث من المركز شعاع أزرق باهت.

«هلم إليّ!» توسلت إليه العمة للمرة الأخيرة.

تزامن صفير هوائي، وقعقعة مع حركة الدوائر التي تتخذ موضعاً يتيح ترك ما يشبه الفتحة بينها، أشبه بدرع خنفساء عملاقة ينقسم إلى جزأين ليخرج الجناحين.

نشأت فتحة صغيرة تماثل حرف V، وتتوافق مع الأرض.

لبضع لحظات طويلة لم يحدث شيء، ثم برزت من الجسم الكروي الداخلي قدمٌ داكنة، ثم أخرى، وتلتهما ساقان معدنيتان، طويلتان، ورفيعتان.

رأى أوتّو وميديا مشدوهين مخلوقاً معدنياً ظل حتى تلك اللحظة حبيس أجزاء آلة عصر النهضة، وقد لامس الأرض الآن، وانتصب على قدميه أمام أعينهما.

Twitter: @ketab_n

5. جالينو، عفواً

كان أطول قامة بقليل من أوتّو، رأسه مستطيل كرأس النملة، وعنقه رفيع وصدره أملس، وهندسي. يغلق الآلي المعدني الشريحتين اللتين تقومان مقام الجفنين على عينين أشبه بكرتين صغيرتين من الزجاج الرمادي. ويظهر عند الصدر تجويف أزرق اللون، وأسفل منه تبدو لوحة مفاتيح بدائية تحمل أرقام ورموز الحساب العربي، وتشبه لوحة آلة حاسبة قديمة، وتضم الأرقام من صفر إلى 9، وعلامات الترقيم، ورموز العمليات الحسابية. ومن الجانبين يبرز محركان أنيقان، ومكابس، وعجلات تروس صغيرة تبدو في حركة دائمة. كانت الساقان المثبتتان فوق شبه دائرتين تستقران على ارتفاع الحوض، طويلتين، رفيعتين، وتنتهيان بقدمين طويلتين أيضاً، ودقيقتين كأقدام الحشرات. لم يكن للآلي أنف، وقد حمل الثقبان اللذان يقومان مقام الفم عنده أوتّو على التفكير بخيوط مصفاة الشاي.

ظل أوتّو وميديا طويلاً في حيرة بين الهرب سريعاً، أو الاقتراب. استجمع أوتّو شجاعته، ورفع يده، وقال في خجل « أهلاً.. ».

حرك الآلي عنقه سريعاً، ونظر إليه، ولم يفه بشيء.

«هل تفهمني؟».

أومأ الآلي إيماءة سريعة برأسه.

رفعت ميديا يدها إلى فمها متعجبة.

«أيمكنك الحديث أيضاً؟».

صدرت تكتكات من صدر الإنسان الآلي، وتلاها حفيف عميق، يشبه أزيز رأس دبوس صغير فوق إسطوانة من الفينيل.

Twitter: @ketab_n

«يمكن... الحديث، عفواً» أجاب الآخر بعد بضع ثوان. وفصلت بين الكلمتين تكتكات سريعة.

أمسكت العمة ميديا بكتفيْ أوتّو. « اسأله ما يكون..».

«من أنت؟».

« تك... اسمي جالينو هو جالينو».

« أهلاً، جالينو.. أنا أوتّو، وهي ميديا».

تحول وجه الآلي بينهما محركاً عينيه المستديرتين.

«وماذا تفعل هنا؟».

«لقد استيقظ جالينو.. تواً... عفواً».

«ثم ماذا؟».

تكتكة ودويّ وحفيف. بدا أن الوحدة الصوتية الداخلية للآلي تغير أسطوانتها. «إن جالينو هو مرشد إعمار سيبوريا».

«سيبوريا؟ وما سيبوريا؟».

«سيبوريا هي المدينة الجديدة». رفع الآلي ذراعه، دافعاً ميديا للوثب.

«المدينة الجديدة!» صاح أوتّو. « هل توجد حقاً؟!».

وكإجابة شافية، حدق فيه جالينو بعينيه الزجاجيتين.

«وهل أنت مرشد؟».

«جالينو هو مرشد إعمار سيبوريا، عفواً» كرر الآلي.

عند ذلك الحد، بدا أن ميديا قد استعادت بغتة جزءاً من إدراكها. أشارت إلى أجهزة المجال السواري، وانطلقت: «اعذرني إذا ما سألتك، لكن... ماذا كنت تفعل... هناك بالداخل؟».

استدار جالينو لينظر إلى دوائر مجال سانتوتشي السواري المتداخلة، مصدراً

Twitter: @ketab_n

أزيز تروس يشبه صوت مئة ساعة أتوماتيكية تدور معاً في الوقت ذاته.

« كنت أنتظر شحنة لومن».

«أعتقد أنها تلك الشحنة الكهربائية التي انطلقت من جيبي...» غامر أوتّو. «أليس صحيحاً؟».

«لومن هو الإشعاع الدافع الكهربائي الطبيعي النافع» عقب جالينو، وهو يلمس في الوقت ذاته بطنه، حيث ينبعث ذلك الضوء في دفقات منتظمة.

«يا إلهي» همست ميديا. «يا إلهي، لا أستطيع التصديق». كانت في موقف عبثي حتى أنها لم تستطع سوى تحريك يديها، ثم تنهدت. «والآن ماذا سنفعل؟».

«هل تستطيع الحركة؟» سأل أوتّو جالينو.

«جالينو يستطيع الحركة، عفواً. يستطيع الحركة في كل اتجاه».

«عظيم! إذن هل يمكنك أن تقودنا إلى هذه المدينة الجديدة؟ إلى سيبوريا؟».

«جالينو هو...».

« مرشد.. إلخ إلخ إلخ!» قاطعته ميديا.. لقد فهمنا!».

صمت الآلي بدوي سدادة هواء مضغوط، ووكز أوتّو المرأة. «عمتي، من فضلك! دعيني أتحدث!».

«أوه، طبعاً، لتفعل كما تشاء. فنحن في متحف تاريخ العلوم في فلورنسا نثرثر مع إنسان آلي حديدي، خرج من أسطرلاب سواري يعود إلى القرن السادس عشر...».

«عفواً!» قاطعها جالينو. «إن أجزائي الحديدية لا تتجاوز 28٪ من الإجمالي».

Twitter: @ketab_n

تجاهله أوتّو. «ثم إنني أراهن على أن جالينو أكثر حداثة بكثير من تلك الآلة الحديدية المذهّبة العتيقة. كم عمرك، يا جالينو؟».

«جالينو..» طنطن الآلي. «ولد جالينو في السادس من مارس 1939».

«ماذا قلت لك؟».

«تبقى أن نقرر ماذا سنفعل به».

«أعتقد أننا يجب أن نصطحبه معنا».

«هل جننت، يا أوتّو؟ لا يمكننا أن نأخذه معنا!».

«ولِمَ لا؟».

«لأنه لا يخصنا!» غمغمت ميديا.

«ومن يخص؟ المتحف؟ لم يكن جزءاً من الأسطرلاب... كان هنا بمفرده، ينام بالداخل! انظري!» أخرج آلة الجد من المقبض في قاع الكرة، وبدأت الحلقات في الدوران ببطء، مغلقةً الممر الذي انفتح قبل ذلك بقليل.

«هل رأيت؟ لقد عاد كما في السابق!».

«لكن...».

«لا أحد يملك جالينو» أصرّ الصبي، عاقداً ذراعيه. «إذن يمكنه المجيء معنا».

نظرت ميديا إلى الآلي في تردد. لم ترد ارتكاب خطأ بحقّ مدير المتحف الذي سمح لها بهذه الزيارة خارج مواعيد العمل الرسمية، لكن من جانب آخر، يعود السبب في وجودهما في ذلك المكان إلى إصرار أوتّو، والسر الغامض الذي يلف عائلتهما. والآن– شاءت أم أبت– صارت غارقة في هذا الأمر حتى أذنيها. «اتفقنا، اتفقنا!» صاحت مضطربة. « سنأخذه معنا، شريطة أن يتبعنا على قدميه!».

Twitter: @ketab_n

«جالينو!» ابتهج الصبي. «اتبعني مهما حدث! وحاول ألا تلمس شيئاً، اتفقنا؟».

«مفهوم» أجاب الآلي، متجاوزاً في صرامة الحاجز الواقي. «دون أن ألمس شيئاً، عفواً».

سار الآلي مترنحاً على ساقيه الطويلتين كساقيْ البلشون، وترك ذراعيه تتدليان إلى جواره، وشق الهواء بوجهه المدبب. كان يتقدم بخطى محددة، لا تخلو من الأناقة، وتوحي بين الحين والآخر بخطى راقص باليه رفيع المستوى. وإذا ما اضطر للتوقف، بدت عليه الدهشة، وثبت قدميه، واستند إلى أصابعه الضخمة قبل أن يستعيد توازنه مجدداً؛ وإذا ما اضطر للدوران، لفّ جذعه كله أولاً، ثم أتبعه بالقدمين، في وثبة.

تنهدت ميديا مضطربة، وهي تشعر به يسير إلى جوارها. «علينا أن نحاول الخروج دون أن نثير الانتباه، اتفقنا؟».

عادت الابتسامة تضيء وجه أوتّو. «سترين أننا سننجح في ذلك».

نظرت العمة إلى جالينو الذي يسير إلى جوارهما.

«يكفي أن ندخله السيارة دون أن يرانا أحد» تابع أوتّو.

أطلّت ميديا من إحدى النوافذ. «بالضبط. سأذهب لإحضار السيارة، وسآتي بها أمام المدخل، وستضعه أنت داخلها. ولنأمل ألا يمر أحد في تلك اللحظة. لكن أولاً...» قيّمت الآلي بنظرة خبيرة. «انتظراني لحظة هنا، ولا تتحركا» أمرتهما.

«لننتظر» قال أوتّو.

«لننتظر» كرر جالينو. «عفواً».

عادت إليهما بعد بضع دقائق بمعطف داكن، وقبعة من السعف الأبيض.

Twitter: @ketab_n

«أين وجدتِهما؟» سألها أوتّو.

«في مكتب المدير!» ناولتهما إلى جالينو. «ارتدهما، هيا!».

طنطنت إسطوانات حوار الآلي: «التعليمات غير مطابقة، عفواً». أمسك المعطف، ورفعه أمام عينيه. «ثوب من القماش الثقيل القديم، لونه خفيف، باهت. غير مناسب، غير مناسب».

«ليست هذه هي اللحظة المناسبة لإظهار غرابة الأذواق!» اندفعت ميديا.

« هذا ما وجدته، وسترتديه!».

«أرتديه؟ جالينو يجب ألا يرتدي ثياباً. هذه ثياب. وجالينو ليس لديه ثياب».

«وصار لديه الآن، وسترتديهما؛ لأنك يجب أن تمر دون أن يلحظك أحد... وأنت هكذا... عارٍ! يلزمك ثوب».

«يلزم ثوب!» صاح الآلي، وهو يشعر بالإهانة تقريباً، وتابع بعد طنين طويل. «ينبغي أن يكون الثوب بسيطاً، مريحاً، خفيفاً، غير متماثل، صحياً، قليل الاستخدام، ومتنوعاً، ولا بد من استبعاد أي امتزاج بين اللونين الأسود والأصفر».

تبادلت العمة وابن العم نظرة طويلة.

«إن له ذوقاً خاصاً في ما يخص الثياب» قال أوتّو.

«لا أعبأ بذوقه!» كررت ميديا في عجلة. «لنقم بذلك: اهتم أنت بحمله على ارتداء المعطف؛ لأنه يبدو أنك تفهم ما يقول وتحتمله. وسأذهب أنا لأحضر السيارة. سنلتقي أمام المدخل خلال عشر دقائق».

«قبعة» لاحظها جالينو في تلك الأثناء، رفع القبعة الصيفية البيضاء. «ذات لون أبيض بهيج». لكن هذه المرة، ودون أن يضيف شيئاً، وضعها على رأسه

Twitter: @ketab_n

مائلة إلى الأمام واليسار.

لم يمر الأمر سريعاً، أجبر أوتّو الآلي على ارتداء المعطف أيضاً، وقد قام بعدة دورات حوله، غير عابئ باعتراضاته ومحاولاته التملص منه. وبعد أن انتهيا، كان الثوب ينسدل جيداً فوق كتفيه، والقبعة تخفي في أناقة حقة جزءاً من وجهه المدبب.

«لقد صرت دون جوان حقيقياً، يا جالينو» ابتهج الصبي، بعد أن انتهى من عمله.

«دون جوان..» طنطن جالينو. «مصطلح غير موجود في معجم جالينو».

«دعك من ذلك، إنه مجرد تعبير. أنت أنيق للغاية».

«نبغي القضاء على الأناقة الجامدة، المرهقة» أجاب الآلي. «نبغي إضفاء لون الجرأة والمغامرة البهيجة على الثياب».

«رائع» ضحك أوتّو لتلك العبارات المدرسية التي لا تتواءم مع الموقف. «أنت جريء بارتدائك المعطف فحسب. ومضحك للغاية أيضاً».

«تحقق الهدف» طنطن جالينو تابعاً الصبي إلى مدخل المتحف.

وبينما هما ينتظران رؤية ميديا تمر أمام شباك التذاكر، كان قلب أوتّو ينبض في جنون، ولم يستطع رفع نظره للحظة واحدة عن جانب وجه الآلي المعدني.

«جالينو... ما هي المدينة الجديدة؟».

«إنها سيبوريا».

«وما سيبوريا؟».

«توليفة النبوغ» أجاب الآلي.

« توليفة ماذا؟».

«الاستقلالية، والطموح، والحيوية، والإرادة، والمبادرة، والكمال

Twitter: @ketab_n

الصناعي، والأناقة، والقدرة، واللباقة، والحصانة، والتطور، والعزيمة، عفواً».

لم يستطع أوتّو أن يسأله شيئاً آخر، وقد أذهله شلال تلك الكلمات.

«وهل تعرف الطريق إلى سيبوريا؟».

«بالتأكيد».

«ويمكنك أن تحملني إليها».

«جالينو لا يمكنه أن يحمل إلى سيبوريا إلا مواطني سيبوريا».

«وكيف يمكن أن أصير أحد مواطني سيبوريا».

«لا بد من إظهار كونك مواطناً مثالياً محتملاً».

«مثالي مثل هكتور زاب؟».

أدار جالينو رأسه حتى استوعب أوتّو في عينيه الزجاجيتين الواسعتين «هل تعرف هكتور زاب، عفواً؟».

«لقد سمعت عنه. وأنت؟».

«لقد أتى هكتور زاب بجالينو إلى الحياة... في السادس من مارس 1939. ثم شرحت إليزابيث لجالينو ماذا يعني كونه مرشداً لإعمار سيبوريا، وأخيراً أرسله أرنولد في مهمة انتظار المواطنين المثاليين».

«تمهل... تمهل...» تمتم أوتّو مرتبكاً «لا أعرف إليزابيث، ولا أرنولد. عمن تتحدث؟».

«هكتور زاب، وإليزابيث بولير-ليتون، وأرنولد دورو هم مؤسسو سيبوريا. هكتور زاب، وإليزابيث بولير - ليتون، وأرنولد دورو هم أيضاً قادة الشبان الستة والعشرين المؤسسين، والشبان الستة والعشرون المؤسسون هم...».

«جالينو، توقف! لا أفهم شيئاً حقا» رجاه أوتّو.

توقف الآلي في منتصف سيره، وكانت ساقاه الطويلتان تبرزان من المعطف

Twitter: @ketab_n

كعوديْ تنظيف أسنان عملاقين.

«أريد أن أقول...» صحح أوتّو. «واصل السير، لكن توقف عن الحديث».

دوّى صوت المنبّه. وعبر الزجاج، رأى أوتّو خنفساء العمة ميديا تصل.

«على أية حال، ستشرح لي ذلك في ما بعد» قرر الصبي.

أشار إلى السيارة في الجانب الآخر من الطريق. «والآن يجب أن نذهب إلى هناك، أفهمت؟».

«لقد فهم جالينو».

«هلمّ خلفي! اتبعني مهما حدث، وحاول ألا تلمس شيئاً!».

«اتبع مهْما حدث». كرر الآلي «وحاولْ ألاّ تلمس شيئاً!».

خرج أوتّو من المتحف يتبعه الآلي مقعقعاً، فتح له باب السيارة، ودفعه إلى المقعد الخلفي، ثم جذب المقعد المجاور للسائق، وصعد سريعاً إلى السيارة.

وبينما هي تجلس خلف المقود، استدعت العمة ميديا الحارس، وأبلغته بأنهما سيغادران المتحف، ثم انتظرت وصوله وقد تبللت جبهتها بطبقة رقيقة من العرق البارد. وعندما جاء الحارس، أشارت له إشارة سريعة بيدها من النافذة، وانطلقت بكل قوتها، ورحلت سريعاً بمحاذاة نهر الأرنو.

«لقد فعلناها، أجل» ابتهج أوتّو.

«قل له أن يخفض رأسه!» صاحت العمة. ففي أول إشارة مرور، كان طفلان جالسين في المقعد الخلفي في إحدى السيارات المتوقفة إلى جوارهم، يحييان جالينو بأعين مفتوحة عن آخرها.

وكان الآلي يجيب بإشارة من يده المفتوحة.

عندما اختفت الخنفساء عن الرؤية، ترك رجل ضخم، حسن الهندام طاولة

Twitter: @ketab_n

البار، ووضع ورقة نقدية أسفل كوب الماء الذي لم يمسه، وهرع في صرامة صوب السيارة السوداء المتوقفة إلى الأمام قليلاً. أزاح في عدم اكتراث ورقة الغرامة الملصقة على واقي الزجاج الخلفي، وجلس أمام المقود، واقتحم نهر السيارات. خلال دقائق قليلة، بلغ الخنفساء القديمة، وأبطأ من سرعته.

ظل على مسافة كافية، دون أن يثير الانتباه، وتبعها حتى أشيانو، وصولاً إلى منزل يقع خارج البلدة. اقترب الرجل من حافة الطريق، ومكث يراقب طويلاً، ثم عندما بدأ الظلام يحل، قرر أن ينطلق بسيارته، ويقودها إلى كالتشي.

ترك فيلا فولجوري، وتابع سيره إلى البوابة الآلية لمقر ليجوانا. فتحها مصدراً صوت «بيب» كهربائي، وأوقف سيارته في فناء من الحصى الناعم.

عندما هبط من السيارة كان البستانيون لا يزالون يعملون.

Twitter: @ketab_n

4. الرجل ذو الرداء الأسود

«أعتقد أنه سيكون في حال أفضل عندي...» قررت ميديا موصدةً كافة النوافذ.

«هل أنت واثقة؟» سأل أوتّو، وقد اعتراه ضيق.

«لا يستحسن أن تحمله إلى منزلك! كيف ستشرح ذلك لوالدتك؟.. لقد توقف عن الحديث لحسن الحظ».

« لقد أمرته بذلك».

«رائع! هكذا يمكنني الكف عن التفكير فيه، بينما أطهو شيئاً لياجو».

«هل يدعى ياجو، صديقك صاحب السيارة الرياضية؟».

«أنبهك، لست في مزاج يحتمل تعليقات صبي في الثالثة عشرة من عمره حول أسماء أصدقائي، أو حول أننا نشكل معاً زوجاً بائساً». حدقت المرأة خارج النوافذ، بنظرة يملؤها القلق.

كانت الشمس مائلة إلى الغروب.

«لقد حان وقت انصرافك، بتلك الدراجة، وإلا من سيشرح الأمر لوالديك؟».

«لا تعبئي بوالدي. أريد أن أعرف كيف الوصول إلى سيبوريا!».

جلس أوتّو القرفصاء على السجادة أمام جالينو. بدا ذلك لميديا مشهداً خيالياً، وطبيعياً للغاية في الآن ذاته، ودون أن تسمع ما يقولان اتجهت إلى الحمام، حيث حاولت تجهيز نفسها.

عندما عادت سألها ابن العم «هل سمعت؟».

«وماذا يجب أن أسمعْ؟».

Twitter: @ketab_n

«تمت برمجة جالينو على اصطحابنا إلى المدينة، لكن يجب علينا إقناعه بذلك».

«وكيف نفعل؟».

«علينا أن نُظهر له أننا مواطنون مثاليون» أجاب أوتّو. «يتطلب الأمر منا عملياً أن نجتاز ما يشبه الاختبار».

«آه» ابتسمت ميديا مسترخية فوق مقعدها الغائض القديم.

«نوع من اختبارات القبول ليرى إن كان بمقدورنا الحصول على الجنسية؟».

«بالضبط» صاح أوتّو مبتهجاً.

«وهل اكتشفت ممّا يتكون هذا الاختبار؟».

«بالتأكيد. لكن هل يمكنك أن تخبرها أنت يا جالينو؟».

«تكفي الإجابة عن سؤال بسيط: كم عدد تروس العقل، عفواً؟» أوضح جالينو بنبرة معدنية.

«هل هذا كل شيء؟».

«كل شيء» أجاب أوتّو.

مرّرتْ ميديا يدها بين خصلات شعرها. «أين سمعت شيئاً مماثلاً من قبل؟».

«هذا يسير» أجاب أوتّو مثبتاً بصره عليها.

«إنه كتاب زاب».

« تروس العقل. علينا أن نحصل على نسخة منه».

ألقت العمة ميديا نظرة قلقة على الساعة «ما يجب علينا فعله، يا أوتّو... هو أن تعود إلى المنزل سريعاً، بينما ابتكر أنا عشاءً وارتدي ثوباً لائقاً. لقد تأخر

Twitter: @ketab_n

الوقت هلم!».

نهضت ميديا من مقعدها، لكن لم يبد الآخران أي حركة. حدقت فيهما، وسألت: «ماذا يجب أن نفعل عند معرفة الإجابة؟».

نظر أوتّو إلى كرتيْ جالينو الزجاجيتيْن. «أعتقد أننا يجب أن نوجه هذا السؤال إليه، فعندئذ سيقودنا إلى سيبوريا».

في كالتشي، خلع كاليبانو النظارة الشمسية، وصعد بخطوات صارمة واثقة إلى مكتب الكونت، ودخل بعد أن طرق الباب سريعاً.

«لقد جدّت أمور، يا سيدي» بدأ حديثه.

كان الكونت يتصفح كتاباً بشرود. «ماذا استجد؟».

«لقد التقى الصبي شخصاً غريباً اليوم في المتحف».

«ماذا تعني بـ«شخص غريب»؟».

«لا يمكنني قول المزيد، يا سيدي. لقد كان يرتدي معطفاً وقبعةً بيضاء».

«في هذا الجو الحار؟».

«كما ذكرت بالضبط، يا سيدي. أظن أنه كان تنكراً أكثر منه ثوباً، لكي لا يثير الانتباه».

«وماذا فعلوا؟».

«لقد استقلوا سيارة عالمة الآثار، وعادوا إلى منزل المرأة، حيث ظلوا يتحدثون حتى المساء، ثم أخذ الصبي دراجته، وقادها عائداً في الأغلب إلى فيلا فولجوري».

«والشخص الغريب؟».

«لقد مكث في منزل عالمة الآثار».

«لا بد من معرفة هويته!» اندفع الكونت ليجوانا، وهو يسير مضطرباً جيئة

Twitter: @ketab_n

وذهاباً في أرجاء الغرفة. «لا بد من اكتشاف ذلك، لكن... هل قلت في منزل المرأة؟ إذن يمكن لولدي الغبي اكتشاف ذلك!».

دار الكونت ليجوانا حول المكتب، وأمسك بسماعة الهاتف. انتظر بضع ثوان فقط، ثم صاح: «هل تسمعني؟ ربما كان من الأفضل أن تستقل سيارتك الآن!».

Twitter: @ketab_n

3. موت ضوء القمر

ها هو يعود إلى المنزل أخيراً.

طالما أحب أوتّو قيادة الدراجة ليلاً. كان يسحره مثلث الضوء الأبيض المنبعث من المصباح، بينما يدور المدوس مواجهاً لإطار الدراجة، ووميض السماء بين الأشجار السوداء، ونداءات الغابة الغامضة، يصعد صوب بوابة فيلا فوجوري الحديدية.

لكن تلك الليلة بدت مختلفة.

يفوح فيها شيء ما يخيفه.

كانت سلسلة دراجة الجد القديمة تتأرجح بانتظام في مواجهة الدوار، ودائرة الإطار 28 بوصة تدور سريعاً، وأول جزء من الطريق الذي يمتد حتى بأبيانا، ويحفظه أوتو عن ظهر قلب، ينحدر بقوة أسفل منه كشلال من الحبر.

إذن ما الذي يقلقه كثيراً؟

كانت ليلة غير مقمرة، من تلك الليالي التي تكتسي فيها السماء بلون أزرق داكن، وتبدو النجوم أكبر حجماً.

سلك أوتّو الطريق الصغير المعتاد، الذي يمتد إلى أعلى، وتوقف قبل انعطافة الدير. أخذ يرهف السمع إلى صفير الصراصير المتواصل.

فتش جيوبه بحثاً عن علبة الجد المنشورية، وتطلع إليها تحت ضوء النجوم. كانت الشرارات الكهربائية البدائية تصدر بعضاً من الشعاع الأزرق الغامض.

لومن.

طاقة المدينة الجديدة.

دسّ المنشور في جيبه، ووضع قدمه على مدوس الدراجة، متأهباً للانطلاق

Twitter: @ketab_n

مرة أخرى، لكنه توقف في تلك اللحظة. سمع بوضوح صخباً خلفه.

صوت خطوات.

خطوات معدنية مسرعة.

أحس أوتّو بالدم يتجمد في عروقه. وحاول أن يقنع نفسه بأنه مخطئ، لكن استمرت تلك الخطوات المنتظمة، والثابتة، ودنت منه. لم يتردد الصبي. حمل الدراجة، وترك الطريق سريعاً واختبأ خلف أجمات المستكة الكثيفة. توارى آملاً أن تختفي الخطوات، أو أن يكف قلبه عن النبض بعنف. ضم إليه دوار دراجة الجد البيانكي، كما فعل منذ بضعة أيام في الكهف. وصلّى.

كانت الخطوات تقترب، ثابتة، ودقيقة، تضرب الأسفلت في إيقاع كخطوات أحد العدائين.

حاول أوتّو أن يتطلع إلى الطريق، لكن الظلام كان دامساً. شعر بها تدنو أكثر، وأكثر، وتتوقف في النهاية، بغتةً، على مبعدة ثلاثة أمتار من الأجمة التي اختبأ خلفها.

حبس أوتّو أنفاسه متسائلاً عما يمكنه أن يفعل. أيجب عليه الهرب؟ مما؟

أدرك أن جيب بنطاله، حيث يضع العلبة المنشورية، ينبض بضوء أزرق، كما لو كان شفافاً. بدأت الدوائر الكهربائية في التوهج بغتة.

وضع أوتّو يده فوقه، ورأى انطباع ظل أصابعه. يستحيل عدم رؤية كل هذا الضوء من الطريق.

عاودت الخطوات سيرها. لكنها لم تعد تدق فوق الأسفلت. كانت في الغابة، بين الأجمات، على مقربة منه.

سمع أوتّو حفيف المستكة على المعدن، وتقوقع على نفسه أكثر، محاولاً الاختفاء في ظلام الأشجار الصغيرة.

Twitter: @ketab_n

أياً ما كان، فقد صار على مبعدة أمتار قليلة منه الآن. سمع طقطقات مفاصل معدنية تصدر في كل خطوة، وأحس بالتأرجح البطيء لجيروسكوب[6] يحقق التوازن اللازم.

توقف، بغتة.

الصراصير.

سيارات الوادي البعيدة للغاية.

وصوت محشرج: «وصل جالينو».

فتح أوتّو عينيه عن آخرهما، واسترخى. «جالينو؟» سأل.

ومجدداً «جالينو؟» وقف على قدميه، وخرج من بين الأجمات.

«ماذا تفعل هنا؟».

مال الآلي برأسه يميناً ثم يساراً، وكشف غلافان دقيقان عن عينيه الزجاجيتين وتراجعا. «جالينو يتبع التعليمات. أتبعك مهما حدث» ذكره. «وحاول ألا تلمس شيئاً». اجتاز أوتّو الأجمات في صخب، ممسكاً بدراجته عالياً فوق رأسه. «والآن ماذا ستقول العمة؟ هل أخبرتها؟».

«أخبرتها؟ لا. جالينو تبع التعليمات».

« لكن أتعلم العمة أنك هربت؟».

«لقد صاحت الآنسة ميديا بشيء ما. جالينو يتبعك مهما حدث! ودون أن يلمس شيئاً».

وضع أوتّو الدراجة فوق الأسفلت. «لكن لم يكن عليك أن تتبعني! لقد أُلغي هذا الأمر. ماذا سنفعل الآن؟ هل نعود إلى العمة، أم أصطحبك إلى منزلي؟ أوه، على أية حال، أنا في حاجة إلى هاتف لأخبر شخصاً ما!».

(6) جهاز حفظ التوازن. (المترجمة)

Twitter: @ketab_n

اِرتسم في ذهن الصبي موقفان طارئان متعارضان. الأول في منزله؛ لأنه لم يعد وقت العشاء، والثاني منزل العمة، حيث هرب جالينو.

«أنت صديق صعب حقاً» اندفع.

«صديق؟».

«صديق، أجل. أتعرف ما الصديق؟».

«سلْبيٌّ. لا يوجد هذا المصطلح في معجم جالينو». خفض الآلي رأسه صامتاً.

«بالفعل، لا يوجد صديق». فكر أوتّو، وهو يعتلي الدراجة.

«الصديق هو شخص تعرفه، يشبهك، ويؤدي الأشياء، دون أن تضطر لطلبها منه، هل تفهم؟ إنه شخص يظهر دائماً، عندما تكون في حاجة إليه، والذي... أوه، لكن ماذا أشرح لك؟».

«صديق» كرر جالينو، كما لو كان يتعلم لغة جديدة. «شخص تعرفه، يشبه جالينو، ويؤدي الأشياء وحده، ويظهر عندما تحتاج إليه».

«بالضبط. ويمكنك أن تولي ثقتك للصديق دائماً. أتفهم؟».

«جالينو يمكنه أن يولي ثقته للصديق دائماً».

«هكذا بالضبط».

طقطقة.

واصلا السير مسافة طويلة في صمت: أوتّو فوق الدراجة، وجالينو يركض خلفه.

وبغتة أدار الآلي وجهه المدبب صوب فيلا فولجوري، وسأل: «هل هذا صديق؟».

«لا» أجاب أوتّو دونما تفكير. «ليس هذا صديقاً. إنها بوابة فيلا

Twitter: @ketab_n

فوجوري». وماتت الكلمات في حلقه؛ لأنه في اللحظة ذاتها برز من خلف عمود البوابة الأيمن عملاق أكثر سواداً من الأسفلت، ومن الظلمة المحيطة، له كتفان عريضتان، غليظتان، واحتل منتصف الطريق. «أوه يا إلهي!» تمتم أوتّو. «لا يروق لي هذا على الإطلاق...».

تقدم الغريب خطوة إلى الأمام، وأصدر في صمت الليل، قعقعة. ورفع ذراعه كان يمسك في يده اليمنى ما يشبه بندقية ضخمة، غريبة، وأشار إليهما بيده الأخرى ليتوقفا.

كان أوتّو قد توقف بالفعل فزعاً، بينما استمر جالينو، لسبب غامض في الاقتراب من البوابة.

«صديق» كان يكرر. «صديق!».

كانت قبعته البيضاء تتأرجح في الظلام بطريقة غريبة، وبدا كشبح يطقطق. قعقع الظل العملاق مجدداً، وانبعثت منه رائحة كيروسين ورفع البندقية صوبهما.

«جالينو توقف» صرخ أوتّو.

باك!

أطلقت البندقية عالياً شبكة صيد ضخمة كغطاء عملاق. انفتحت الشبكة أثناء طيرانها، وقد أمسك بها، من أطرافها، عدد من العناكب المعدنية الدقيقة التي تحرك أقدامها بجنون في الهواء.

«هلم من هناك!» صاح أوتّو.

لكن لم تكن الشبكة مصوَّبةً إلى جالينو. أُطلقت نحو أوتّو، ودراجته، وما إن لامست الأرض، حتى أخذت تضيق. بدأت العناكب الصغيرة التي تتحكم في أطرافها في الاحتشاد كل منها إلى جوار الآخر، وتكوين ما يشبه الكمين

Twitter: @ketab_n

المحكم، مغلقة أطراف الشبكة حول أوتّو ودراجته.

«جالينو، أنقذني!» صرخ الصبي، وقد سقط أرضاً، وأخذ في تحريك يديه في اضطراب، محاولاً التحرر من الشبكة، التي تضيق بسرعة أكبر، عند كل حركة تصدر منه.

شرع العملاق الذي أعد الكمين عند البوابة في العدو نحوه. رآه أوتّو بطرف عينيه يلتهم الطريق كوحش معدني.

وعرفه.

عرفه، بينما يتقلب على الأرض داخل الشبكة.

«ممف! لا! لا!». «جالينو، اللعنة، افعل شيئاً!».

«جالينو يفعل شيئاً» كرر صوت الآلي.

«حاولْ إيقافه!».

ظل جالينو متردداً لجزء من الثانية، ثم توسط الطريق ليواجه اندفاع المعتدي. هجم الآخر عليه كالصاعقة. كان أضخم وأكبر منه مرتين.

«صديق؟».

«أنا لا أعرفك» هدر الظل المعدني. أمسك جالينو من جذعه وألقى به بعنف في الغابة، حيث سقط في دوي معدني، صاخب، متكرر.

ذلك الصوت! تقلب أوتّو فوق الأسفلت. كان واثقاً من أنه قد سمع ذلك الصوت من قبل يقول «السيارة على أهبة الاستعداد» للكونت ليجوانا. كان الصوت ذاته. *الصوت ذاته*.

سحق أوتّو أحد العناكب الصغيرة المهتزة التي تتحكم في الشبكة–الكمين، وحاول التدحرج جانباً. نجح بطريقة مّا في إخراج قدمٍ من الشبكة، ودفعها. رفع جزءاً من الشبكة، وأدرك أن دوار الدراجة يتيح له مساحةً ما للانزلاق

Twitter: @ketab_n

خارجاً. زحف بين القضيب والسلسلة غير عابئ بالخدوش؛ استند إلى قدمه الوحيدة الحرة، وخلص الساق الأخرى، ثم جزءاً من جذعه. كانت الشبكة تضيق، لكن ليس بالقوة الكافية لسحق الدراجة. بدأ الظل المعدني في العدو مجدداً.

«آآآآه!» صرخ أوتّو منزلقاً خارج الشبكة متدحرجاً. نزع العنكبوت الصغير الأخير من شعره، وترك العناكب الأخرى تحكم الشبكة تماماً على دراجته.

ظل أوتّو مذهولاً، وممدداً على الأرض، يراقب العملاق الأسود الذي يندفع نحوه.

رآه يرفع البندقية الضخمة مجدداً، ويصوبها إليه، وشعر هذه المرة بحرارة ضوء تحديد الهدف الأحمر المسلط على منتصف جبينه.

تراجع أوتّو سريعاً، ثم استدار، ونهض على قدميه، وأخذ في العدو على الطريق الأسفلتي.

باك!

ما إن دوّى ذلك الصوت مجدداً، حتى ألقى بنفسه جانباً بين الأجمات. تدحرج، وعاود النهوض مثل الزنبرك، دون أن يتوقف عن العدو لثانية واحدة. أحس بمطارده يفعل الشيء ذاته، ويتوغل في الغابة خلفه. ضاعف جهده، وانزلق بخفة وسرعة، بينما كان الآخر يتقدم ببطء أكثر «ويزيح الأغصان، وكل ما يقابله في طريقه».

تفادى أوتّو جذع شجرة ضخمة، ووجد نفسه أمام منحدر يؤدي إلى الدير القديم. قرر دون تردد. ألقى بنفسه، وانزلق على ظهره سريعاً إلى أسفل. صفعت أغصان غير مرئية وجهه، ونخزه شيء ما في كتفه، وقد أمسك به، ثم تركه بعد ذلك بقليل، لكنه لم يتوان. بلغ أقواس القنوات المائية، ثم اتجه يساراً

Twitter: @ketab_n

بسرعة، كأحد حيوانات الغابة، ووجد نفسه مجدداً على الطريق.

كادت الأرض الزلقة أسفل قدميه تفقده توازنه. استدار مرة واحدة ليرى انفجار الأغصان، والأوراق، وموجة قوية من الشرر، هناك، حيث حاول مطارده المرور أسفل قوس الحجارة. مرت ثوان قليلة، ثم نهض العملاق مرة أخرى، وعاود العدو خلفه.

«إنه لا يتوقف أبداً».. تألم أوتو محركاً قدميه بكل ما أوتي من قوة.

عدا أسرع مما فعل طيلة حياته، متبعاً مسار الطريق الداكن. كان يرى أضواء البلدة في الوادي، مما أعطاه قوة أكبر. أسرع متحملاً ساقيه اللتين تؤلمانه، وبلغ المنعطف، وتجاوزه. استمر في العدو، وواجه منعطفاً جانبياً يؤدي إلى الطريق العام.

ما إن دار فيه، حتى وجد نفسه أمام الضوء المبهر لمصباحين.

سيارة!

صرخ أوتّو، وحاول تفاديها ملقياً بنفسه جانباً، بينما بدا أن السيارة ستقفز فوقه. سمع صراخ المكابح فوق الأسفلت، وصوتين يصرخان. وبغتةً، اكتسى كل شيء باللون الأبيض.

لقد متُّ. فكر.

مرت بضع ثوان بدت بلا نهاية.

فتح أوتّو عينيه. ضوء المصابيح المبهر. ذبابة تطن أمامه على بعد سنتيمترات قليلة من مصابيح السيارة. صفير الصراصير البعيد.

أوه.. لا أزال حياً.

نهض مرتعداً. استدار ليتأكد من أنه غير مطارد من...

«أوتّو!» صاح صوت يعرفه جيداً.

Twitter: @ketab_n

انفتح باب السيارة من الجانب المجاور للسائق. ضيق أوتّو حدقتيه في الضوء. لم يتمكن من الفهم. كيف يكون هذا ممكناً؟

«يا إلهي، أوتّو؟ أنت بخير! كدنا نصدمك!».

«العمة ميديا؟».

انطفأ ضوء المصابيح، وانفتح الباب الآخر أيضاً.

«يا إلهي!» صاح صديق العمة. «لقد توقفت! لا أصدق ذلك!» نظر أوتّو إلى العمة أولاً، ثم إلى صديقها، وأخيراً بدأ في تمييز هيئة السيارة الرياضية.

«أوتّو؟ أوتّو؟ هل أنت بخير؟».

«أجل، يا عمتي. أنا بخير».

«لقد هرب جالينو» قالت المرأة.

«لم يهرب... إنه...» كان الصبي لا يزال فزعاً للغاية، ومضطرباً حتى إنه لم يتمكن من الحديث. سمع صخب خطوات معدنية تقترب فوق الأسفلت. برزت هيئة رمادية، لها قبعة بيضاء، ومعطف ممزق، من قلب الغابة.

«لقد وصل جالينو» أصدر الآلي فحيحاً بصوت حاد.

«وأي شيطان هذا؟» صاح الرجل، واستقل السيارة مرة أخرى، وأغلق الباب سريعاً.

تبادلت العمة وابن العم نظرة طويلة. «أعتقد أننا يجب أن نخبره» قالت ميديا. «لقد أتيت به إلى هنا، ثم إنه رجل، ويمكنه معاونتنا».

لم يكن أوتّو منصتاً لها. «يوجد شخص... عند البوابة».

«أعرف، يا أوتّو. أعرف».

«يوجد من ينتظرني».

«ربما لا تكون العودة إلى المنزل آمنة».

Twitter: @ketab_n

هز أوتّو رأسه كذلك. «أجل، ليست كذلك».

«هلم معي الآن!» فتحت ميديا باب السيارة، وسمحت لأوتّو وجالينو بالصعود إلى المقعدين الخلفيين الضيقين.

«لا يمكن لذلك الشيء الصعود، لا يمكن...».

صعد جالينو دون أن يمس السيارة، وصمت الرجل.

«لقد صعد» لا حظ في دهشة.

عبثت ميديا بشعرها بعصبية. «ما العمل في مثل هذه الحالات؟».

تساءلت بصوت مرتفع.

لم يجبها أحد.

وخارج نوافذ السيارة، كانت الصراصير تصفر بقوة. لا بد من وجود العملاق الأسود هناك، في الخارج، في مكان ما، في الفخ.

تطلع أوتّو إلى السماء. لا توجد نجوم. غاص في المقعد الجلدي مرغماً نفسه على التقاط أنفاسه بهدوء. كان جيبه، وصدر جالينو يبعثان بريقاً أزرق منتظماً، وضعيفاً. «لا أريد الذهاب إلى المنزل» قال بصوت واهن.

التفتت العمة لتنظر إليه. كانت عيناه تلمعان في الظلام. أذعنت «صحيح. در بالسيارة، يا ياجو. لا بد من وجود متسع إلى الأمام قليلاً».

انطلق ياجو.

«لنذهب إلى المدينة!» اختتمت العمة ميديا دون سبب محدد.

Twitter: @ketab_n

2. لغة القضبان

«هيا، قصّ علي... لا بد أنك أنت ابن العم الخارق...» قال ياجو، في ما بعد، في موقف سيارات محطة بيزا.

كان قد وجد مكانا مستتراً بعيداً عن ضوء الكشافات الضخمة، وقريباً من النافورة.

أومأ أوتّو، لكنه لم يفه بشيء. كان ياجو يحاول أن يبدو لطيفاً فحسب، لكن شاربه الصغير كان يتحرك بطريقة مريبة، بفعل حركة الشفة العليا العصبية.

«لقد حدثتني عمتك عنك كثيراً. أنا سعيد لأنني قد تعرفت عليك أخيراً، والآن بعد أن قدمت لي صديقك الجديد...».

«*صديق؟*» اندفع جالينو وقد دبت فيه الحياة بغتة. «إن الصديق هو...»، وبينما يكرر الآلي تعريف الصديق الذي أخبره به أوتّو قبل نصف الساعة، أغلق الصبي عينيه مجدداً. لم يستطع تحديد الوقت. نظر عبر زجاج السيارة الرياضية الخلفي إلى كابينة الهاتف المضاءة، وداخلها العمة ميديا.

تخيل سير المكالمة: تشرح العمة لوالديه سبب عدم عودته إلى المنزل، وتقنعهما، بالأحرى، بأنه لن يعود في اليوم التالي أيضاً.

أي حجة تبتكر الآن؟

كانت ميديا تسند رأسها إلى الجهاز، ثم تومئ، وتبعدها، ثم تقربها مرة أخرى، وتنطلق في الحديث، وترفع ذراعها، وتخفضها، وبعد تكرار هذه الحركات كثيراً، وضعت سماعة الهاتف.

مر أحد القطارات مصدراً صريراً حديدياً مدوياً.

«آسف على إزعاجك...» اختتم ياجو في هذه الأثناء. «من الجلي أنك لا

Twitter: @ketab_n

ترغب في تبادل الحوار».

«أجل» أجاب أوتّو. «معذرة!».

«لا توجد مشكلة».

عادت إليهم العمة ميديا.

«كيف سار الأمر؟».

«بشكل جيد. فقط عندما تمكنت من الحديث إلى والدك» جلست.

«وماذا إذن؟» سألها ياجو.

«لقد اطمئن والدا أوتّو، فقد أخبرتهما بأننا سنذهب إلى البحر لبضعة أيام».

«إلى البحر، أين؟».

«إلى جزيرة كابرايا. لدى صديق هناك يؤجر منازل في الإجازات. سيوفر لنا ذلك غطاءً ما، فربما اضطررنا إلى الذهاب إليه حقاً. لا يمكننا العودة إلى منزلي، فربما كان ذلك خطيراً».

«سأصطحبكما إلى فندق هادئ» اختتم ياجو، وقد أدار محرك السيارة. «الأمور في منزلي لن تلائمكما» شرح. «فأنا أعيش مع والدي».

«لم تقل لي إنك تعيش مع والدك».

«لم تسألي عن ذلك قط».

مر قطار آخر.

راقب جالينو القاطرة تشق الظلام، في ما وراء الجدران التي تمنع الدخول إلى القضبان. اهتزّ رأسه المدبب بشكل طفيف محركاً غلافين دقيقين. «جالينو... يعرف هذا المكان» قال، وأضاف بعد ذلك على الفور: «انتظروا! عفواً!» قفز في حركة مرنة خارج السيارة الرياضية، وتوجه إلى أرصفة القطارات.

Twitter: @ketab_n

«جالينو؟» دعاه أوتّو. «أين تذهب؟».

لم يبطئ من خطاه، وتابع بعناد إلى الأمام.

«جالينو يدعو...».

طنين. تكتكات. لم يستغرق الآلي وقتاً طويلاً ليجد الكلمة المناسبة. «جالينو يدعو أصدقاءه، عفواً».

تسلق الآلي الجدار الفاصل، ووثب إلى الجانب الآخر.

حاول ياجو، وأوتّو، وميديا اللحاق به، وهرعوا إلى النفق.

«أين ذهب؟» تساءلوا، بعد أن صاروا داخل المحطة. كانت قضبان القطارات مظلمة، وسوداء. بدت القطارات القليلة المتوقفة كهياكل مهجورة، وأضفت الكتابات التي تعلو الجدران على كل شيء كآبةً وحزناً أكبر.

«من هذا الطريق!» صاح أوتّو، عندما رأى تأرجح قبعة الآلي البيضاء. قطعوا الرصيف كله. كانت أضواء المحطة تشع ليلاً. لا يوجد بشر غيرهم.

بعد أن ألقوا نظرةً سريعة، نزلوا إلى القضبان، وساروا فوق العارضات الخشبية.

«أعتقد أن ما نفعله محظور تماماً...» قالت ميديا في إحساس مفاجئ بالمسؤولية.

لكن لم ينصت إليها أحد؛ لأن جالينو كان يواصل التقدم أمامهم بين القضبان بخطى سريعة، واختفى خلف قطار بلا قاطرة.

« يا للكعوب!» صاحت ميديا، وقد نزعت حذاءها.

«إنها لعنة تصيب حركة المرأة. وكل هذا خطأك!».

«لم أجبرك على حضور العشاء، وأنت تنتعلين حذاءً ذا كعب مرتفع» أجابها ياجو بجفاف.

Twitter: @ketab_n

أشار لهما أوتّو ليصمتا؛ لمح جالينو راكعاً بين قضبان طريق غير مستخدم، وبعد ذلك بقليل سمع صخباً خفيفاً.

تيك تيك تيك توك.

تيك تيك تيك توك.

توك توك.

وهكذا من البداية.

ماذا يفعل؟

وعلى بعد عشرين خطوة منه، وقف الثلاثة يراقبون الآلي دون أن يعوا شيئاً. كانت يدا جالينو قد دارتا حول محورهما، وأخذتا تدقان القضبان بظهرهما، كما يفعل عازف «الدرمز» مع طبوله. بدت حركات يديه إيقاعية، منتظمة، ومتكررة بدقة.

«في رأيي..» غامر أوتّو. «إنه يجري اتصالاً».

«أجل» همست العمة، وحذاؤها في يدها. «إنه يرسل ما يشبه الرسالة».

فرك ياجو عينيه. «يتصل؟ رسالة؟ بمن؟».

أشارت إليه ميديا بالصمت. صمتوا جميعاً، بينما كانت «تيك تيك توك» التي يرسلها الآلي القادم من الماضي تهز قضبان المحطة.

استمر لبضع دقائق.

بعد أن انتهى، غير جالينو وضعه، وأسند إلى القضبان وجهه الطويل المدبب. انتظر خمس دقائق بالضبط، قبل أن ينهض مجدداً على قدميه، ويعاود الدق على القضبان بظهر يديه.

اقترب منه أوتّو، لكن حضوره لم يغير من سلوك جالينو في شيء.

«أوه، سيد أوتّو، عفواً!» قال الآلي. «محاولة أخرى... لم يجبني أحد».

Twitter: @ketab_n

«ومن يجب أن يجبيك؟».

«أحد المرشدين الآخرين، لكن ربما لا ينصت أحد ليلاً. لا يوجد أحد على اتصال».

رمق أوتّو القضبان التي تختفي في الظلام، وتخيل، للحظة، أنها تتشابك لتقطع العالم كله كشبكة حديدية ضخمة، شبكة عتيقة من المعدن والكهرباء.

«هل تقول مرشدين آخرين؟ كم عددهم؟».

«أجل. يوجد مرشدون آخرون. كثير من المرشدين الآخرين لإعمار المدينة الجديدة».

«مرشدون آخرون يبحثون عن مواطنين آخرين؟».

«مرشدون آخرون يبحثون عن مواطنين آخرين. مواطنين يمكنهم اجتياز امتحان القبول».

«والسؤال هو: كم عدد تروس العقل البشري؟» كرر أوتّو.

«عفواً! أكتب الإجابة!» قال جالينو مديراً جذعه بلطف، وقد برزت فوقه لوحة المفاتيح الرقمية التي تشبه لوحة آلة حاسبة.

«لا أعرف الإجابة».

عاود جالينو الدق على القضبان. ركع أوتّو إلى جواره محدقاً في القضبان التي تمتد في الظلام. «ربما رحل المرشدون الآخرون جميعاً».

لم يجب الآلي.

«لقد مرت أعوام طوال، وربما رحل أصدقاؤك جميعاً، ولم يتبق غيرنا».

تيك تيك تيك توك.

تيك تيك تيك توك.

«ماذا تدق على القضبان؟».

Twitter: @ketab_n

«جالينو يكتب اسمه، ويسأل عن أسماء مرشدين آخرين يسمعونه. يسأل إذا كانت قاطرة الجنوب قد رحلت».

«قاطرة الجنوب؟».

غيّر الآلي وضعه مرة أخرى، وأخذ ينصت. التفتَ أوتّو إلى عمته، وصديقها اللذين يحدقان فيهما من بعد عشر خطوات، ثم جلس القرفصاء إلى جوار جالينو، ووضع يده فوق حديد القضبان البارد. انتظر إلى جواره، وبعد بضع ثوان، ظن أنه يشعر باهتزاز آتٍ بعيد. دقة وحيدة، بعيدة، لكنها محسوسة.

غير جالينو وضعه. «حسن للغاية» قال. «لم ترحل قاطرة الجنوب بعد».

شعر أوتّو بقلبه يغوص في صدره، كما لو أنه يسمع نبأً غير متوقع بالمرة.

«وماذا يعني كونها لم ترحل بعد؟».

«يعني أنها تنتظرنا. قاطرة الجنوب تنتظر مواطني الجنوب. سترحل عندما يحمل جالينو معه المواطنين الذين يجب عليهم الرحيل. وإذا لم تكن قد رحلت بعد، فإن هذا يعني...» حاول جالينو إتمام عبارته، لكن بدا واضحاً أن العبارات المسجلة في إسطواناته لا تسمح له بذلك. وهكذا اختتم: «يعني أنها لم ترحل بعد، عفواً!».

«وما... قاطرة الجنوب؟».

«قاطرة الجنوب هي قاطرة الجنوب».

«وأين تتجه؟».

«إلى المحطة الرئيسية».

«المحطة الرئيسية؟ أتقصد محطة المدينة الجديدة؟».

لم يجبه جالينو بشيء.

«هل يمكنك استدعاؤها؟».

Twitter: @ketab_n

«عفواً؟».

«قاطرة الجنوب، هل يمكنك استدعاؤها؟».

«بالطبع. جالينو هو مرشد إعمار المدينة الجديدة. جالينو يستدعي قاطرة الجنوب عندما يوجد المواطنون».

«هل تعني أنك تستطيع استدعاءها إلى هنا على هذه القضبان؟».

«بالطبع. جالينو يمكنه استدعاؤها على هذه القضبان...» أصدرت أجزاء الآلي صفيراً كما لو كان يريد تقليد ضحكة. « قاطرة الجنوب تتحرك فوق قضبان الجنوب».

«وماذا تنتظر إذن؟ استدعها!».

اتجه جالينو بوجهه المدبب شطر أوتّو، ثم إلى ياجو وميديا.

«لا يرى جالينو... مواطني سيبوريا. جالينو يمكنه استدعاء القاطرة عندما يوجد مواطنو سيبوريا».

«صحيح» عض أوتّو شفته، ثم نظر إلى لوحة المفاتيح التي تحمل الرموز الحسابية على صدر الآلي. «ربما تكون الإجابة لدي» قال بصوت خفيض. نهض جالينو على قدميه، وواجهه. انفتح معطفه الرمادي كعباءة.

«عفواً، اكتب الإجابة».

دنا أوتّو بإصبعه من رموز لوحة المفاتيح التي يحملها الآلي فوق صدره.

كم عدد تروس العقل؟

«واحد فقط» قرر أوتّو. ضغط رقم واحد، ثم بحث عن زر الإدخال وضغطه.

«إجابة خاطئة» زمجر الآلي.

ودونما تفكير، ضغط أوتّو الصفر، وبينما كانت لوحة المفاتيح الصغيرة

Twitter: @ketab_n

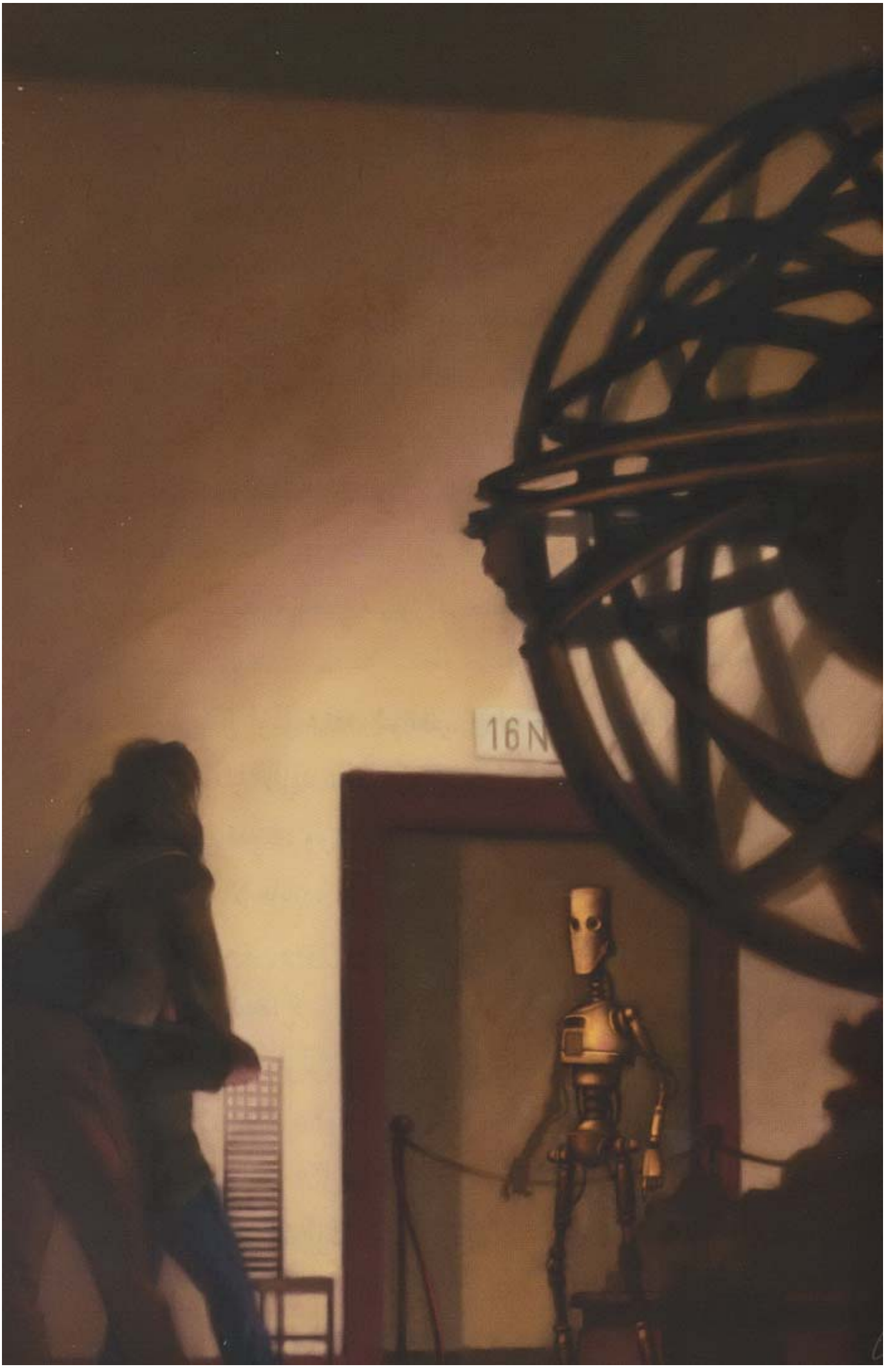

Twitter: @ketab_n

كانت إنارة الطرق مطفأة، وتمكنوا في ذلك الظلام البهيم من تمييز جسور أخرى معلقة، ومبانٍ أفقية، وأبراج مدببة، ودرجات تمتد فوق الحاجز الصخري.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

وأمام عيني أوتّو المذهولتين ارتفع الجسر، مقعقعًا، بالضبط حيث تنتهي القضبان. توقفت آلات السحب بغتةً، واندفعت فوقه قاطرة الجنوب، متسلقةً في دوي مجرى وادي النهر.

Twitter: @ketab_n

تختفي مرة أخرى، فكر: *ليس للعقل تروس؛ لأنه ليس آلياً، إنه...*

«إجابة خاطئة» زمجر جالينو، وأضاف هذه المرة: «يمكنك الضغط لمرة أخيرة، قبل إبطال عمل المرشد».

«إبطال عمل المرشد؟ ماذا تعني؟».

«يُسمح لك بثلاث محاولات فقط، كي تصبح مواطناً، يا سيد أوتّو، وبعد ذلك ينتهي دورَ المرشد».

«ثلاث محاولات؟ لكن ألم يكن بمقدورك قول ذلك من قبل؟».

«لم يسأل جالينو أحد».

أثار منطق الآلي الجاف أعصابه، وراودته الرغبة في توجيه قبضته إليه.

«ماذا يحدث؟» سألت العمة، وقد تقدمت بضع خطوات.

شرح لها أوتّو ما حدث بإيجاز.

«إنه سؤال غبي» قال ياجو عندئذ، وهو يرفع كتفيه ويخفضهما.

«يستحيل إحصاؤها!».

«ما الذي يستحيل إحصاؤه؟».

«إنها آليات العقل أليس كذلك؟» تابع الرجل.

«لا توجد آلة واحدة، بل عدد لا نهائي منها! لا يمكن تعريف العقل. إن في العقل... جنوننا أيضاً. ليس العقل منطقياً».

وافقته ميديا مقتنعةً. «إن ياجو محق تماماً، فالسؤال غبي».

«وكيف أفسر ذلك لجالينو؟».

«قل له إنه يستحيل الإجابة باستخدام الأرقام، فالأرقام منطقية وعقلانية بينما لا يتسم السؤال بالمنطقية».

كل الألغاز الكبرى هي محض أرقام. خطر لأوتّو فجأة.

Twitter: @ketab_n

«غير منطقي كوجودنا هنا، على هذه القضبان غير المستخدمة، في محطة مقفرة، ننصت إلى آلي معدني، يتحدث مع القضبان. هل تجد أن هذا منطقيٌّ؟ أنا لا أجده كذلك. ثم نعتقد أننا نحن الثلاثة أذكياء».

كان جالينو متصلباً كخيال مآتة.

سؤال غير منطقي.

«انتظروا لحظة...» قال أوتّو. انفتحت هوة في رأسه، كما كان يحدث عندما يدرك شيئاً ما واضحاً، وشديد القرب، ويبدو في الوقت ذاته خفياً، وبالغ البعد؛ شيء ما لا يمكن الإمساك به، لكنك تعرف أنه موجود. «أنا... أعرفه».

«أوتو؟».

ضمّ الصبي رأسه بين كفيه مفكراً بصوت مرتفع.

«ليس صحيحاً أن الأرقام منطقية وعقلانية».

«كيف لا» اندفع ياجو. «اثنان واثنان يساويان أربعة. إذا كانت الأرقام خاوية من المنطق، فنحن إذن واهمون».

«ليست كل الأرقام منطقية. توجد أرقام ليست بأرقام. أرقام ينبغي ألا يكون لها وجود...» أصر أوتّو.

«لقد درستها في المدرسة: تدعى أرقاماً... أرقام».

«أرقام مجنونة؟» حاولت عمته.

«أرقام ظاهرية؟».

صاح أوتّو: «أرقام غير منطقية!».

«أوه، هذا جميل» هتف ياجو، وقد أسند يديه إلى جانبيه. «طالما قلت إنني يجب أن أصير رساماً».

Twitter: @ketab_n

«أنت تسير في وجهة لا أعلمها، يا أوتّو» نبهته العمة. «لن أتبعك بعد ذلك».

«أرقام غير منطقية بالفعل. أرقام أثارت حيرة علماء الرياضيات في العالم؛ لأنها لامعقولة».

«وهل تتذكر أحد هذه الأرقام؟» غمغمت العمة ميديا.

«ربما» أومأ أوتّو. «ربما، أجل. لكنني لست متأكداً».

«يمكننا الذهاب إلى المنزل لنتحقق من ذلك» قال ياجو.

«لا يمكننا الذهاب إلى المنزل» ذكرته المرأة.

«إذن فندق؟ مقهى إنترنت؟».

كان تفكيراً راجحاً بالتأكيد الابتعاد عن ذلك المكان، والبحث عن مقهى إنترنت، والاتصال بشبكة الآلات الحاسبة الإلكترونية الحديثة، والتحقق من صدق حدس أوتّو، فإذا كان السؤال لامعقولاً، ويستحق إجابة لامعقولة، فربما تطلب بحثاً بطريقة عقلانية.

وربما لا.

ربما يجب الثقة في الغريزة فحسب، بما يشعر به أوتّو يدور داخله في عنف.

في الرغبة في الإجابة.

«اذهب أنت!»

هكذا كتب الجد الأكبر، عندما أعطى العلبة إلى جده. ولكي يذهب لا بد له من القيام بالخطوة الأولى. ثم الثانية، والثالثة. لا بد من القيام بكل الخطوات الضرورية.

حتى عندما...

Twitter: @ketab_n

تبدو...

لامعقولة.

لا تعود *الفرص أبداً*، هكذا كتب جده. أبداً. وكان أوتّو يشعر بأن فرصته هنا فوق تلك القضبان، ولن تعود.

رفع إصبعه، ووضعه فوق لوحة المفاتيح على صدر الآلي. «يا صديقي» قال له بصوت خفيض، ربما لم يسمعه جالينو ذاته. «سترى أنك لن تنهي مهمتك، اتفقنا؟».

كان يتذكر رقماً غير منطقي، رقماً له عدد لانهائي من الأرقام العشرية، لا يتكرر تتابعها أبداً. لم يكن الرقم الذي يتذكره أوتّو يتمتع بشيء إضافي وحسب، شيء يتجاوز اللامعقولية؛ بل هو رقم ينطبع في ذهن الإنسان منذ الأزل؛ لأنه يتكرر بثبات في الطبيعة، حتى إن البعض قد أطلق عليه الرقم الذهبي، الرقم المثالي للجمال، والتناغم.

الرقم السماوي.

أيمكن أن يكون هو الرقم ذاته الذي يشير إلى آلات العقل أيضاً؟

أليس العقل شعلة سماوية؟

وبينما تعذبه مفاهيم أكبر، وأقدم منه، قرر أوتّو المغامرة بكل شيء لأجل كل شيء، واستدعى ذكرياته، والمناقشات الطويلة مع جده، كي يتذكر بكل دقة أعداد ذلك الرقم العشرية.

أوشك على ضغط الزر الذي يحمل رقم اثنين، ثم توقف طرف الإصبع الذي يلمس المعدن بالفعل.

لا، إنه لا يبدأ برقم اثنين. يبدأ برقم واحد. واحد، علامة عشرية...

بالتأكيد، واحد، وعلامة عشرية... ستة.

Twitter: @ketab_n

ظل الزرّان مضغوطين، ثم عاد الزر الذي يحمل رقم واحد إلى اللوحة مجدداً. ارتجف أوتّو. بدا أن الزر قد عاد خصيصاً لأجله؛ لأنه هكذا فحسب يمكنه إتمام الرقم.

واحد، علامة عشرية، ستة... ثم واحد من جديد، ثم ثمانية.

صفر.

ثلاثة.

عندئذ دخلت لوحة المفاتيح كاملة في جسد جالينو مصدرةً الأزيز المعتاد. حبس أوتّو أنفاسه.

«إجابة صحيحة» زمجر الآلي. «انتظر التعليمات أيها المواطن أوتّو، عفواً».

ترنح أوتّو فوق القضبان مذهولاً، لكنه صرخ عندما استعاد رباطة جأشه: «قاطرة الجنوب! استدعها فوراً» ثم استدار نحو عمته، وياجو، وقد انعقد لساناهما.

«أي نوع من الأرقام كتبت؟» سأله ياجو متحيراً.

« الرقم اللامعقول للنسبة الذهبية...» أجاب أوتّو.

«ويطلق عليه فاي أيضاً، نسبةً إلى الحروف الأولى لفيديا المعماري اليوناني، الذي كان أول من استخدمه في تنفيذ أعمال النحت الخاصة به».

دلّك ياجو رأسه بقوة، في حرج واضح.

«أنا جاهل حقاً، يا أصدقاء».

في تلك الأثناء، عاود جالينو الدق على القضبان بقوة أكبر مما فعل في السابق. قام بذلك لدقيقتين، ثم انتهى منصتاً إلى الإجابة البعيدة.

«إنها في سبيلها إلى الوصول».

Twitter: @ketab_n

«الوصول؟» سأل أوتّو. «من أين؟».

«من الجنوب» أجاب جالينو منتصباً في مواجهة السماء المرصعة بالنجوم.

Twitter: @ketab_n

1. قاطرة الجنوب

كان بمقدورهم الآن سماع دويّ بعيد يقترب، دويّ محرك احتراق داخلي قديم، ذي توصيلات كهربائية مستعملة، وصمامات مستهلكة، وصمامات ثنائية زجاجية مهتزة.

كانت قاطرة الجنوب عربة قطار عملاقة تتقدم فوق القضبان، بمصابيح مطفأة، وسرعة كبيرة. وصلت مدويّة فوق تحويلات القضبان، وتوقفت بفعل الهواء المضغوط على بعد خطوات من جالينو.

لفت أوتّو، وميديا، وياجو سحابة من البخار، خرجت من المحرك، وشرارات المكابح.

نظروا إليها غير قادرين على تصديق أعينهم. كانت العربة عالية ومتينة، أكبر من أي قاطرة عادية. كان الطرفان مكسوين بشرائط نحاسية، وإزار من العقد المروحية، تمتد إلى النوافذ، فتشبه تنيناً أسطورياً متسلقاً. وتزين الجانبين شديديْ السواد خطوط مستقيمة، متداخلة، وحلزونية، مزخرفة، يقطعها صف من النوافذ الصغيرة، المستطيلة. وبأعلى، كلوحة تتصدر مقدمة سفينة، برزت شعلة تتوسط دائرة، كتب عليها بحروف تعود إلى بداية القرن العشرين:

سيبوريا

قاطرة الجنوب

1939

زاب * دورو * بولير-ليتون

«قطار سيبوريا» صاح أوتّو، وهو يسير بمحاذاته، وعندما بلغ الشعلة الكبيرة ذات الكتابة المذهلة، أشار إلى العمة: «زاب، دورو، بولير-ليتون هي أسماء

Twitter: @ketab_n

المؤسسين الثلاثة، وفْقاً لما قاله جالينو».

«والعام هو 1939» لاحظت ميديا. «مما يعني أن هكتور زاب لم يمت على متن السفينة الغارقة في سردينيا».

«بل اختفى» اختتم أوتّو. «كما كان أتامنتي يردد».

كان أكثر الجميع ارتباكاً هو ياجو بالطبع. واصل حك رأسه، وتمتمة عبارات حاقدة: «لا يمكن، لا يمكن. أتعلمين أكثر ما يزعجني؟ أن والدي كان محقاً».

«محقاً في ماذا» سألته ميديا، وقد انتقلت إلى جواره.

«في كونك امرأة خطيرة».

«وكيف عرف ذلك؟».

عقد يديه خلف عنقه متأملاً القاطرة العملاقة المتوقفة وسط القضبان.

«والآن ماذا سنفعل؟».

ابتسمت ميديا. «ماذا تعتقد أننا سنفعل؟».

«لا أدري. لكنني... أخشى... أنني لا أملك وقتاً لتعديل وضع السيارة، أليس كذلك؟».

اقترب جالينو من باب القاطرة، ومدّ ذراعه ليفتح رتاجاً غير مرئي، بفعل ضغط البخار، ودوي مروحة. دار الباب على قضيب مدهون بالزيت جيداً.

تدلت ثلاث درجات نحاسية حتى الأرض.

صعد أوتّو إلى القطار دون أن يلتفت خلفه.

أوقف جالينو، كمحصّل أنيق، ياجو وميديا للحظة. اضطر أوتّو إلى العودة على أثره، وقال: «سيأتيان معي». «عفواً!» أجاب جالينو داعياً إياهما للصعود، ثم تبعهما. رفع السلم، وأغلق الباب، وأوصد مقبض الأمان المتصل به، ثم دخل كابينة القيادة التي يفصلها عن بقية القاطرة باب صغير من الخشب.

Twitter: @ketab_n

جلس، ثم أدخل كلتا ذراعيه في تجويفين في لوحة التحكم، وحرك سلسلة من المُرحلات[7] الدقيقة من الخزف. «إلى العربة، عفواً!» أعلن في أزيز أشبه بأزيز الأسطوانات: «سننطلق!».

(7) مفتاح كهربائي يغلق ويفتح تحت تحكم دائرة أخرى. (المترجمة)

Twitter: @ketab_n

الماضي

سنغني المصانع التي تصل السحاب
بخيوط دخانها الملتوية،
والجسور التي تشبه أولمبيين عمالقة يشقون الأفق،
والقاطرات الرحبة تدك القضبان
كجياد حديدية ضخمة.

إعلان الحركة المستقبلية

«صحيفة لوفيغارو»

20 فبراير 1909

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

12. الذهاب إلى حيث لا يدري أحد

كان يرى المشاهد تتدافع وراء نوافذ القاطرة الصغيرة المستطيلة.

واستيقظ.

أدرك أوتّو أن الصباح قد حل. تمطى، وفرك عينيه مرات عدة محاولاً إدراك سر ذلك التأرجح المستمر. لم يستغرق وقتاً طويلاً في التذكر، كفته رؤية الستائر ذات الخطوط الهندسية البيضاء والسوداء، وهيئة قطع الأثاث الدائرية، والطاولة الصغيرة السوداء حيث تناثرت بعض الكتب القديمة، وقد اكتست أوراقها بالاصفرار، وعمته ميديا مشغولة بتصفحها.

«صباح الخير» حيته في هدوء تام.

«أين نحن؟».

«في فرنسا، كما يظن ياجو».

«فرنسا؟».

«في بورغونيا، إذا شئنا الدقة».

كان جالينو جالساً على بعد مقعدين إلى يسار العمة، وقد انشغل في قراءة كتاب، يمسكه مقلوباً.

«وماذا يفعل هو هنا؟».

«أعتقد أنه يقلدنا» أجابته العمة. «وجدنا في صحبته بعض الرفقة على أية حال. كما أنه لا ينام».

«لكن إذا كان هو يجلس هنا، فمن يقود القطار؟».

«لا أحد، كما أظن» أجاب ياجو، وهو يسير جيئةً وذهاباً. «إنه يسير آلياً بسرعة جنونية».

Twitter: @ketab_n

بدا ياجو محقاً، فقد كانوا يقطعون طريق التلال البورجونية المتموجة بسرعة فائقة.

«آمل فقط أن تسير القاطرة على قضبان خاصة بها؛ لأنه لا يروق لي الاصطدام بقطار باريس- ليون السريع القادم».

وكإجابة تمطى أوتّو، وتثاءب بصوت مرتفع.

وضع جالينو الكتاب، وسأله: «هل يريد السيد أوتّو إفطاراً بسيطاً؟».

«واو! بالطبع».

تحسس ياجو شاربه: «لا تسألني كيف، لكن توجد في القاعة الأخرى آلات من اختراع ذلك المدعو زاب، تخبز فطائر ذات رائحة شهية يمكنها إيقاظ ميت من قبره».

«ميت» سأل جالينو بفضوله المعتاد للكلمات التي يجهلها.

«دعك من هذا» نصحته ميديا. «إنها كلمة بالغة الصعوبة، ومن المؤلم تفسيرها في الصباح الباكر».

«ميت» كرر جالينو. «كلمة صعبة، ومن المؤلم تفسيرها في الصباح الباكر». اختفى داخل القاعة الأخرى، وأوقد فرن زاب الصغير، وعاد بعد بضع دقائق، حاملاً بيده صحناً فضياً به كثير من النتوءات المزركشة، وفنجاناً من القهوة السوداء، وفطيرتين تفوح منهما رائحة عطرة.

«لقد أعدت التفكير» قال ياجو، بينما يمر الصحن من أمامه. «هل يمكنني الحصول على إفطار ثان؟».

«هل كوّنتما فكرة أكثر تحديداً حول المكان الذي نتجه إليه؟» سأل أوتّو بعد ذلك بقليل.

نظرت ميديا إلى ياجو. «أجل، لقد تحدثنا في ذلك، ولقد استكشف ياجو

Twitter: @ketab_n

القاطرة كلها، وتصفحت أنا الكتب التي تضمها مكتبة القطار الصغيرة، وكوّنا بعض الأفكار». أومأ أوتّو مشجِّعاً إياها على المتابعة.

«وفقاً لعدد الأسرة، يمكن للقاطرة أن تستضيف عشرة أشخاص، أو خمسة عشر على الأكثر. والقاطرة أنيقة، وقد تلقت عناية فائقة».

«أظن أنها تعود إلى أوائل القرن العشرين».

«بالضبط. لقد كان الأسلوب الذي أثثت به شائعاً منذ حوالي قرن مضى».

«عام 1916؟».

«بالفعل، لكنه طراز 1916 متطور للغاية، ويسبق عصره بكثير».

«1916 مستقبلي» غامر أوتّو.

«شيء من هذا القبيل. لكن... هل سألتم أنفسكم كيف تسير هذه القاطرة؟ لا تفوح منها رائحة بترول، ولا فحم؛ كما أن القطار لا يتصل بالشبكة الكهربائية. إذن...».

«إنه لومن» غمغم أوتّو.

قوّس ياجو حاجبيه، فلم يكن يعرف شيئاً عن لومن. أخبرته ميديا بإيجاز.

«على أية حال» تابع الراشدان متبادلين الأدوار. «أياً كان من أنشأ هذه القاطرة، فقد فعل ذلك بنظرة متطورة، مذهلة، فقد تمت برمجتها منذ حوالي قرن مضى، لتقطع آلياً شبكة من القضبان التي يبدو أنها قد أعدت خصيصاً لها. وهي تعمل بكفاءة تامة. لا بد أنها نتاج عقل فائق، أو اتحاد ثلاثة عقول فائقة».

«بالفعل. إنهم المؤسسون الثلاثة. هل اكتشفتما عنهم شيئاً آخر؟».

«نعرف أن الثلاثة قد عملوا كأساتذة جامعيين. ونحن– وفقاً لياجو–

Twitter: @ketab_n

متورطون في مشروع جامعي ظل طي الكتمان».

«وماذا كانوا يدرسون؟».

«هندسة معمارية ورياضيات وطب» رفعت ميديا كتاباً مصوراً بالأبيض والأسود، مظهرةً صورة رجل قليل الشعر عند الصدغين، وله خصلات مجعدة تبرز نظراته المهووسة، ويرتدي نظارة. «هذا هو المعماري أرنولد دورو. كان مصمماً متحمساً للجسور، والمباني المتحركة ذاتياً. بدا أن شغفه ينصب على المنازل ذات العجلات، وربما الأرجل».

كانت الصورة التالية تظهر منزلاً مربعاً يقوم على دعامات آلية غريبة.

«شخص غريب بالتأكيد...» علق أوتّو.

«أما في ما يخص هكتور زاب، فعلينا أن نقنع بما نعلم بالفعل؛ لأنه بخلاف آلة الفطائر الصغيرة، لا يوجد على متن القطار ما يخبرنا عنه. لنقل إنه مخترع وعبقري في الميكانيكا».

«وبولير- ليتون؟».

«تدعى إليزابيث...» ورفعت مجلة تعود إلى ذلك العصر. «إنها ابنة الطبيب فيليب بولير-ليتون، وكانت مختصة بالشؤون الصحية في دار النساء غير القابلات للشفاء في بروكلين. كانوا يطلقون عليها «عصفورة المرضى»، بسبب تنقلها في المستشفيات بثيابها الأنيقة. ورغم كونها امرأة عاشت في أوائل القرن، إلا أنها تبعت خطى الأب، وعملت إلى جواره، وربما تجاوزته في دراساتها حول الأمراض المستوطنة. هل تعرفان ما يقال في ذلك؟ وراء كل رجل عظيم توجد...».

«ظل؟».

«طابور من المنتفعين؟».

Twitter: @ketab_n

لوَت ميديا أنفها مستمعةً. «امرأة عظيمة، يا سادتي، امرأة! والآن لاحظا المصادفات: مات أرنولد دورو مع طلابه خلال بعثته على الجانب الفرنسي من الجبل الأبيض... وغرق زاب أمام شواطئ سردينيا... بينما وجدت إليزابيث- ولاحظا المصادفة- على متن عابرة محيطات غرقت في ظروف غامضة: اللويستانيا التي رحلت من نيويورك في أوّل مايو عام 1915، ونسفها الألمان بالقذائف البحرية دون دافع معين، على بعد أميال قليلة من أيرلندا».

«إنها نهاية اللعبة» قال أوتّو. «وهكذا اختفى الأساتذة الثلاثة حاملين معهم بعض أفضل تلاميذهم».

«لكن ليس أتامنتي» اختتمت ميديا. «الذي قرر عدم الرحيل في اللحظة الأخيرة».

«من أجل الحب».

«من أجل الحب. كإيطالي حقيقي».

«عذراً لمقاطعتي تلك القصة النموذجية» تدخل ياجو، «لكن بافتراض صحة كل ذلك، وحدوث حالة هروب العبقريات من الجامعات في ذلك الوقت، ونجاح عملية الميكنة تلك، باستخدام مصطلح كان سيروق إلى زاب، هل يمكنكما أن تخبراني لأي شيء رحلوا؟».

تبادلت العمة وابن العم النظرات، كما لو كان ذلك الجزء من القصة واضحاً تماماً. «ليؤسسوا سيبوريا».

«مدينة جديدة مختفية عن كل شيء، وعن الجميع».

«خرافات!» اندفع ياجو. «لا يمكن لثلاثة أشخاص أن يقيموا مدينة».

«تسعة وعشرون» ذكره أوتّو. «ثلاثة أساتذة، وستة وعشرون طالباً مختاراً».

Twitter: @ketab_n

«ما زالوا قلة قليلة».

«لكنه كل شيء... حقاً...» همست ميديا بينما القاطرة تدوي من حولهم.

«فكرا في ذلك: إذا أراد أحدهم إنشاء مدينة جديدة من الصفر، فإلى من سيحتاج؟».

«إلى مهندس معماري يقيم المنازل، والمباني...» أجاب أوتّو متخيلاً منازل دورو المدهشة.

«وطبيب للشؤون الصحية ينفذ قنوات الصرف، وشبكات المياه، والمستشفيات، ويوفر إمدادات العقاقير الطبية...» وتابعت، «وينثر على كل شيء قليلاً من الأنوثة، والحس العملي».

«بينما يتولى عجلة القيادة البروفيسور زاب، عالم الرياضيات الخبير بالميكانيكا».

«وكيف ذلك؟» انطلق ياجو. «مستعيناً ببعض الصيغ الرياضية الحسابية؟».

حدق أوتّو في جالينو الواقف أمامهم بلا حراك. «لا، يا ياجو، بل بتصنيع آليين مثله».

تشابكت نظرة الرجل ذي الشارب الصغير مع نظرة جالينو الزجاجية.

«ماكينات مبرمجة آلياً قادرة على العمل دون توقف، ليل نهار، ماكينات تعمل، وماكينات تبني، وتقوم بالإصلاحات».

«وربما بستانيون» تمتم ياجو، وقد عبس وجهه بغتةً. «من المحتمل».

أطل الرجل من النافذة الصغيرة شارداً في أفكاره، وظل على تلك الحال للحظات طويلة، ثم انتصب بغتةً. «يا إلهي!» صاح منتبهاً: «انظرا خارجاً» احتشد إلى جانبه أوتّو وميديا ينظران خارج النوافذ. كانت

Twitter: @ketab_n

القضبان ترسم منحنياً واسعاً ينتهي بهوة.

«تصب القضبان في الفراغ!».

«جالينو! افعل شيئاً!».

طنطن الآلي منزعجاً: «افعل شيئاً، عفواً. بالطبع. جالينو تلقى هذا الأمر بالفعل، ولم يفهم الكثير. استأذنكم في أن تكونوا أكثر تحديداً».

«أوقف القطار!».

«يستحيل إيقاف رحلة قاطرة الجنوب» فسّر الآلي رابط الجأش.

«لكن يجب أن تقوم بذلك! انظر إلى تلك الهوة!».

«تنتهي القضبان إليها!».

«خلال قليل سنصير جميعاً موتى!».

«ميت: كلمة صعبة، ومؤلمة في الصباح الباكر» ذكّرهم جالينو.

«أوه، إلى الجحيم!» اندفع ياجو نافذ الصبر، بينما يسرع القطار بلا هوادة شطر المنحدر. أمسك الطاولة التي تناول إفطاره عليها، وحاول، غير عابئ باعتراضات جالينو، تحطيم زجاج النوافذ.

«لا، ياجو! فكر!» صرخت به ميديا. «حتى إن نجحتَ في تحطيم الزجاج فكيف ستخرج منه؟».

وضع ياجو الطاولة أرضاً، للحظات لازمة لتقدير أبعاد النافذة، ثم اندفع بعنف صوب الباب الذي صعدوا منه إلى القاطرة. «افتح هذا الباب الملعون يا كتلة الخردة! افتحه، أو أدمر كل شيء!».

«سيدي، سيدي، أتوسل إليك» بدأ جالينو في الأزيز محاولاً احتواء غضبه.

كانت القاطرة تسير بسرعة قصوى، وهي تميل فوق المنحنى. كانت تبعد أربعمائة متر عن الهوة.

Twitter: @ketab_n

تحطمت الطاولة في الهجمة الأخيرة على الباب. بدأ ياجو عندئذ في إمطار العربة بلكماته، ثم اتجه إلي جالينو: «افتحه! افتحه! افتحه!».

مال الآلي إلى الوراء، وفقد قبعته الصيفية البيضاء. فقط عندئذ بدأ في إبداء رد فعل؛ تراجع إلى الخلف بوثبة آلية جعلته، بغتةً، أكثر طولاً وخطورة، وصاح: «تفعيل إجراءات الوقاية».

«توقفا أنتما الاثنان» حاول أوتّو أن يحول بينهما، لكن سرعته لم تكن كافية.

انطلق من ذراع الآلي الأيمن شعاع أزرق ألقى بياجو إلى الجانب الآخر من الحجرة مغشياً عليه. بعد ذلك طوى جالينو ذراعه، وطنطن بطريقة لطيفة، وعاد إلى حجمه المعتاد، واستعاد القبعة الملقاة على الأرض. حدث كل ذلك، بينما القاطرة تواصل سيرها في دأب صوب الفراغ.

«لا يوجد ما يمكننا فعله» قالت ميديا، مثبتةً نظرها على النافذة.

ثلاثمئة متر.

مئتان وخمسون.

«جالينو» تدخل أوتّو. «بصفتي أحد مواطني سيبوريا، آمرك بإيقاف القاطرة».

«جالينو لا يمكنه إيقاف قاطرة الجنوب».

«أعرف أنك لا تستطيع، ولكن يجب أن تحاول. أطلب منك ذلك كصديق. حاول إيقافها؛ لأننا نوشك على السقوط. السقوط، هل تفهم؟».

«جالينو يفهم السقوط، لكنه لا يفهم لماذا نوشك على السقوط».

«كيف لا تفهم؟» صرخت ميديا ممسكةً إياه من يده الآلية التي أطاحت بياجو قبل ذلك بلحظات، وقادته إلى حجرة التحكم. «هل

Twitter: @ketab_n

ترى ما يوجد أمامنا؟».

وعلى بعد أقل من مئة متر، كانت القضبان تنتهي بحسم. حلقت بعض الطيور بعيداً عن وادي النهر، وقد أفزعها وصولهم.

«أراه» أجاب جالينو رابط الجأش. «وما زلت لا أفهم».

«عمتي!» صاح أوتّو.

على بعد خمسين متراً من نهاية القضبان بدأ في الارتفاع من وادي النهر هيكلٌ معدنيٌّ: كانت عشرات الكابلات، تشدها رافعة تقبع تحت سطح الأرض، في قعقعة مدوية، ترفع هيكل جسر امتد بسرعة كبيرة مثيراً سحابة من الغبار، مهتزاً، ومتأرجحاً ككلب عجوز يتمطّى بعد نوم طويل.

عشرون متراً.

عشرة.

وأمام عيني أوتّو المذهولتين ارتفع الجسر، مقعقعاً، بالضبط حيث تنتهي القضبان. توقفت آلات السحب بغتةً، واندفعت فوقه قاطرة الجنوب متسلقةً في دوي عظيم مجرى وادي النهر. عبرته في دقائق معدودة، وتابعت سيرها في الريف، بسلام، مع انحناءة خفيفة صوب الشمال.

وما إن اجتازوه، حتى عاود الجسر الحديدي الهبوط مختفياً من جديد في مخبئه الأرضي.

كاد يغشى على أوتّو، وميديا.

نظرا إلى جالينو. «لقد كنت تعرف ذلك!».

طنطن مائلاً برأسه. «أعرف ماذا، يا سادتي؟».

«هل تعرف أن الجسر سيظهر؟».

«بالطبع».

Twitter: @ketab_n

«ألم يكن بمقدورك أن تخبرنا بما سيحدث، لتطمئننا؟».

«أقول ما سيحدث لأطمئنكم» كرر جالينو. «حسن للغاية».

وفي تلك اللحظة، وكأن وحياً مباغتاً قد هبط عليه، دار حول نفسه، ودنا من مطبخ زاب الصغير، ثم بدأت ذراعاه متعدّدتا المهام في تفعيل أوامر تحكم قديمة محددة سلفاً. خرجت من ثقوب السقف لفحات من البخار الساخن.

«اهدآ! سآتيكما بالغداء بعد قليل».

في منتصف النهار تماماً، تلقى مسافرو قاطرة الجنوب الثلاثة أطباقاً متماثلة من الحساء الساخن، ينبعث منه البخار، وقد قُدمت مع صحن من شرائح الخبز لولبية الشكل، وكأس يمتلئ برغوة يميل لونها إلى الاحمرار.

«حساء الورد، والشمس، يا سادتي. عفواً!» فسر جالينو مبتهجاً.

«مع زيج زوج زاج البحر المتوسط المفضل، ويرافقه رغوة «تشينزانو» المبهجة».

«مم رائع...» صاح أوتّو، وقد تذوق أولاً.

قلبته ميديا مترددة بالملعقة، بينما رفضه ياجو معارضاً، وعاقداً ذراعيه. كان من الجلي أنه لم يغفر لجالينو بعد الصعقة الكهربائية التي أطاحت به أرضاً.

«لتتناوله أنت، يا كومة الخردة!» تمتم.

«أشكر لك تفضلك، وأذكرك أن جالينو لا يتناول الطعام» فسر جالينو.

«انتبه لما تقول، أيها الحطام... أو سآكلك أنا!».

اِرتسَم على وجه جالينو تعبير يُظهِر بقدر المستطاع دهشة خفية. «يؤسفني أن أعلمك بأنه لا يمكن للجسم البشري تناول أي من مكونات جالينو 9467».

أمسكت ميديا ياجو عن النهوض، بينما كان أوتّو يضحك خفيةً.

Twitter: @ketab_n

بعد ساعة، جعّدت العمّة ميديا جبهتها متحيرة: «ألا يبدو لكما أن القطار قد أبطأ من سيْره؟».

نظروا جميعاً إلى الخارج. كانت صفوف من المنازل تمتد على جانبيْ القضبان، وهي تدنو أكثر فأكثر من بعضها البعض.

«أكاد أجزم أننا في سبيلنا إلى الوصول، أو عبور إحدى المدن» لاحظ أوتّو بشيء من الإحباط.

وثَبتْ قاطرة الجنوب فوق القضبان مؤرجحةً الأطباق الفارغة. مرت أسفل جسر ضخم، وقد دخلت بين قضبان أخرى، ثم سارت بمحاذاة تقاطع طرق موازٍ، وطرق مزدوجة سريعة تشكل حشداً متشابكاً من مسارات السيارات».

«يبدو أنها ستتوقف حقاً» أصرت العمة.

صارت المنازل الصغيرة خارج النوافذ مباني أكثر ضخامةً وقبحاً، وبدأ القطار في الإبطاء من سرعته بشكل واضح.

«لكنني لا أرى مركبات طائرة عجيبة ولا مباني مستقبلية» علق ياجو ببعض الرضا. «تبدو لي مدينة أوروبية عادية للغاية». ثم نظر حوله، «أين اختفت كومة الخردة؟».

أطل جالينو يقظاً من غرفة القيادة: «سنصل خلال عشرين دقيقة تقريباً إلى مدينة البرج الحديدي».

«مدينة البرج الحديدي؟».

ضحك ياجو بخبث. «ماذا أخبرتكما؟».

«ماذا أخبرتنا؟».

كانت المباني تمر ببطْء خارج نوافذ القطار: نوافذ، وطرق، وتقاطعات،

Twitter: @ketab_n

وميادين، وأشجار خضراء تحف شوارع واسعةً، وشريط نهر رمادي تشقه زوارق هادئةً، وقد بدت، للحظات، في الخلفية زخرفة إحدى الكنائس الهرمية.

«البرج الحديدي» كرر ياجو، مديراً الملعقة في الطبق الفارغ.

«ألم تفهما بعد؟ نحن في باريس».

Twitter: @ketab_n

11. المحطة الحديدية

قطعَتْ قاطرة الجنوب متاهةً متشابكة من القضبان والتفريعات، ثم توقفتْ أخيراً. انفتح باب العربة بفعل الهواء المضغوط، ودفقات من البخار نفثت فوق العجلات بالغة السخونة.

أطل أوتّو وميديا وياجو على المحطة الكبيرة المقفرة. كانت بناءً ذا سطح مقوس، ونوافذ ضخمة تسمح بدخول ضوء عطر، وكثيف.

اكتست الواجهات الزجاجية بطبقات من الغبار، تكونت بفعل مرور أعوام من الإهمال. وغُطيت مقابض النوافذ، وهيكل البناية ببقع من الصدأ الأحمر.

«أي مكان هذا الذي وصلنا إليه؟» سأل أوتّو مترجلاً أولاً.

فوق الرصيف المغطى بالأتربة طبعت شعلة مستديرة، رمز سيبوريا، وأسفل منها مباشرة «مرحباً»، وقد تكررت بخمس لغات مختلفة.

نزلت ميديا بعد ابن العم، بينما ظل ياجو فوق درجات السلم. «أظن أننا لسنا في محطة الشمال».

«أظن ذلك. تبدو لي محطة مهجورة».

عبرت بعض الحمامات الجوّ الراكد خافقةً بأجنحتها. خطا أوتو بضع خطوات على الرصيف. أحصى إلى جوارهم ثلاثة أرصفة أخرى، تمتد متوازيةً، ثم تتفرع في اتجاهات مختلفة.

كان للمحطة هيئة ممر ضخم، سقفه معلق؛ ترفع مسامير برشام وبراغي من الصلب أقواساً رماديةِ اللون، تحتشد في نهاية الأرصفة، موحيةً بوجود قاعة انتظار كبرى تحوي نافورات عدة. وفي الواجهة ترتفع أربع لافتات ضخمة

Twitter: @ketab_n

من الحديد المطروق تحمل أسماء الأرصفة الأربعة. كان رصيفهم هو خط الجنوب.

«خط لكل اتجاه من الاتجاهات الأربعة» حدس الصبي، دون أن يضطر لقراءة اللافتات الأخرى.

كانت كل الأرصفة مقفرةً، وصامتةً. وأصوات بعيدة تأتي من الخارج، بدت كضوضاء خافتة لإحدى المدن: سيارات، محركات، وآلات تنبيه.

«تدب حياة عظيمة هنا، هه؟» ابتسم ياجو مستهزئاً، وقد ترجل أخيراً من القطار.

«يا له من مكان غير معقول» قالت ميديا.

«والآن؟ هل لديكما فكرة عما يمكننا فعله؟» واصل الرجل متحمساً شاربه بطريقة مستهزئة. «أم يجب أن نسأله... صديقنا الحديدي؟».

كان جالينو يتبعهم في صبر.

توجه أوتّو مباشرةً إلى داخل المحطة. وفي اللحظة التي بلغ فيها فسحة النافورة، توقف بغتةً. سمع سلسلة مريبة من القعقعات، والتكتكات. «هل تسمعان ذلك أنتما أيضاً؟» سأل.

«أنا، أجل».

«من أين تصدر؟».

«من كل صوب، كما أظن».

«انتظرا!».

«ماذا؟».

تبعت التكتكات عندئذ شهقات معدنية. وأخيراً أطلقت قنوات النافورة فرقعة خفيفة، ودفقة من الماء الصدئ إلى أعلى، وبعد بضع ثوان تحولت الدفقات

Twitter: @ketab_n

إلى رشات، ثم أخذت تلك الرشات في تشكيل ألعاب مائية، ودفقات مختلفة الارتفاع. بدأت بعض مكبرات الصوت، بحشرجة أولية مدوية، في ترديد أغاني راقصة على أنغام البيانو والكمان.

«تباً!».

«إنها تعود إلى العمل».

«هذا يعني أنها قد شعرت بوجودنا» قالت ميديا.

«أو به هو» علق ياجو مشيراً إلى جالينو. لم يوافق أوتّو الرجل، لكنه لم يقل شيئاً. شد قبضته على العلبة المنشورية التي بدأت في الخفقان بضوء أزرق ساخن داخل جيبه.

دبّت في شتى أنحاء المحطة حركة ما. برز رجال آليون صغار من فتحات صغيرة في الجدران، وأخذوا في التحرك سريعاً على أرضيات المبنى وجدرانه. أمسك بعضهم بمكانس طويلة تنتهي بقطع قماش بالية، وقد غمسوها آلياً في النافورة الرئيسية، وبدأوا في تنظيف الأرضيات.

«يا إلهي! يا للعجب!» تمتمت ميديا التي بدا لها أولئك العمال الصغار كحشرات صغيرة متشابهة، ذات دروع سوداء لامعة.

قهقه أوتّو، بينما ظل ياجو مستخفاً. «سأحمل منهم عشرة إلى المنزل، إذا كانوا صالحين للعمل فحسب».

في الواقع، كان الارتباك يبدو على بعض الآليين الأكثر تأثراً بالصدأ. فبينما كانوا يحاولون أداء عملهم على أكمل وجه، بدا وكأن أعواماً من نقص الصيانة قد أصابتهم عملياً بالعجز. حاول العديد منهم نثر الصابون الذي استنفدته الأنابيب المسدودة، وأخذ البعض الآخر في استخدام فرش كبيرة مبتورة، وأدوات أخرى صارت حطاماً بفعل السنين.

Twitter: @ketab_n

لكنهم بدوا لامبالين وحريصين على أداء مهامهم بطريقة تثير الضحك.

اجتازوا النافورة التي تجسد رجلاً ينظر بعيداً، ويمسك بيده شعلة مضيئة. أُلصِقت لوحات كبيرة من الفيسفساء أعلى الأقواس التي تربط بين قاعات المحطة المتعددة. كانت القاعة التي يوجدون فيها تدعى قاعة الاستقبال البخاري. وبعد اجتياز النافورة، صار بمقدورهم الاختيار بين دخول مسرح إكسيلسور أو قاعة الاستقبال الكبيرة التي لا تقل عنه ضخامة. ولأن المسرح كان مغلقاً (أشارت لافتة ضخمة بحروف متحركة إلى أن موعد العرض القادم بعد نصف الساعة)، اختاروا القاعة الكبيرة. وهنا اصطفت، الواحدة إلى جوار الأخرى، آرائك، وأسرة صغيرة ذات تصميم مبتكر. زين السقف بلوحة مائية لسماء موشاة بالنجوم، على خلفية زرقاء، كان بعض الآليين المتسلقين يحاولون عبثاً تنظيفها.

تتكون الأرضية، التي تمر عليها فرش صغيرة مستطيلة تدور على إسطوانات من الشمع، من الفسيفساء الخزفية التي تتنوع ألوانها بين الأزرق، والأبيض، والأحمر، والأسود. أما الجدران فكانت سوداء تماماً.

مرّرت ميديا يدها فوق حواشي الأسرة الناعمة التي ترك عليها الزمن آثاره: أكلت الحشرات والسوس بطانتها، كما دل الريش، والبقع، على مرور أجيال من الطيور عليها، وأشارت طبقات الغبار إلى الأعوام التي لم يضطجع فيها أحد عليها، في انتظار... ماذا؟

وفوق الجدران عُلقت ثلاث ساعات مستديرة، ضخمة، توقفت عقاربها. كانت الأولى تشير إلى توقيت باريس، والثانية إلى نيويورك، والثالثة إلى سيبوريا. وأسفل الساعات يوجد إطار كبير مطلي، يمتلئ بكتابات تصعب قراءتها بسبب الغبار. مرر أوتّو يده فوقها، واكتشف خطاً ملوناً تقطعه حلقات مستديرة،

Twitter: @ketab_n

كما يوجد في محطات إحدى العواصم.

«أوساي... نابليون...» قرأ الصبي. «إنها جميعاً محطات قطار آخر».

«أو ترام» صححت له ميديا، التي أزالت الغبار عن الجانب المقابل من اللوحة كاشفةً عن تخطيط ترام كهربائي، واسم الخط: زانج- تومب- تومب.

ضحك ياجو. «ووفْقاً لكما، هل يجب أن نستقل الآن ترام زانج- تومب- تومب؟».

«ليست لدي أدنى فكرة».

استقر عنكبوت آلي على الجزء العلوي من اللوحة، وشرع في تنظيفه ببطء، برشة مياه تميل إلى اللون الرمادي.

«أقترح أن ننتظر حتى يُتم الآليون أعمالَ النظافة جيداً، قبل أن نبدأ في قراءتها».

خرجوا من قاعة الانتظار عبر باب آخر بمصراعين متحركين، كُتب عليهما بمربعات بيضاء من الفسيفساء.

ل ا   ح ا ج ة   ل ل ت ذ ا ك ر

أ و   و ث ا ئ ق

ف ق ط   أ ف ك ا ر

وفي الأسفل، بحروف أصغر:

ا س ح ب   م ا ي خ ص ك

م ن   ص ن د و ق

م ك ت ب   ال م ر ا س ل ا ت   ال خ ا ص ب ن ا

Twitter: @ketab_n

10- . أخطاء ومصادفات

وصلا إلى منصة سماوية اللون لامعة، تحاذي رصيفاً ضيقاً تم الانتهاء من تنظيفه تواً، وإلى جواره وقف ترام صغير يعود إلى أوائل القرن، يعلوه رقم: 85479. كانت أبواب الترام مفتوحة، وتعطي إيحاءً بأنه ينتظرهم.

«أعتقد أنه ينتظرنا».

« ترام رقم: 85479، آمل ألا يكون رقماً تسلسلياً، وإلا عنى هذا رحيل عدد ليس بالقليل».

اقترب جالينو، الذي تبعهم حتى تلك اللحظة دون أن يتفوّه بشيء، من الترام وتمعن فيه باهتمام، ثم صعد إليه.

ودون أن يتحدث، جلس على مقعد القيادة، وأمسك برافعة التحكم، وجذب الذراع الآلية التي تتدلى من سطح الترام لتتصل بأسلاك التيار الكهربائي أعلى القضبان. انهمرت عليهم موجة قصيرة من الشرارات الزرقاء، وقفز رقم الترام عدداً (صار 85480)، ثم دوّى صخب القاطرة التي بدأت في العمل.

استمر ذلك بضع ثوان، ثم تلاه نوع من رد الفعل العكسي، وأخيراً دوي معدني بعيد. الدوي المعتاد لشيء لم ينطلق كما ينبغي.

ترك جالينو آلات تحكم الترام، وعاد إلى الرصيف. بدا منزعجاً.

«جالينو لا يفهم» أصدر أزيزاً. «لا بد من وجود مشكلة... البوابة لن تفتح». نزل عن الرصيف، واندس بين قضيبيْ الترام، متطلعاً إلى الأمام، في ثبات، إلى قلب الممر الذي تأتي منه أصوات حركة مرور بعيدة.

«ها قد عدنا» تحسر ياجو. «سيبدأ الآن في الطنطنة».

أعلى مدخل الممر، كانت توجد ثلاث لوحات مستديرة تحمل

Twitter: @ketab_n

صور امرأة ورجلين.

«ها هم الأساتذة!» صاح أوتّو. «هكتور وإليزابيث وأرنولد».

كان الثلاثة يتسمون شاحبين، وخياليين تقريباً، وخلفهم يظهر بحر أزرق. كان وجه إليزابيث حاداً ودقيقاً، شعرها كستنائي طويل، أملس، وعيناها واسعتان ولامعتان.

وزادت من إيحاء الجنون الذي يرتسم على وجه أرنولد المستدير، المبتسم، لحية صغيرة مدببة، وغابة من الشعر المجعّد خطه الشيب.

كانت مقدمة شعر هكتور زاب شديدة البياض والكثافة كباقة من زهور الروم؛ عيناه زرقاوان وجليديتان تقريباً، ونظرته جادة ومركزة.

«الأحلام هي وقود الواقع». قرأت ميديا على الملصق الذي يرافق الصور الثلاث.

«يظل الأساتذة كذلك دائماً...» تمتم ياجو. «نماذج حقيقية للتواضع».

«لماذا تقول هذا؟».

«هل ترين في أي مكان صوراً للطلاب الستة والعشرين الذين رافقوهم؟».

وبينما كانوا ينتظرون أن يتوصل جالينو إلى حل مشكلة البوابة المغلقة، واصلوا التجول في أرجاء المحطة المقفرة. عبروا رواقاً من الرخام الأبيض، والأسود، وفزعوا عندما انفتح رتاج في منتصف أحد الجدران.

اقترب الثلاثة في دهشة.

خلف مكتب عاجي ظهرت امرأة آلية مضحكة ترتدي منديلاً، كان لونه أبيض ذات يوم، ومريول المضيفات الموشّى بالشعلة المعتادة.

كان رأس الآلية مثلثاً، مزيناً بحاجبين معدنيين، يرتفع فوق عنق طويل

Twitter: @ketab_n

متحرك. أدارت جذعها في دوي وأخرجت صوتاً أشبه بصوت جرامفون قديم.

«عفواً! هلموا! طبعة أخيرة! طبعة أخيرة! آخر أنباء المدينة الجديدة».

كانت بعض آلات سحب الصحف تدوي خلفها، ملقيةً بأوراق صفراء اللون.

أمسك أوتّو أحدها.

كانت صحيفة تتكون من ورقة وحيدة، لا تزال ساخنة. كان الحبر باهتاً للغاية، رمادياً داكناً، خطوطه لامعة.

Twitter: @ketab_n

16 مايو 1939

السيبورياني

المدينة جاهزة

افتتاح موسم الإعمار

لقد عكفنا ثلاثين عاماً على تنفيذ كافة التفاصيل، ونحن الآن مدعوون لاستقبال أول الوافدين من الخارج. تم اختيار وتنفيذ التضاريس الخارجية، والمعمار، والميكنة، والبناء. ولمن يبغي معرفة معيار الاختيار، نجيبه بأنه واحد فقط: العقل. إن سيبوريا للجميع، وليست لكل الأشخاص.	لسنا– أنا ومعاوني في المستشفى– قلقين كثيراً. لقد عقدت رهاناً مع المجموعتين الأخريين على أن أول من سيضع قدمه في سيبوريا سيكون امرأة. لا تجعلوني أفقد الرهان يا مواطنات المستقبل! إن سيبوريا هي المكان الذي يمكن أن يحوي كل الاختلافات؛ لأن الحق للجميع.	انطلِقُوا أيها المرشدون! ارحلوا إلى مدن العالم، واحملوا إلينا مواطنينا المنتظرين. علموهم اللغة الضوئية الأكثر سهولة وتلقائية في العالم! ومنكم أنتم يا مواطني المستقبل، نطلب أن تختصروا فترة انتظارنا قليلاً؛ لأن الرحلة توشك الآن على الاكتمال.
هكتور زاب	**إليزابيث بولير – ليتون**	**أرنولد دورو**

نسخة مجانية – يحظر بيعها – تهدى بحذر

طباعة خاصة. طباعة مونوتيب. دورو– باريس

Twitter: @ketab_n

«هل لاحظتم التاريخ؟».

«لقد توقفنا عند ذلك العام».

«إنها قديمة للغاية».

«لكنهم يواصلون طباعتها» قال ياجو. «يبدو أن هؤلاء السادة الآليين ليس لديهم أنباء جديدة منذ وقت طويل».

«لا بد أنه لا أحد قد قدم إلى هنا منذ أعوام».

ضحك. «تُراوِدني شكوك قوية حول مجيء أي شخص إلى هنا».

«هل نسيت رقم الترام؟ 85479، والذي زاد رقماً عندما أدار جالينو الترام؟ إذا كان يشير إلى الرحلات التي قام بها...».

«أجل... على خط زانج – تومب – تومب –الوهمي».

« أتقول إنه وهمي! وكذا كانت القضبان، والجسر الذي قادنا إلى هنا!».

«هل تبغي طلب بعض المعلومات؟» مزح ياجو مقترباً من الآلية موزعة الصحف. «إيه، حبيبتي! هل يمكنك إخباري كم نسخة وزعت من تلك الورقة؟».

«صحيفتك، يا سيدي! لتمضية وقت الانتظار! آخر أنباء المدينة الجديدة!».

«لقد أخذت صحيفتك بالفعل» اندفع ياجو.

«في قاعة الانتظار! لتتابع الحفل الراقص الكبير في مسرح المحطة!» واصلت في ثبات. «آخر الأنباء! صحيفتك، يا سيدي!» هز ياجو رأسه.

نظرت ميديا إلى الآلية بمزيج من الألم والتعاطف. «أحسدها قليلاً» قالت. «فهي سعيدة دائماً، حتى وإن كانت الصحيفة التي تقدمها تعود إلى مئة عام مضت».

Twitter: @ketab_n

طوى ياجو نسخته ووضعها في جيب بنطاله. وقال: «بينما أنا، على النقيض، غير سعيد بالمرة».

«أوتّو... بعد شهور قليلة من طباعة تلك الصحيفة» واصلت ميديا في تلك الأثناء. «غزا هتلر بولندا، وأطلق شرارة الحرب العالمية الثانية».

«بالفعل».

تردد صدى خطواتهم على الأرضية.

«أتعتقدين أن ذلك قد يعني شيئاً؟».

«ربما كان الأساتذة- ببساطة- سيئي الحظ تماماً ليبحثوا عن مواطنيهم مع بداية الحرب».

«ربما ذهبوا هم أنفسهم للقتال».

«أذكرك بأننا نتحدث عن ثلاثة أساتذة بلغوا آنذاك العقد الثامن من العمر و«فتية» في الخمسين من عمرهم».

«أو ربما... تم تدمير المرشدين بضربات القذائف، والعربات المدرعة».

«أو ربما صُهِروا لتصنع منهم القذائف».

«وهكذا نسيهم الجميع».

«وربما تكون المدينة الجديدة ذاتها قد قصفت، أو دمرت».

«ترهات!» صرخ ياجو تقريباً. «كلها ترهات! هل تعيان جيداً عما تتحدثان».

حدق فيه الاثنان.

«لا توجد مدينة جديدة، ولم يذهب إليها أحد قط».

«آه، لا» استاء أوتّو. «وكيف تبرر إذن كل هذا؟».

Twitter: @ketab_n

«إنها فقط لعبة كبيرة. لعبة البحث عن كنز[8] من المليارات!».

«أتعي ما تقول؟» اندفعت ميديا.

«ألم تكفِك الرحلة، التي أتمْمناها تواً، على متن القطار؟ وذلك الجسر الذي ظهر من العدم؟ وجالينو؟».

«أتفِق معك تماماً. نحن أمام سلسلة من الاختراعات المذهلة، والمعجزات الآلية المبتكرة... والفن المعماري. ولا شيء سوى ذلك!».

«بالخارج يوجد ترام ينتظر أن يحملنا إلى المدينة الجديدة!».

«أذكّرك أننا في باريس، يا عزيزتي!» اندفع ياجو. «مدينة البرج الحديدي! ولسنا في مدينة مثالية وهمية! نحن داخل محطة غريبة، مهجورة في باريس.. انظري!» قاد العمة وابن العم، جاذباً إياهما، إلى إحدى النوافذ الكبيرة التي تطل على الخارج. وعبر الزجاج المعتم بدت أطراف أسطح داكنة، ونوافذ مستديرة. «أترين تلك؟ أتعرفت عليها؟ إنها محطة فرساي، محطة باريس القديمة التي تحولت إلى متحف».

«وإذن؟»

«كنا أولاً في بيزا في إيطاليا. كيف يمكننا أن ندعوها... لنقل... مدينة البرج المائل؟».

«وماذا إذن؟».

«إذن... نحن نتبع تلك التعليمات العبثية... وهذه العرائس من الزجاج والمعدن التي تتحدث كما كانوا يفعلون منذ مئة عام! لنحاول الخروج من

---

(8) لعبة ينقسم فيها اللاعبون إلى مجموعات، تسعى للبحث عن إشارات خفية تدل على الكنز. (المترجمة)

Twitter: @ketab_n

هنا... ولنعد إلى المنزل!».

لوح أوتّو بنسخته من صحيفة عام 1939 مستاءً. «لن أخرج». قال بصوت خفيض. « اذهبا أنتما، إذا شئتما».

Twitter: @ketab_n

-9. المَرَدة

كان ثائراً حقاً.

تجاوز أوتّو كشك الصحف، وبلغ باباً دوّاراً كبيراً، رُسم على زجاجه شعار سيبوريا. ودون أن ينبس بكلمة واحدة، وجد نفسه في غرفة رحيبة للغاية، وهي مكتب المراسلات.

كانت الحجرة مؤثثة بعشرات الطاولات المستديرة التي تشبه عش الغراب، وبعيداً عنها اكتسى حائط كامل من الغرفة بأنابيب من النحاس، تدخل وتخرج من الجدار، لتصل ما يقارب المئة من الحاويات الأسطوانية المصطفة، كل منها إلى جوار الأخرى. بدت الحاويات، المرتبة في أكثر من صف، عند قاعدة الحائط، كغسالات صغيرة ذات نوافذ شفافة صممت كنوافذ قاطرة الجنوب، وتصاحبها سلسلة من البطاقات النحاسية الصغيرة، وعدد من الأقفال المربعة.

وفوق لافتة كل صندوق سجلت أسماء مختلفة، وحيث إنها كانت مرتبة ترتيباً هجائياً، توجه أوتّو إلى الغسالة التي تحمل حرف «ف».

– «أنا هنا» صاح.

لحقه ياجو، وميديا في تلك الأثناء.

– «كيف تقول إنك هنا؟».

«مكتوب «فولجوري». إنه لقبي. إنه لقب جدي، وجدي الأكبر. إنه مسجل هنا على أية حال».

«ماذا يعني هذا؟».

كان أوتّو مبتهجاً. «يعني أنهم ينتظروننا».

«هذا منطقي...» أيدته ميديا. «لقد أرسلوا بالآليين المرشدين إلى حيث

Twitter: @ketab_n

يعيش أشخاص يعرفونهم بالفعل، أشخاص يمكنهم الرحيل».

نظر ياجو حوله. «وبمناسبة المرشدين. أين انتهى الحال بمرشدنا؟».

«لا بد أنه ظل عند قضبان الترام».

«سأذهب لأرى ماذا يفعل» اقترح ياجو في خشونة.

«ياجو...».

«لا تقلق. سأحاول ألا أتشاجر معه، أو أشد شعر رأسي، لكن لا تتحركا من هنا. اتفقنا؟».

لم يجبه أوتّو. كان يمرر يده على تلك الحاوية الجدارية الغريبة، متسائلاً عما سيفعل. وبينما كانت العمة وياجو يتناقشان حول جالينو، قرر أن يفعل أكثر الأشياء بساطة. تناول العلبة المنشورية من جيبه، وأدخلها في قفل الصندوق، كما لو كانت مفتاحاً.

دخلت مطلقةً شعاعاً أزرق.

«أوتّو، ماذا فعلت؟».

«لا شيء. كما أعتقد على الأقل...».

لكنه لم يكن كذلك بالطبع.

مرت بشبكة أنابيب الغرفة موجة من الهواء المضغوط، جعلتها تهتز، وتئن، وتقرقع. ثم اندفع في الأنابيب شيء ما يجري بسرعة كبيرة من الداخل. وبعد أن اجتاز، بسلسلة من الأصوات المدوية، تشابك المسارات، وقفت القذيفة الغامضة خلف نافذة صندوق فولجوري تماماً، الذي انفتح مصدراً صفيراً.

«واو! إنها صناديق بريد هوائية!» ابتسم الصبي.

كان الطرد كبيراً كصندوق أحذية. ابتسمت ميديا، وهزت رأسها مأخوذةً.

Twitter: @ketab_n

- «لا أصدق...».

- «بل صدّقي، يا عمتي» أجاب أوتّو، وقد بلغ إحدى الطاولات المستديرة العديدة. «لأنه موجه إلينا نحن».

بدا ياجو مضطرباً.

بينما يعود على إثره في المحطة المقفرة، تملّكه الانزعاج والغضب. وعندما بلغ فسحة النافورة، لاحظ أن أبواب مسرح إكسيلسيور قد فُتحت.

أطلّ برأسه داخلها. كان صوت مسجل يكرر: «استريحوا، أيها السادة! بينما أنتم في انتظار رحلتكم، تمتعوا بتمثيل حفلة إكسيلسيور الراقصة! الحفلة الراقصة الكبيرة تقدم في ستة أجزاء وإحدى عشرة لوحة! شاهدوا للمرة الأولى على المسرح الزورق البخاري، والسفينة، والتلغراف، والمصباح، ونفق مونشينسيو، وقناة السويس!».

ارتفع صوت الموسيقى عالياً، وانفتح الستار: ظهر اثنا عشر راقصاً آلياً على خشبة المسرح، وهم يتحركون على عجلات صغيرة.

كان ذلك كثيراً للغاية.

صار انزعاج ياجو غضباً مفرطاً، حقيقياً.

ترك المسرح خلفه محاولاً التحكم في رغبته في تحطيم شيء ما.

اعترته مشاعر متضاربة؛ فإلى جانب الغضب، تملكه القليل من الإحساس بالدهشة والخوف، والحيرة. شعر أنه يشبه إحدى تلك العرائس، التي تعتلي خشبة المسرح، وتخضع لمحركها. وبدأ الإحساس بكونه تابعاً باستمرار يصبح غير محتمل. لا يملك الحرية ليفعل، أو يقرر أي شيء. وتزداد صعوبة الحفاظ على سره ساعة بعد أخرى، لقد تعرف جالينو على كاليبانو، ودعاه أيضاً «بالصديق».

Twitter: @ketab_n

مشكلة حقيقية.

يجب على ياجو أن يجد لها حلاً عاجلاً أم آجلاً.

«يمكنني دائماً الاختفاء»، كان يردد بين خطوة وأخرى. يمكنني الاختفاء، وعدم العودة مرة أخرى. يمكنني الذهاب إلى سيبوريا والبقاء فيها إلى الأبد، بعيداً عن كل شيء، وعن الجميع، وعن والدي.

سيبوريا، بالطبع! وإذا اتضح أن سيبوريا هي محض أوهام! وإذا كانت مجرد لعبة لقنص كنز المليارات كما دعاها منذ قليل؟ ماذا سيقول لوالده؟ كيف سيواجه غضبه؟

كان ياجو يسير غاضباً وخائفاً، وواصل السير دون أن يرى حقاً ما يوجد أمامه. لم يسمع مكبر الصوت يدعو المسافرين المتجهين إلى سيبوريا إلى التوجه إلى رصيف المغادرة، فلم يكن الترام، والقطار، وتلك المحطة المقفرة النموذجية- وفقاً له- سوى مسرح لانهائي للرجال الآليين.

وها هو هناك أخيراً، جالينو، الذي لا يزال جالساً بين القضبان الصغيرة، يدقها ليبث شيفراته السمعية الغريبة.

من يدعو الآن؟ ولماذا؟

كلما نظر إلى وجه الآلي الجامد، شعر ياجو بشيء واحد: الخطر.

الخطر من افتضاح أمره.

ثم إنه كان شديد الشبه بآلي آخر عملاق يبعث فيه الخوف منذ صغره.

بدا أن اليد ذاتها قد صنعت جالينو والعملاق.

لم يشعر به حين وصل، واستمر في الدق على القضبان. ظل ياجو متوقفاً طويلاً يفكر في ما سيفعل، ثم رأى عارضة معدنية موضوعة على الأرض؛ أمسك بها، وشد عليها بقوة بين أصابعه. بدأت رغبة جنونية تتملكه، فلم يكن

Twitter: @ketab_n

غضبه قد خفت بعد، بل كان متقداً كالجمر.

سار ياجو ببطء، بمحاذاة الترام، ممسكاً الدعامة في يده، ونزل إلى القضبان. ما إن رفع القطعة المعدنية حتى استدار الآلي نحوه.

«أوه، إنه أنت، يا سيد ياجو» طنّ بتلك النبرة غير المحتملة لإسطوانة قديمة من الفينيل. «جالينو لم يسمع خطواتك».

وبتلك الطريقة الغريبة في التحدث عن نفسه بضمير الغائب!

«ماذا تفعل؟».

ظل الآلي منحنياً فوق القضبان. «جالينو يبحث عن... أصدقاء».

«أي نوع من الأصدقاء؟».

«مرشدون آخرون مثل جالينو... جالينو لا يفهم البوابة المغلقة. لا يفهم هذا كله. جالينو ليس لديه تعليمات أخرى».

«ماذا تعني « بتعليمات أخرى»؟

«جالينو يستشير القضبان ليجد حلاً».

«وبماذا تخبرك القضبان؟».

«لا شيء حتى الآن. لا إجابة».

«وماذا إذن؟».

«عن أي تعليمات تثرثر؟».

«كانت التعليمات المسجلة داخل جالينو مختلفة. الإرشاد الأول: استدعاء قاطرة الجنوب. وقد فعل جالينو هذا. الإرشاد الثاني: قيادة قاطرة الجنوب حتى مدينة البرج الحديدي. وقد فعل هذا أيضاً. الإرشاد الثالث: اتباع زانج- تومب- تومب. ولم يستطع جالينو إتمام هذا. ولهذا أسأل القضبان عن تعليمات أخرى».

Twitter: @ketab_n

«هل يوجد إرشاد رابع أيضاً ؟» سأل ياجو مشدداً قبضته على الدعامة.

«أوه، بالطبع، يا سيد ياجو. الإرشاد الرابع. التحكم في العملاق».

فجأة.. لم يستطع ياجو أن يبلع ريقه.. وأبطأ الرجل من شد قبضته على الدعامة.

«التحكم في العملاق؟».

«إنه كذلك بالضبط، يا سيد ياجو، لكن، بالطبع، طالما لم نجد العملاق، لا يعرف جالينو كيف يتحكم فيه... أوه، انتبه، عفواً».

«ماذا؟».

استدار الآلي نحو الممر واضعاً كلتا يديه على القضبان.

«أيزعجك أن تظل ساكناً، يا سيد ياجو؟ أنا أتلقى رداً».

مرة أخرى حاول ياجو أن يبلع ريقه فلم يستطع..!

Twitter: @ketab_n

-8. جواز سفر إلى المستحيل

أعطاه الخيط والشمع اللذين أخذ في إزالتهما الشعور ذاته الذي أحس به، وهو يفتح علبة الجد بريمو. وكانت العلبة الجديدة تحوي أشياء أكثر غرابة: مصلصلة مطلية باللون الأسود، بطاقة صلبة مثقوبة، وبعض الوثائق يضمها معاً مشبك برتقالي. وقد رُسمت داخل المصلصلة جزيرة يحيط بها إكليل من السحب وكلمات:

مقدمة وجيزة

عن عادات سيبوريا وتقاليدها

لكن عندما فتحها، لم تصدر أي صوت.

«لقد تحطمت» قالت ميديا.

قلّبها أوتّو بين أصابعه. «أو...». وجد فتحة صغيرة أخرج منها أسطوانة معدنية صغيرة، ورفعها في مواجهة الضوء. قرأ كلمة «لومن» على القاعدة. لم تُصدِر، عندما وضعها إلى جوار علبته المنشورية، أي ضوء أزرق.

«أو ربما فرغت بطاريتها ببساطة».

أعاد إغلاق المصلصلة وتحقق من الأشياء الأخرى التي توجد داخل اللفافة. كان للبطاقة المثقوبة من الباكليت أبعاد البطاقة المغناطيسية العادية، لكنها بدت أكثر كثافة، وقد لُفّت في قطعة ورق صغيرة رُسِمت عليها طريقة استخدامها.

«اترك هنا عملاتك السابقة!» قرأت ميديا خلف ورقة التعليمات. «لا قيمة للذهب والفضة في سيبوريا! استخدم فقط بطاقتك + الأعمال الخاصة بك».

ابتسمت: «لقد فكر الأساتذة، في ما يبدو، في بطاقة الائتمان قبل ابتكارها بوقت لا بأس به».

Twitter: @ketab_n

في تلك الأثناء، ركز أوتّو انتباهه على وثيقة اكتسى ظهرها بجلد الماعز الأحمر. وبمجرد أن فتحها، انزلقت منها ورقة.

انتباه!

نحن مواطني سيبوريا لا نؤمن بالهوية، ولكن بما يقابلها، أي بالاختلاف. املأ بيانات وثيقة اختلافك في كل جزء منها، واترك ما لا يبدو لك واضحاً. ليس إجبارياً تحديد جنسيتك السابقة بدقة، ولا عمرك؛ لأن الجنسية الوحيدة التي ستحملها تخص مدينة لا جنسية لها، والعمر الوحيد الذي سيكون لك يخص عقلك، الذي لا عمر له.

عندما تنتهي من ملء البيانات، احتفظ بالوثيقة معك، إذا أردت أن يقرأها أحدهم. أو اتركها حيثما تشاء، إذا أردت أن تثير فضول أحدهم. والآن هلم! سريعاً! استقل زانج - تومب - تومب! لا تضيّع وقتاً أطول. نحن ننتظرك! قرر مستقبلك الآن. كن المواطن الجديد الذي أنت عليه.

فتح أوتّو الوثيقة التي سقطت الورقة منها، وقال مبتسماً: «إنه جواز سفر إلى سيبوريا».

جواز سفر تجوّل حر

يطلق عليه وثيقة الاختلاف

(يعبّأ بخط اليد)

الاسم: أوتّو.

اللقب: فولجوري بيروتي.

الاسم الضوئي: برق بيزا.

الشعار: (تنبيه: سينقش الشعار في سجل المواطنين المتوفين في سيبوريا): لا يوجد دواء للصواعق.

Twitter: @ketab_n

الأصول بالنسبة المئوية

نباتي: 70٪ غابات بيزا.

مدني: 20٪ بيزا مدنية البرج المائل.

بحري: 10٪ ليفورنو (لكن لا تخبروا أهل بيزا).

أرضي:.........

مدني:.........

جليدي:.........

آخر (حدده):.........

قدرات فكرية أساسية: الرياضيات، الإنشاءات. أشياء تُدرس في المدرسة (بما يكفي ليجعلني أنجح).

قدرات جسدية أساسية: قيادة الدراجة.

عدد ونوع الحيوانات الأليفة التي تمت تربيتها قبل الوصول إلى سيبوريا: سمكة حمراء، 2 سلحفاة أرضية،1 قنفذ (لكنه هرب من العلبة ليلاً).

عدد ونوع الأشياء التي تحطمت، أو أصيبت بأضرار قبل الوصول إلى سيبوريا: أكثر من خمسين (يستحيل ذكرها كلها).

محتوى الجيوب لحظة ملء الوثيقة الحالية: علبة منشورية، منديل ورقي، عقب قلم رصاص (صغير). ملعقة حساء استعرتها من قاطرة الجنوب.

أشياء أخرى تريد الإبلاغ عنها: أنا حفيد بريمو فولجوري بيروتي، وأتامنتي فولجوري بيروتي الذي وجب عليه الرحيل مع البروفيسور زاب في عام 1975.

Twitter: @ketab_n

-7. هروب نموذجي

وفي ممر زانج - تومب - تومب، كان جالينو ينصت إلى نداء القضبان البعيد.

«ماذا يقول أصدقاؤك؟» سأله ياجو، عندما لم يتمكن من كبح فضوله.

«أوه، يا سيد ياجو. جالينو يؤلمه إخبارك أن الأصدقاء لا يجيبون، ولكنه نظام الطوارئ الآلي لحل المشكلات».

«نظام آلي...؟».

«نظام الطوارئ الآلي لحل المشكلات. إنه يبلغني بالتعليمات اليدوية لنتمكن من اتباع خط زانج - تومب - تومب. البوابة لا تفتح؛ لأن الخط معترض. والأسباب التي قد تؤدي إلى إعاقة الخط هي: أ) أن يكون التوسع السكني الزائد قد أعاق جزءاً من القضبان، أو من شبكة اللومن التي تغذي القاطرة. ب) أن يكون غزو معاد قد استولى على المدينة، وأعاق حركة الترام. ج) أن تكون كارثة طبيعية: زلزال، فيضان، ثورة بركانية قد منعت نظام الاتصال بين الطرفين».

«إنه السبب الأول، يا جالينو. الأول، بالتأكيد! وبماذا تخبرك تعليمات الطوارئ؟».

طنطن جالينو قليلاً. «إنها معقدة للغاية في الحقيقة. التعليمات هي: أ) استخدام مخرج الطوارئ س إلى جوار البوابة ز. ب) تسليم تصريح السفر إلى الحارس الآلي. ج) استلام خريطة مسار زانج - تومب - تومب. د) بلوغ مخزن طاقة بيكاسو. هـ) توجيه زانج».

«هل يوجد خلاف ذلك؟».

Twitter: @ketab_n

«الرسالة تتكرر. أ) استخدام مخرج الطوارئ س...».

«لقد فهمت! فهمت!».

«هل فهمت، يا سيد ياجو؟ يبدو لي هذا مهماً؛ لأن جالينو لا يفهم شيئاً على الإطلاق».

شد ياجو قبضته مجدداً على الدعامة المعدنية.

أشار جالينو إلى القضبان. «وجالينو...»، بحث عن الكلمة: «يؤسفه».

خفض ياجو الدعامة قليلاً. «يؤسفك؟ لماذا؟ ومنذ متى تعبأ بفهم شيء ما؟».

أدار جالينو عنقه إلى اليمين واليسار، مقلداً هزة رأس ميديا التقليدية. «آه، يا سيد ياجو. هذا... جالينو... لا يعرفه...» قرر بعد أن تحشرجت إسطوانته. «لكن جالينو يعتقد أن عدم معرفة شيء قد يكون أمراً صحيحاً، لكن عدم الفهم هو أمر خاطئ. ليس هذا فقط ما يفكر فيه جالينو. جالينو يؤسفه أيضاً شيء آخر؛ المرشدون الآخرون لا يجيبون. أصدقاء جالينو لا يسمعون أسئلته، كما لو أنه لا وجود لهم. وكما لو أن جالينو قد بقي بمفرده. بدون أصدقاء. وهذا يؤسفه أكثر».

خفف ياجو من قبضته على الدعامة. «أتعرف لماذا لا يجيب مرشدوك؟».

«جالينو لا يعرف».

«ألا تتخيل ذلك؟».

«جالينو لا يمكنه تفسير معنى «يتخيل»».

«إنه عندما لا تعرف شيئاً، ويجب عليك ابتكاره مستخدماً ذلك القليل الذي تعرف».

«أيكون التخيل مثل عدم معرفة شيء؟».

Twitter: @ketab_n

«يمكنك أن تتخيل موت المرشدين الآخرين جميعاً».

«موت: مسألة صعبة، ومؤلمة في الصباح. أتعني بهذا، يا سيد ياجو، أنه يجب على جالينو مناداة أصدقائه في المساء؟».

«أقصد أن المرشدين الآخرين قد انطفأوا. أتفهم بشكل أفضل هكذا؟».

«أوه، يا سيد ياجو، أجل. الآن جالينو يفهم أفضل بالطبع. انطفأ كل المرشدين. إذن... يكفي إشعالهم من جديد كي يجيبوا عن أسئلة جالينو».

«أنت متفائل عتيد، يا جالينو». تمتم ياجو، كما لو أنه يخشى أن يسمعه أحد، وكإجابة قال الآلي: «لقد وجدت قطعة معدنية جيدة، يا سيد ياجو... هل يمكنني أن أسألك فيم ستستخدمها؟».

ترك ياجو الدعامة المعدنية تنزلق أرضاً. « لا شيء، يا كومة الخردة. منذ دقائق كنت أفكر في استخدامها لتحطيم رأسك، لكن الآن...» انسحب جالينو مقعقعاً في موقف دفاعي. «لكنني غيرت رأيي. يبدو لي أنك تفكر بطريقة مختلفة».

«جالينو لا يفهم... ماذا تعني «يفكر»».

«يعني عندما تسأل نفسك «لماذا»، ولا يمكنك إيجاد إجابة».

«إذن «يفكر» يشبه كثيراً «يتخيل»؟

ابتسم ياجو رغماً عنه. «لتعلم أنه لأجل هذه العبارات بالضبط، قررت عدم ضربك بتلك الدعامة».

«لهذه العبارات، يا سيد ياجو... أم لأنني الوحيد الذي يمكنه فهم التعليمات اليدوية لاتّباع – زانج – تومب – تومب؟».

اتسعت ابتسامة ياجو. «لقد بدأت في التفكير. أيها الوسيم».

وعلى بعد قاعتين، دوّى صوت مسجل ينبه المسافرين إلى إعداد حقائبهم؛

Twitter: @ketab_n

لأنه حان وقت الرحيل.

«إلى القطار! إلى القطار» كان يكرر.

وضع أوتّو وميديا الوثائق داخل الطرد، وعادا إلى قاعة الانتظار الكبيرة بحثاً عن ياجو، وجالينو. كانت العناكب قد قامت بعمل واضح، وبدا سطح اللافتة الكبيرة واضحاً كله تقريباً.

كان خط زانج – تومب – تومب البنفسجي المتعرج يعبر باريس من جانب إلى آخر، ويقوم باستدارات غريبة، ويتوقف في محطات عدة، حمل بعضها أسماء فرنسية مثل قصر الباستيل، وشارع ريفولي، بينما حملت أخرى أسماء خيالية مثل: فران – بلا – بلو، أو كراك – بين – بين.

استمر صوت المكبر يدوي داعياً إلى الرحيل.

لكن إلى أين؟

وكيف؟

تابع أوتّو بعينيه مسار زانج – تومب – تومب كاملاً، الذي يبدأ من المحطة المركزية، التي يقفون فيها، ويتجه إلى شمال غرب المدينة، ليتوقف في زانج، تومب، تومب على وجه الدقة.

وإذن؟ ماذا عليهم أن يفعلوا؟

انفتح الباب المزدوج الذي يؤدي إلى رصيف الترام كاشفاً عن ياجو وجالينو. «أين ذهبتما؟ لقد طلبت منكما البقاء في مكتب المراسلات!».

«لقد سمعنا النداء. وهرعنا لنرى ماذا يحدث!».

«إنه إنذار كاذب، إسطوانة مسجلة. لن يرحل أي قطار من هنا. كل شيء معطل».

«معطل؟».

Twitter: @ketab_n

«البوابة لا تفتح».

«ولماذا؟».

«(أ) لأن التوسع العمراني الزائد قد أعاق جزءاً من...» انطلق جالينو قبل أن يقاطعه ياجو.

«هذا ما يحدث: الترام متوقف، ولا بد من الاستمرار بالتعليمات اليدوية، وهي معقدة، حتى وإن بدا أولها أمراً يسيراً».

«استخدام مخرج الطوارئ س المجاور للبوابة ز» كرر جالينو.

«وما البوابة ز؟».

«الوحيدة الموجودة» أجاب المرشد. «ز ترمز لزانج. إنها في نهاية الممر».

«اتفقنا» قال أوتّو. «لنذهب إذن».

لم يترددوا طويلاً.

ساعد جالينو ميديا على النزول إلى القضبان، ثم شق طريقه في الممر مطلقاً ضوءاً صغيراً أزرق ليُنير الطريق.

Twitter: @ketab_n

-6. فكرة برّاقة

بعد ما لا يزيد على مئة خطوة، كان الممر ينتهي ببوابة حديدية ضخمة كفيلة، لضخامة حجمها، بجعل فيلاً فولجوري تحمر خجلاً. كان رجلان مفتولا العضلات يمسكان بطرفيها، وفي المنتصف، يكوّن نصفا ميدالية شعلة كبيرة منقوشة. وبدت خلف البوابة شوارع ومباني باريس الأخرى، كما لو أن القضبان تمتد فوق ما يشبه الجسر المعلق.

سلط جالينو الضوء الأزرق على كل ما يحيط بهم.

«باب الطوارئ س» صاح ياجو، عندما كشف الضوء عن باب من القصدير، يشبه باب غواصة، وبرز عليه حرف «س» من سيبوريا. اقترب منه وتحسسه. «أعتقد أنه هو» قال محاولاً فتحه. «هل يعرف أحدكم كيف يُفتح؟ ربما هنا..».

وفي وسط الباب كانت توجد فتحة ضيقة، أدخل فيها ياجو يده.

بست! ستاك! دوت الفتحة.

سحب ياجو يده فزعاً. «آه، لقد عضتني!» وبدا على ظهر كفه أثر عشر نقاط حمراء صغيرة متقاربة.

صدر صوت من الفينيل: «تصريح مرور غير صالح. الرجاء إدخال تصريح مرور ساري المفعول».

لم ينتظر أوتّو تكرار النداء. أخرج من الطرد البريدي الصغير جواز سفر المدينة الجديدة، وأدخله في الفتحة تحت الضوء المركز لمصباح جالينو.

بست! ستاك!

وأُلقي بجواز السفر خارجاً.

Twitter: @ketab_n

«تصريح مرور غير صالح. الرجاء إدخال تصريح مرور ساري المفعول».

« دعني أجرب» قالت ميديا، وبروح مغامرة، دست البطاقة + الأعمال في الفتحة، وانتظرت صوت *بست! ستاك* ثم سحبتها.

« تصريح مرور صحيح! تبقى لك تسع وتسعون لومن» قال الصوت.

اندفع الباب القصديري إلى الوراء، وانفتح على رواق يمتد إلى أعلى، وقد فُرش ببساط طويل.

«فظيع» قال ياجو متطلعاً إلى التصميم المخطط بالأبيض، والأسود، والمهدئ للأعصاب الذي يغطي الأرضية.

«لا أوافقك. إن الزخارف المستوحاة من الحيوانات تعود بقوة مجدداً» صححت له ميديا قبل أن تسلك الطريق. «هل ستأتيان أنتما أيضاً؟».

عُلقت على جدران الرواق تصميمات منازل ومساكن ذات نزعة مستقبلية، صاحبتهم حتى بلغوا باباً خشبياً مغلقاً كُتب عليه:

مخرج الطوارئ

وكلما تقدموا إلى أعلى، ضاق الرواق وانخفض سقفه، حتى إنه بوصولهم إلى الباب الخشبي، كان أوتو هو الوحيد الذي يسير دون أن يحني ظهره. وإلى جانب الباب وجدوا طاولةً صغيرةً مستديرةً، ينيرها مصباح صغير أخضر، نحاسي، له سلسلة معدنية طويلة، وفوق الطاولة توجد كومة من الأوراق وبطاقة صغيرة.

خذ من هنا

خريطتك مجاناً

زانج – تومب – تومب سعيد!

أخذوا ثلاث نسخ، وقد مرروها إلى بعضهم البعض.

Twitter: @ketab_n

«معذرة...» اندفع ياجو محنياً ظهره تماماً، «لكن ألا يراودكما أنتما أيضاً الشعور بأن أولئك الأساتذة المباركين يهزأون بنا. ماذا تعني إقامتهم باباً صغيراً هكذا؟».

«يعتمد دائماً على ما يوجد في الناحية الأخرى». أجاب أوتّو، وهو يفتحه ببطء.

وما إن فتحه، حتى لفحته الرياح وضوضاء المدينة. وثب إلى الخلف. كان الباب ينفتح على مسافة تعلو عشرين متراً عن الأرض، في منتصف جدار أحد المباني.

«يا للسماء المقدسة!».

«والآن ماذا سنفعل؟».

«عند هذا الحد، اتفق معك، يا ياجو...» تمتمت ميديا وهي تطل في الفراغ. طُليت الواجهة التي برزوا منها بإعلان ضخم، باهت اللون. كان يصور مصباح هوفمان، ذات المصباح الذي يضيء الطاولة، وله سلسلة طويلة من النحاس.

بدأوا في تبادل الحديث.

«هل نعود أدراجنا؟».

«وبعد ذلك؟».

«يمكننا أن نحاول الخروج من الواجهات الزجاجية...».

«السلسلة، عفواً!» قال جالينو.

«إنها مرتفعة للغاية».

«ثم إنني لن أعود أدراجي».

«كم نرتفع عن الأرض؟».

Twitter: @ketab_n

«السلسلة، عفواً!» قال جالينو مجدداً.

«وإذا تبعنا قضبان قاطرة الجنوب...».

«أو نحاول اقتحام البوابة...».

«ربما على الجانب الآخر من المسرح...».

اقتحمهم جالينو بعنف. «جالينو قال: حاول جذب السلسلة، عفواً!».

زمجر الآلي الذي تنقصه نبرة الصوت المنْزعج.

صمت أوتّو وميديا وياجو. جذب جالينو سلسلة المصباح الذي يعلو الطاولة. وانطفأ الضوء.

«طيّب» قال ياجو. «أنت عبقري حقاً».

عاد جالينو إلى الباب الصغير، أطاحت الرياح بالقبعة من على رأسه وأطارتها بعيداً.

«تسك! تسك!» قال الآلي.

ظل الآخرون يراقبون قبعته التي تبتعد بين أسطح منازل باريس، ثم أدركوا أن بعض التروس قد بدأت في الطقطقة على الواجهة الخارجية.

أطل أوتّو وميديا وياجو الواحد تلو الآخر. أسفل الباب الصغير، كانت تتدلى ببطء درجات سلم معدني، لتتصل إلى الأرض.

وهنا تطلعوا، الواحد تلو الآخر، إلى جالينو.

«لكن كيف دار ذلك بذهنك؟».

كان يركز جل انتباهه على قبعته الهاربة، أجاب بشرود: «مصباح بالداخل ومصباح بالخارج. مصباح كبير ومصباح صغير. سلسلة تتدلى وسلم يتدلى».

عندما وصلت درجات السلم الرصيف. أبدى ياجو استعداده للخروج، لكن ذراع جالينو الآلية منعته.

Twitter: @ketab_n

«يؤسفني إخبارك، يا سيد ياجو، أن جالينو ينوي تقدمكم في النزول... وإلا صار من العسير استعادة قبعته».

وبعد أن أتم قوله، تعلق الآلي بدرجات السلم الأولى، وبدأ في الهبوط.

«ليغلق من ينزل أخيراً الباب، يا سادة» أضاف قبل أن يختفي في الأسفل. «عفواً!».

عندما وصلوا إلى الأرض، لم تبدُ لأي منهم فكرة سيئة التوقف في أول حانة لتناول قطعة كريب عملاقة بالشيكولاته، واستعادة القوة والمزاج الطيب.

إنها بهجة حقيقية. تجاهلوا الأتربة والبقع التي تكسو ثيابهم، كانوا كما لو أنهم قد عادوا إلى الحياة الطبيعية.

«رائع» اختتمت ميديا.

«يمكنكما الآن أن تخبراني عن التعليمات التالية».

«بسيطة. يجب أن تبلغ مخزن طاقة بيكاسو». أجابها ياجو، قبل أن يختفي في الحمام».

« وهو؟».

هز أوتّو رأسه متناولاً آخر قطعة. «ليست لدي أدنى فكرة».

«انتظر... ربما الأمر أكثر بساطة مما نتصور». فتحت ميديا نسختها من خريطة زانج - تومب - تومب، وتحققت من المحطات المختلفة، وبعد بضع دقائق أشارت إلى إحدى المحطات الأخيرة، «ها هي هنا: محطة بيكاسو، أعتقد أنه علينا أن نتوجه إلى هناك».

ظل جالينو بالخارج، على مقربة منهم، يستند في لامبالاة إلى عمود مصباح تقاطع الطرق، مع الأشخاص الذين يمرون إلى جواره دون أن يلتفتوا إلى يديه وقدميه ووجهه المعدني. كان قد استعاد قبعته البيضاء، ووضعها بشرود في

Twitter: @ketab_n

توازن فوق أنفه مخفياً نفسه عن نظرات المارة السطحية. فقط، عندما مر طفلان إلى جواره، صرخا بشيء ما، لكن لم يعره والداهما اهتماماً.

طلبت ميديا معلومات عن طريق، أو ميدان يحمل اسم بيكاسو، محاولة معرفة كم يبعد، والوسيلة المثلى للوصول إليه. كان يستحيل أن يستقلا سيارة أجرة مع جالينو دون أن يلفتوا الأنظار إليهم.

اكتشفت ميديا أنه اسم أحد الشوارع التي تقع خلف حي رجال المال، وهو بعيد إلى حد ما عن موقعهم الحالي. يجب عليهم أن يعبروا نهر السين، ويدوروا نحو الشمال الغربي، على امتداد المحور التاريخي للمدينة، ثم يواصلوا الطريق بعد ناطحات سحاب منطقة «الدفاع» مسافة لا بأس بها.

«هل نستقل مترو الأنفاق؟» غامر أوتّو.

لم يُبد صاحب المقهى موافقته على ذلك. «إنه صباح جميل. وتوجد وسيلة أخرى للوصول إلى هناك».

«وهي؟».

«هل سمعتم مسبقاً عن خدمة الدراجات الحرة؟».

Twitter: @ketab_n

5-. شارع بابلو بيكاسو

طواطم منتشرة عبر أرجاء المدينة.

دراجات.

كانت خدمة الدراجات الحرة شبكة من مواقع الدراجات التي يمكن تأجيرها من بعض المعارض المميكنة، المنتشرة عبر أرجاء المدينة، وتسليمها، بعد الانتهاء من استخدامها، إلى أي معرض آخر. يكفي إدخال الاسم، والدفع بواسطة أي بطاقة ائتمان، وينتهي كل شيء. كانت بطاقة الائتمان الوحيدة الصالحة هي الخاصة بياجو، الذي استخدمها مبدياً بعض الريبة.

وعلى النقيض، لم يسع أوتّو أن يكون أكثر سعادة. كان يدير مدوسي الدراجة مبتهجاً بين طرقات المدينة وآثارها (اللوفر، حدائق تولوريس، قوس النصر، الشانزليزيه...) غير عابئ بالعمة التي تلاحقه بصعوبة (مطلقة بين الحين والآخر صيحات إعجاب لرؤية هذا الأثر أو ذاك)، أو ياجو الذي يمتلئ غضباً من الجميع. كان جالينو يتقدمهم عدواً، كأحد العدائين، بقبعته المتزنة فوق رأسه، وخريطة باريس أمام عينيه.

«إشارة مرور!» صرخوا فيه عند أول تقاطع. توقف جالينو في منتصف الطريق، مجبراً صفاً من السيارات على التسمر في أماكنهم.

«انتبه إلى خطواتك!» صاح فيه أحد سائقي السيارات، وقد التقت عيناه نظرات الآلي الزجاجية.

اقتاده أوتّو وميديا وياجو سريعاً بعيداً عن المكان، وفي أول زقاق وجدوه، حاولوا تلقينه مبادئ قواعد المرور.

«اعطِ الأسبقية دائماً...» كرر جالينو في نهاية الشرح. «حسن للغاية.

Twitter: @ketab_n

جالينو فهم».

وهكذا انطلقوا مجدداً.

بدوا مميزين للغاية، كي لا يثيروا الانتباه. فكّر السائحون الكثر، والمواطنون الذين رأوا ذلك الكائن المعدني الغريب يسير مرتدياً قبعة صيفية ومعطفاً، أنه يعمل ضمن حملة دعائية جديدة وعجيبة، أو ربما في فيلم، أو بعض كتب الأطفال. ولم يجرؤ أحد على إيقافهم خوفاً من التورط في خصم جيد، أو استمارة يجب ملء بياناتها.

عبروا أسفل قوس الدفاع الزجاجي الضخم، وانحنوا بمحاذاة الجنوب الغربي، في طرق تزداد اتساعاً وازدحاماً، وساروا إلى جوار أحد المنتزهات، ثم دخلوا شارع بابلو بيكاسو في السادسة عصراً تقريباً، وهناك توقفوا منهكين.

جلس ياجو على الأرض منزعجاً، فمنذ أعوام طويلة لم يُجهد نفسه كثيراً فوق دراجة. وكان وجه العمة ضارباً إلى الحمرة، كمن انتهى تواً من عمل شاق مرهق، بينما بدا أوتّو مرتاحاً تماماً، يشع حيوية من كل جزء فيه.

«ماذا تظنان أن يكون مخزن الطاقة؟» سأل الصبي.

لم تكن لديهما أدنى فكرة بالطبع.

«هل يكون نوعاً من... لا أدري... المنازل؟ أو ربما متجر؟»

«أو مصنع طاقة كهربائية؟»

«ما رأيكما في ورشة تصليحات؟»

وبعد أن خلت أذهانهم من الأفكار، نظروا إلى الآلي الذي ظل صامتاً.

«لا تسألوا جالينو» اعتذر. «ليس لديه ما يكفي من... الخيال!»

بدأوا في دفع الدراجات بأيديهم، ونظراتهم تنتقل على جنبات الطريق في محاولة للتعرف على البناء الغامض. كان شارع بابلو بيكاسو مجهولاً إلى

Twitter: @ketab_n

حد كبير، يأخذ منحنياً واسعاً، ويتقاطع مع باحة مظللة بالأشجار، وتحفُّه من الجانبين مبانٍ ترتفع ثمانية طوابق، ولا يبدو أي منها مثيراً بشكل كاف ليكون مخزن طاقة بيكاسو. استغرق أوتّو بضع دقائق ليتحقق من الأسماء على البطاقات فوق أزرار الأجراس، ثم واصلوا السير.

«ربما تكون مروحة للرياح...»

«أو شبكة هاتف معدل...»

«أو قبرا طُبعت عليه شعلة سيبوريا»

وجدوه بعد مئة متر إلى الشمال. ولم يراودهم الشك؛ ففي نهاية الشارع الذي يحمل اسم الرسام العبقري التكعيبي، ارتفع ما يشبه علبة كبيرة ذات نوافذ، عُلقت على ارتفاع ثلاثة طوابق من الأرض، بدعامة مركزية، مستديرة، ورحبة كمستراح في موقف سيارات. كان يشبه صندوقاً ضخماً للطيور يرتفع فوق عمود.

«ما رأيكما؟ هل يمكن أن يكون من أعمال أرنولد؟» سأل أوتّو موقفاً الدراجة أمام البناية.

«بلا شك» قالت ميديا.

«إنه يخصه» وافقها ياجو.

اقتربوا من الدعامة المركزية بخوف وتبجيل. إن السير أسفل منزل معلق يثير القلق. وعندما رفعوا أبصارهم نحوه، أمكنهم رؤية كل الأنابيب التي تخرج من أسفل الأرضية وتتشابك كعقدة من الخيوط في هيكل الحامل الرئيسي. كانت الدعامة تضم طرفين من الأعمدة المعدنية المثبتة بالبراغي، كتلك التي تكوّن برج إيفل، ويتسعان عند القمة، ليحملا ثقل البناية المعلقة كله.

Twitter: @ketab_n

يمكن الدخول إليه عبر طريق صغير، ودرجتيْ سلم دائريتين، وممر خارجي من بلاطات صغيرة ذات لون بنفسجي داكن، وباب دخول ضخم له مصراع مزدوج، وقد نقش فوقه حرفا «م»، و«ز» كبيران. ولم يكن هناك أي قفل ظاهر.

وإلى جوار الباب ثُبتت لوحة ميكروفون مبرغلة، وجرس مستدير، ومرآة.

«سأضغط على الجرس» قال أوتّو.

«أتظن هذا؟»

«د) الوصول إلى مخزن طاقة بيكاسو. هـ) توجيه النقطة زانج».

«أما عن الوصول، فقد وصلنا».

«هل أنتم واثقون من أنه هو؟»

«إنه أكثر المنازل التي رأيتها غرابة في حياتي، ويوجد حرفا «أ»، و«ز» على الباب أي مخزن وزانج. أعتقد أننا قد وجدناه».

«إذن، سأضغط على الجرس».

«وماذا يمكن أن يعني توجيه زانج؟»

«هل أضغط على الجرس؟»

«اضغط على الجرس!»

ضغط أوتّو على الجرس. دارت المرآة أعلى الميكروفون خمساً وأربعين درجة كاشفةً في داخلها عن مسار أفقي ومرآة أخرى تتجه إلى أعلى. كان هاتفاً مرئياً عبقرياً صنع في الثلاثينيات.

ومن الحلقة النحاسية المثبتة أسفل الجرس انبعثت موسيقى بيانو وكمان.

«أنا أعرفها...» تمتمت ميديا. «إنها الموسيقى ذاتها التي كانت في المحطة».

Twitter: @ketab_n

ظل أوتّو بضع ثوان في انتظار قلق، ثم توقفت الموسيقى، وعادت المرآة إلى وضعها، كما لو أن شيئاً لم يحدث.

«لا يجدي».

«لا يوجد أحد».

«سأعيد المحاولة».

أعاد أوتّو المحاولة... لكن دون جدوى.

«انتظرا... انتظرا... لنفكر» فكر ياجو، وهو يسير جيئةً وذهاباً أمام الباب: «لا توجد مفاتيح، إذن يبدو أن الجرس هو وسيلة الدخول الوحيدة. هذا يعني وجود احتمالين: الأول هو أن يكون قرع الجرس مرة واحدة فقط ليس كافياً، لكن لا بد من قرعه بطريقة خاصة مثل... ثلاث مرات خاطفة وثلاث مرات طويلة ثم ثلاث مرات خاطفة، كما كان يفعل جالينو مع القضبان، لكن...»

«لكن...»

«لكن إذا كنا سنستخدم شيفرة مماثلة، سنعرفها».

«ولماذا سنعرفها؟»

«سنعرفها؛ لأننا وصلنا هنا، بعد أن اتبعنا تعليمات إجراءات الطوارئ لاستخدام خط زانج- تومب- تومب، وهي إجراءات وضعت خصيصاً لذلك الغرض، ولا يمكن لمن وضعها أن يأتي بنا إلى هنا دون أن يمنحنا إمكانية الدخول، أليس كذلك؟»

«تفكير منطقي» وافقته ميديا.

« إذن.. أعتقد أنهم قد توقعوا كل شيء، وأننا لن نصل إلى هنا بمفردنا، ولكن برفقة مرشدنا، الوحيد القادر على إبلاغنا تعليمات إجراءات الطوارئ اليدوية. أليس كذلك؟»

Twitter: @ketab_n

ران الصمت حول ياجو كما لو كان خطيباً عظيماً.

«وماذا إذن؟» سألت ميديا، حيث أن ياجو لم يشر إلى رغبته في الانتهاء من أفكاره.

«إذن... في رأيي... الحل بسيط، لا ينبغي أن نقرع نحن الجرس، ولكن جالينو هو من يجب عليه أن يفعل ذلك».

تراجع الآلي خطوة على الفور. «جالينو لم يأخذ تعليمات بقرع جرس».

«ولم تكن لديك تعليمات بأن تجذب سلسلة المصباح» ذكّره أوتّو. «ولكنك فعلت».

ظل جالينو متحيّراً. «لقد جاءت الفكرة هناك ببساطة، بينما هنا...»

«تخيل، يا جالينو» قاطعه ياجو، «من يمكن أن يسمح له الأساتذة بدخول مبناهم؟ بمن سيثقون، إن لم يكن بكائن صنعوه بأنفسهم وبرمجوه؟»

ومرة أخرى، بدا تفكير ياجو سليماً تماماً. وقد وافقه جالينو ذاته بالرغم من عدم امتلاكه قدرات منطقية وتخيلية.

«كما ترغب، يا سيد ياجو، سأقرع الجرس. لكن بتصريح من السيد أوتّو فقط».

«لقد صرحت لك». قال الصبي.

اقترب جالينو من الزر المستدير، رفع يده، وأشهر إصبعاً كما رأى أوتّو يفعل. ضغط الزر للمرة الثالثة، دارت المرآة مجدداً حول محورها، وانبعثت موسيقى البيانو، وبعد دقائق قليلة، دار حرف «ز» المثبت فوق مصراع باب الدخول الأيمن حول نفسه مرتين.

تك. تك.

تحولت «ز» إلى «ف»، و«ي»، وكوّن الحرفان معاً كلمة (في).

Twitter: @ketab_n

«في دخول».

ابتسمت ميديا لياجو، ووضعت يداً على الباب، ودفعته ببطء إلى الداخل.

«ماذا أخبرتكم؟» ابتهج الرجل متحسساً شاربه.

«أعتقد أنك قد أصبت الهدف...» تمتمت عالمة الآثار وهي تلج مخزن طاقة بيكاسو.

Twitter: @ketab_n

-4. موعد في باريس

أصابهم الذهول.

كان مخزن الطاقة، في الداخل، من الأسمنت الرمادي، ويمتد فيه سلم حلزوني، بدرجاته السوداء والبيضاء إلى أعلى ويهبط تحت الأرض. وفي منتصف بئر السلم الحلزوني تقع الكابينة الشفافة لمصعد مصنوع من النحاس.

استقبلتهم صورة ضخمة لأرنولد دورو يجلس إلى منضدة، أمام أطباق من الأقلام الرصاص، وريشات حبر صيني صغيرة، ومالج، ومطارق، وقنينة صغيرة من الحبر الأسود. وعلى جانبي اللوحة، يوجد سهمان كبيران أحمرا اللون، يتجه أحدهما إلى أعلى والآخر إلى أسفل.

وكانت الكتابة بالحروف المسرحية توضح:

لا تخشوا شيئاً يا سادة!

أيّا كان سبب وجودكم هنا

فأنتم في المكان الصحيح!

↓ ↑

أسفل — أعلى

مشاكل في التغذية — أعطال في الخط.

«إلى أعلى أم إلى أسفل؟» تساءلت ميديا، وهي تقف أمام إطار اللوحة.

«مشاكل في الخط، أم في التغذية؟ أليسا الشيء ذاته؟»

«لا أعتقد أنه يتحدث عن الطعام».

«على أية حال، أعتقد أنه يجب أن نتجه إلى أعلى، فليس لدينا

Twitter: @ketab_n

مشاكل في التغذية».

«لدينا مشاكل أخرى: توجيه زائغ».

«ألديك أية أفكار، أيها الخردة؟»

لم يجب جالينو. أغلق خلفهم باب الدخول بصوت مدوي أفزعهم.

«رائع» اندفع ياجو. «وهكذا علقنا هنا بالداخل. هل يعتبر هذا أيضاً جزءاً من تعليماتك؟»

«لم يبق لدى جالينو سوى شيء واحد» ذكره جالينو. «التحكم في العملاق».

«شيء مطمئن حقاً» همست ميديا ساخرة. «يجب أن تذكرني بذلك كثيراً».

فتح أوتّو باب المصعد، الذي يشبه بيضة شفافة، ووجد في الداخل سلسلة تتدلى من منتصف البيضة تماماً.

«اجذبْ قليلاً لتصعد، اجذبْ طويلاً لتهبط».

جذبها طويلاً.

وجد نفسه في ما يشبه المخزن. عندما خرج من المصعد، وجد صوت العمة ميديا تدعوه من الطابق الأعلى (لكن كم كان ارتفاعه؟ بدا له صوت العمة بعيداً بكل تأكيد) أشار بيده، وصاح: «كل شيء على ما يرام! سألقي نظرة وأعود!»

كان الظلام يسود.

بحث أوتّو عن مفتاح الإضاءة. حرك رافعة صغيرة من السيراميك مضيئاً سلسلة من المصابيح الزرقاء التي أنارت رواقاً ضخماً. يمتد بساط بنُقوش جلد الفهد بين صفين من الأرفف الملأى بزجاجات من الخمر مختلفة الأحجام.

Twitter: @ketab_n

زجاجات صغيرة وكبيرة وعملاقة. وعلى جانبي البساط تشير بضعة أرقام سُجلت على الأرض إلى... إلى أي شيء؟ أعوام الحصاد؟

أمعن أوتّو النظر، وأدرك أنها ليست زجاجات خمر ولكنها... بطاريات. إنها كابسولات زجاجية ومعدنية مختلفة الأحجام، رُتبت وفقاً لحجمها وصولاً إلى حيث لا يمكن أن يدرك البصر، تناول أوتّو أحدها من الرف، وأدارها بين أصابعه.

«لومن...» تمتم.

كان محاطاً باحتياطي هائل من بطاريات لومن. وربما كانت الأرقام على الأرض تشير إلى كثافة التيار المختلفة، أو نوع الطاقة التي تنبعث من المولّدات.

أخرج من جيبه العلبة المنشورية، التي كانت موصلاتها الكهربائية تنبض بشرارات زرقاء، ثم تذكر المصلصلة ذات البطارية الفارغة، التي حصل عليها في المحطة. يجب أن يستفيد من ذلك في إبدالها.

وفي منتصف الرواق تقريباً، وجد صورة كبيرة بالأبيض والأسود. كانت صورة للأساتذة الثلاثة، وخلفهم أسطح باريس، يجلسون حول طاولة، في ما يمكن أن يكون مقهى على قمة برج إيفل. كان الثلاثة يتسمون، وبينهم وُضعت إحدى الصحف، لوفيغارو، بحيث يمكن قراءة عنوانها، وكان:

لومن: طاقة المستقبل أم بديل البترول؟

ركزّ أوتّو نظرته على أرنولد المعماري، مصمم المنزل المعلق الذي يقفون فيه: بدت في تلك النظرة الناضجة شرارة من الحماس الطفولي تماماً. كان عالم الرياضيات الذي يجلس إلى جواره أكثر عبوساً، كما لو أن التقاط صورته قد أزعجه. كان يبدو أن أصابعه لا تزال تمس أصابع الأستاذة، الوحيدة بين الثلاثة

Twitter: @ketab_n

التي صورت جانبياً، وأنفها المنتظم يكمل خط القبعة مدببة الطرف.

ابتعد أوتّو بصعوبة عن الصورة، وما أن فعل ذلك، حتى شعر بقلبه ينبض بقوة في حلقه، كلص سرق من الماضي لحظة حقيقية.

بعد أن حصل على بطارية المصلصلة، جذب أوتّو سلسلة المصعد، وصعد إلى جانب المنزل المعلق أعلى الدعامة المركزية. كانت النوافذ كلها مفتوحة، تسمح بدخول أشعة الضوء الأخيرة في النهار.

كان مكاناً مضيئاً للغاية، أرضيته ذات ارتفاعات مختلفة، مما يعطي إيحاءً ببعض الحركة. وخلف بعض الأبواب المطلية باللون الأسود، بدا مطبخ غريب وحمام صغير وحجرة نوم. اكتست الجدران بمكتبة، أرففها من الصلب، وصور أخرى عديدة بالأبيض والأسود.

مكث جالينو في الطابق الأرضي لحراسة مدخل المنزل. كانت العمة ميديا تتفحص الصور، بينما رفع ياجو بحذر سماعة هاتف قديم من الباكليت الأسود.

«بمن ستتصل؟» سأله أوتّو.

«لا أحد، أتحقق فقط ما إذا كان يعمل».

«هل يعمل؟»

أطلقت ميديا صفيراً. «انظرا إلى هذا! إنه هنا مع جوستاف إيفل، مصمّم البرج!»

أدخل ياجو إصبعاً في قرص الأرقام ودوّره. «انتظرا! يبدو لي أنني أسمع شيئاً ما. صوت. أعتقد أنه صوت مسجل، أشبه برسالة هاتفية».

«وماذا تقول؟»

أنصت ياجو لبضع ثوان، ثم تابع: «آه، حسن للغاية».

Twitter: @ketab_n

«أخبرني الصوت بأن انتظر. لقد تلقوا إشارة بعطل الخط، وسيصلون في أسرع وقت ممكن لإصلاحه».

«من سيصل؟» سألت ميديا.

«وعن أي خط يتحدث؟»

« لا أدري، إنه صوت مسجل، كما قلت لك!».

«وكم قال إنهم سيستغرقون؟»

«أسرع وقت ممكن».

«مما قد يعني كل شيء، ولا شيء» قررت ميديا.

توقف أوتّو لمشاهدة الصور معها. كانت في أغلبها صور مواقع تشييد: أرنولد مع العمال، أرنولد في مصهر، أرنولد إلى جوار قدمٍ حديدية عملاقة، أرنولد على قمة دعائم البناء.

وزعت الكتب في أرفف غريبة: كتب أريد قراءتها منذ أعوام طوال؛ كتب بحثت عنها في كل صوب وبحمق؛ كتب لا يجب أن أعيرها مهما كانت الأسباب؛ كتب يمكنني أن أتجنبها مطمئناً، أو أقوم بإهدائها، أو إعارتها؛ كتب موضوعاتها تهمني؛ كتب موضوعاتها لا تهمني؛ كتب مثيرة بغرابة، حتى وإن كانت ذات موضوعات لا تمت لي بصلة؛ كتب أُهديت لي لأسباب تافهة؛ كتب تبدو جيدة على هذه الأرفف.

كان المطبخ خاوياً من الأدوات الكهربائية المعتادة، والأفران تعمل بطاقة اللومن، الطاقة ذاتها التي أتاحت لثلاجة بدائية الحفاظ على دستة من زجاجات الشمبانيا باردة.

كان الحمام يمتلئ بالمرايا، ويتميز بدش أفقي، غريب، له فتحات تطلق مياهاً في كل اتجاه، وحوض استحمام أفقي، له غطاء زجاجي مدرج، بحيث يكون

Twitter: @ketab_n

ضرورياً تحديد طول القامة قبل الدخول إليه، كي لا يخاطروا بامتلائه بمياه زائدة عن الحد، والغرق.

كانت الغرفة الأخيرة التي استكشفوها أشبه بالمرجل، تطل على مشهد مثير، ولها نافذة بانورامية مفتوحة على أسطح منازل باريس البعيدة. كانت لوحة التحكم تشبه في أوجه كثيرة لوحة قيادة السيارة: ففي جانب، توجد بعض المؤشرات المستديرة، توضّح حالة الضغط، والسرعة (لمرجل؟)، وفي المنتصف يظهر نقش عمودي، وفي الجانب الآخر، ثلاثة أزرار: زانج، تومب، تومب.

تحديد النقطة زانج.

يبدو هذا سهلاً.

ضغط أوتّو الزر زانج، أصدرت الآلة القديمة قعقعة ضعيفة، ثم لا شيء. أخرج العلبة المنشورية، ودسها داخل الثقب.

زاب.

وصل ياجو، وميديا أيضاً.

«والآن؟»

اهتز المنزل بالكامل. سقطت الكتب من الأرفف، وارتعدت الأطباق داخل الخزانات في المطبخ.

«أطفئه! أطفئه في الحال» صرخت العمة منذرةً.

«لم أوقد شيئاً».

«أزِلْ ذلك الشيء».

حاول أوتو استعادة المنشور من الثقب، لكنه لم يستطع، « لقد حشر!»

«لدي شعور سيئ» قالت عمته. «لا تروق لي الطريقة التي بدأ المنزل في الارتجاج بها».

Twitter: @ketab_n

بدا أوتّو متحيراً للغاية. «إذا شئتم، سأجرب الضغط على الزر زانج... ربما سيعمل الآن!»

«لا، انتظرْ» صاح ياجو. «أريد أن أقول... انتظر بضع لحظات، لنرى ما إذا كان أحد سيأتي لمساعدتنا».

ظهر جالينو في الشقة صاعداً الدرجات ببطء. «لقد قرعوا الجرس».

قال بهدوء.

استدار ياجو، وميديا، وأوتّو بغتة نحوه.

«ماذا قلت؟»

«من قرع الجرس؟»

ظهرت خلف جالينو هيئة كاليبانو العملاقة، يمسك بيديه مسدسين مخيفين، لهما مخزنان كبيران وفوهتان سوداوان عميقتان.

ومفتوحتان.

Twitter: @ketab_n

3-. الخائن

لحظات من الفزع.

تصلّب ياجو وميديا وأوتّو. تحرك كاليبانو بسرعة خاطفة، رفع أحد المسدسين، وهبط به بكل ما أوتي من قوة على جمجمة جالينو المعدنية، وعندما استعاد الآلي اتزانه، أمسكه من خصره، وأجبره على الاستدارة نحوه.

«صديـ...؟» حشرج جالينو، ثم اندست أصابع كاليبانو المعدنية بين تروسه ونزعت بطاريته. ألقاه العملاق أرضاً، وهو لا يزال ينبض بضوء أزرق، وحطمه بقدميه.

«لا» صرخ أوتّو مندفعاً نحوه.

تجمد جالينو بعد سقوطه أرضاً. تمكن بطريقة ما من إدارة رأسه نحوه، والهمس بشيء ما، ثم خفت الضوء في عينيه، وتصلب الفك. أمسك ياجو بأوتّو ورفعه، مجنباً إياه الاندفاع صوب كاليبانو ومسدسيه.

«ماذا فعلت لجالينو؟ ماذا فعلت؟» كان الصبي يصرخ محركاً قدميه في الهواء.

أمَرهُم كاليبانو مهدداً إياهم بأسلحته: «لا تقوموا بحركات غريبة. هلموا إلى هنا، إلى الصالة. هيا! دون اعتراضات من فضلكم. الواحد إلى جوار الآخر. هكذا».

أطاعته ميديا وياجو وأوتّو. مرر كاليبانو فوهة أحد مسدسيه على ظهر معاصمهم وكعوبهم. انبعثت منه عشرات الدوائر الساخنة، وقيدهم في مزيج غريب من النيلون الصمغي.

تركه أوتّو يقيده في صمت. لم يستطع رفع بصره عن هيكل جالينو

Twitter: @ketab_n

الخاوي من الحياة.

«إنها تحرق» اعترض ياجو. «ترفّق!».

«ماذا يريد أن يفعل بنا؟» سألت ميديا فزعة.

«إنه يعدّنا للقاء مثير» أجاب ياجو مشيراً إلى المصعد الذي يرتفع ببطء.

نزل منه شخص.

الكونت ليجوانا.

«صباح الخير، سيدتي وسادتي!» استهل الكونت مُسنداً طرف عصاه إلى الأرضية الخشبية. سعدتُ بلقياكم! اغفروا لكاليبانو أساليبه، لكن كان لا بد من التأكد من عدم وجود نوايا سيئة لدى أحدكم. آنسة ميديا، السيد الصغير بيروتي جونيور..».

ولمرأى الكونت، امتلأ أوتّو بالغضب، لائماً نفسه؛ لأنه سقط في الأسْر بكل سهولة. عاد بذهنه إلى ما حدث، عندما التقى الرجل العجوز في المكتبة، وعندما أقام له العملاق الذي يخدمه فخاً عند بوابة المنزل. حاول التحرر من تلك المادة الصمغية التي تشل حركته، لكنه كلما تحرك، ضاق إسارها، وآذت جلده.

تقدم الكونت في الصالون وهو يدق بعصاه. «لقد بذلنا جهداً للوصول في الوقت المناسب، لأننا، بخلافكم، لم نرحل على متن قاطرة خاصة قادرة على الانطلاق بسرعة أربعمئة كيلومتر في الساعة».

كيف عرف ذلك؟ كيف وجدهم؟ فكر الصبي. كان أوتّو يكره طريقة حديثه أكثر من الكلام الذي ينطق به.

ألقى ليجوانا نظرةً وجيزةً على جسد جالينو ممرراً فوقه طرف العصا، ثم بلغ أوتّو. «إذن، ها نحن هنا، أيها الصبي...» قال بمكر. «كان جدك سينتشي

Twitter: @ketab_n

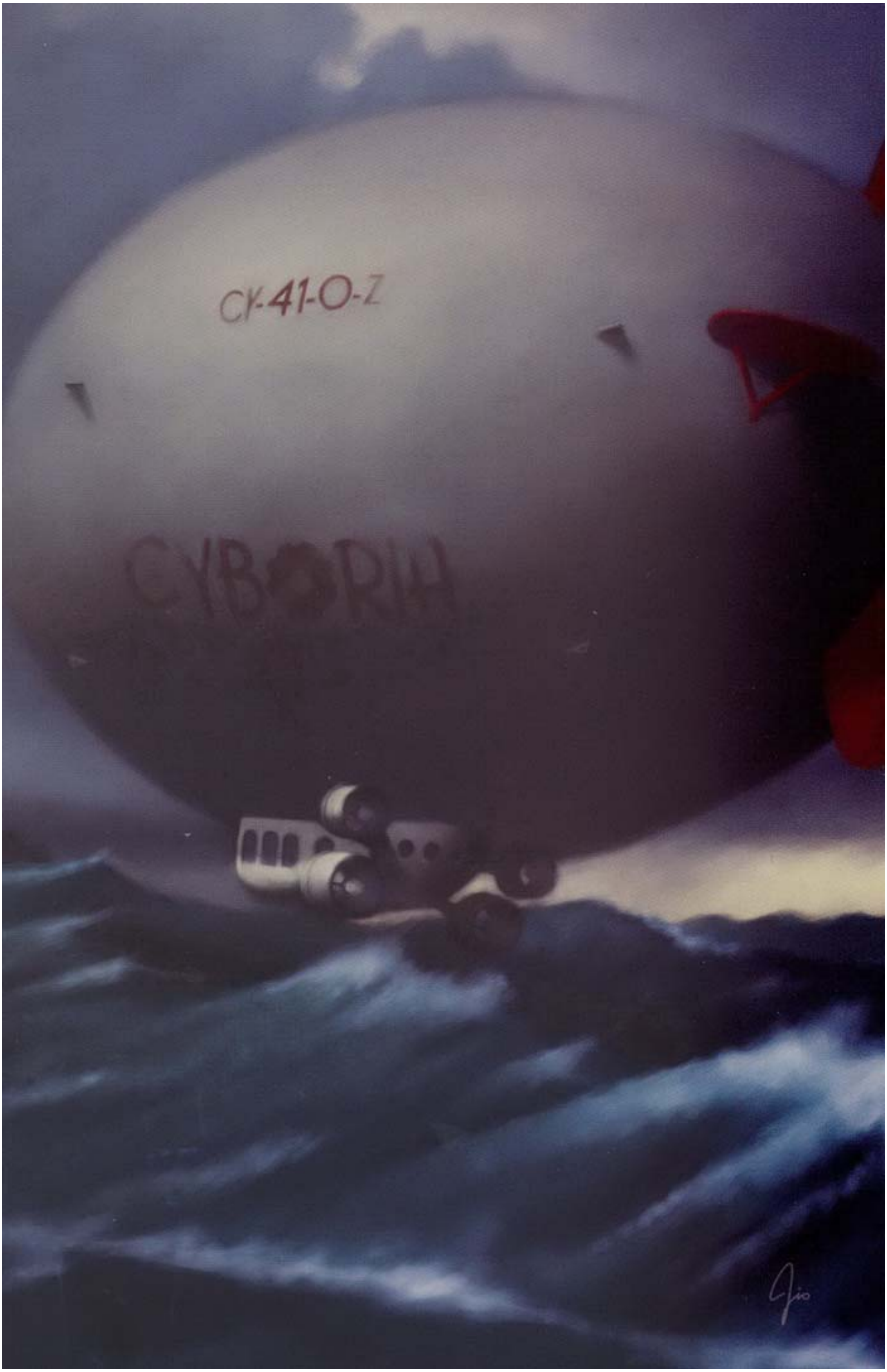

Twitter: @ketab_n

كان للمحطة هيئة ممر ضخم، سقفه معلق، ترفع مسامير برشام وبراغي من الصلب أقواساً رمادية اللون، تحتشد في نهاية الأرصفة، موحيةً بوجود قاعة انتظار كبرى تحوي نافورات عدة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

فقدت السفينة الهوائية ارتفاعها وشقت السحب . لفّت دوائر بيضاء كثيفة، هيكل المركبة، التي واصلت الهبوط متأرجحة في هزات فراغات الهواء .

Twitter: @ketab_n

فخراً بك. انظر إلى أي مدى نجحت في الوصول».

بدأ الكونت في المرور بعصاه على جيوب أوتو المختلفة، ضاغطاً القماش بحثاً عن بعض محتوياتها. «يقولون إنك تملك آلة خارقة. هل هذا صحيح؟ أين تحتفظ بها؟».

«لا تحاول لمسه!» صاحت ميديا.

تذمر الكونت ليجوانا. «آه» عالمة الآثار الشجاعة! أتفضلين أن ألمسك أنت؟».

«نذل!».

«لكن ألا يشعر شخص مثقف مثلك بالغرابة قليلاً وسط هذا التاريخ القبيح للمدن المتداعية، والمخلوقات الآلية؟ أليس غريباً أن تود باحثة في الماضي دس أنفها في شيء يمت إلى المستقبل بصلة؟ مبان ذات نزعة مستقبلية، ووسائل مواصلات للصفوة، وخدمٌ على مستوى معين».

وبضربة حادة من عصاه، هز ليجوانا صدر كاليبانو، وقد جعله ينطق بصدى معدني. ابتسم وجه حارسه الشخصي الجامد استهزاءً.

«هناك عباقرة منسيون صنعوا آليين معدنيين كما فعل المهندس زاب... وآخرون تَلُوهم أكملوا اختراعاتهم، وقد ساروا على نهج مختلط... عظام، ومعدن... دماء، وتروس... مثلما فعل والدي».

«كيف يكون هذا ممكناً؟» سألت ميديا بصوت مرتعد.

«كيف يكون هذا ممكناً؟» سأل الكونت ليجوانا في جفاف. «الجمع بين الدماء والحديد؟ الأعصاب والدوائر الكهربائية؟ لا أدري ليست لدي أدنى فكرة. لكن يمكنك أن تسألي كاليبانو... والبستانيين في حديقتي».

«كيف يكون وجودك هنا ممكناً؟» أجابت ميديا.

Twitter: @ketab_n

«أوه، يا سيدتي عالمة الآثار. يمكنني أن أوجه لك السؤال ذاته. وأعتقد أن إجابتك عليه ستكون أعقد وأطول بكثير من إجابتي. هل تريدين ردي؟ ها هو: أبي يبحث عن هذه المدينة منذ ما يزيد عن المئة عام... منذ أُستبعد ليفسح مكاناً لأتامنتي فولجوري بيروتي».

ضحك الكونت ليجوانا، عندما اتسعت عيون ميديا وأوتّو دهشة. «لقد فهمتم جيداً، بالتأكيد. لقد فهمتم بشكل جيد للغاية. كان عليه هو أن يرحل، وليس جد... كم! إن والدي عبقرية حقيقية في الميكانيكا، وكان زاب يعرف هذا، يعرفه جيداً، لكنه لم يختره في النهاية. فضل عليه ذلك الجاهل العاطفي أتامنتي، الذي أصابه الخوف... الخوف من الرحيل... ولم يستقل السفينة قط».

«بل لم يرحل لأجل الحب!» صرخ أوتّو. «حباً في جدتي الكبرى!».

«أرميلا الجميلة!» قال الكونت ليجوانا. «والتي يجب أن تشكرها بكل تأكيد لمجيئك أنت إلى العالم بعد بضعة أجيال غير مجدية. لكن بخلافك أنت، من أيضاً يجب أن يشكره؟».

«أنا» تمتمت ميديا.

«لقد اختار أتامنتي تفاهات الحياة اليومية على حلم المدينة الجديدة. مدينة مثالية تخدم البشر. مكانٌ ظل محجوباً عنا طيلة أعوام... حتى اليوم. أليس صحيحاً، يا ولدي؟».

انتقلت نظرة الكونت ليجوانا بغتةً إلى ياجو، الذي ظل صامتاً حتى هذه اللحظة.

«*ولدي*؟» صاحت ميديا في ذهول. «ولدك كيف؟».

وبغتةً تذكرّت سلسلة من العبارات الغريبة، وأشياء لم يصرح بها، وتقلبات

Twitter: @ketab_n

مزاج مباغتة، رتبتها في موضعها كأجزاء صورة مبعثرة.

«أتعْني أنك ابن... أنك أحد آل ليجوانا؟».

ضحك الكونت مستمتعاً، بينما سلط ياجو عينيه على الأرض. «يؤسفني ذلك. لم أرد أن ينكشف الأمر بهذه الطريقة».

«وكيف كنت تريد له أن ينكشف؟! أنت! لقد دعوتهم!».

«ميديا، أنا...».

«لقد استدعيتهم إلى المقهى بعد الظهيرة! أليس صحيحاً؟ أليس كذلك؟».

«إنه ليس كما تظنين...» تمتم ياجو.

«لقد خنتنا! أيها النذل الخائن القبيح! أراهن أنك لم تلْقني مصادفة في ذلك المعرض! كنت تريد التعرف إليّ! لا يوجد شيء حقيقي في كل ما أخبرتني به!».

قهقه الكونت استهزاءً. «هل قص عليك قصة الرسام الفاشل المؤثرة؟».

اشتعلت ميديا غضباً. «هل كان والدك هو من أقنعك بالبقاء معي؟ عالمة الآثار المنكوبة! حفيدة فولجوري بيروتي غريبة الأطوار! هل فعلت هذا لمراقبتي؟».

لم يجب ياجو بشيء مكتفياً بهزّ رأسه.

«أوه، أوه، يا لها من قطة شرسة يا ولدي» ضحك الكونت ليجوانا أمامها.

«لا تغضبي، يا آنستي. لا يفيد الغضب في شيء. ما حدث قد حدث. وهو ليس بالتأكيد الأمر الأكثر أهمية الذي يجب أن نتحدث عنه! لقد أتينا لنأخذ شيئاً، أليس صحيحاً؟» عاد ليقف أمام أوتّو.

«المفتاح!» أمره.

Twitter: @ketab_n

«لتنسي أمره!».

«كما تريد» أشار ليجوانا بإصبع يده اليسرى. «كاليبانو... يمكنك أن تكرر مع الآنسة ميديا ما فعلته مع الآلي الخاص بهم».

اندفع العملاق الحديدي إلى الأمام، وأمسك بميديا قبل أن تستطيع الصراخ بـ« لا»!.

أصاب أوتّو الذهول. «عمتي!».

«والدي! توقف!» صرخ ياجو أيضاً. « مُرْه بتركها في الحال!».

«وإلا ماذا، أيها الهزيل، ماذا ستفعل؟ هل تريد الدفاع عنها أنت؟» عادت نظرة الكونت للتوقف على وجه أوتّو. «أخبرْني أين هو المفتاح. ولن يحدث لها شيء، أو استمرْ في أداء دور البطل، وستضطر لسماع عمتك تصرخ، بينما يبحث كاليبانو عن قلبها... أعتقد أنه سيكون شيئاً مؤلماً للغاية».

«أنت معتوه» صاح أوتّو طارداً إحساساً شديداً بالغثيان.

«لا تصدّقْه، يا أوتو!» صرخت ميديا المحتجزة بين يدي كاليبانو الضخمة.

«لا تقلق علي، إنه يخرف! لا تفعل ذلك! لا... آه!».

ضاقت أصابع كاليبانو حول عنقها.

«لا تسيئي تقديري يا آنستي...» هتف الكونت ليجوانا. «منذ أكثر من مئة عام نتبع أنا ووالدي هذا الأثر الواهي... والآن بعد أن تحول الأثر إلى كل هذا، لن نتوقف أمام شيء تافه، وبالتأكيد ليس أمام عالمة آثار بلا قلب!».

ارتعدت العمة ميديا، بينما كانت ذراع كاليبانو الباردة تحيط بجانبيها.

تقافز ياجو عبر الحجرة. «والدي!».

«هل تريد لها أن تصمت عن الصراخ، ولمرة أخيرة؟».

رأى أوتّو كل شيء يدوْر، وشعر بمعدته تتقلب خوفاً واشمئزازاً.

Twitter: @ketab_n

«المفتاح في الحجرة الأخرى» قال بصوت خفيض.

«أوتّو، لا! اصمتْ!».

«ماذا تقول، أيها الصبي؟».

«إنه في الحجرة الأخرى» كرر الصبي. «حرّرنِي، وسأعطيك إياه».

برق وميض الطمع في عيني الكونت. «حرره!».

وضع العملاق الحديدي جسد ميديا أرضاً، وأخرج مسدسه مجدداً، وأسنده إلى الدَهان البلاستيكي الصمغي الذي يقيد معصميْ أوتّو. انطلقت من الفوهة حرارة قوية، وبدأت في صهر البلاستيك. شعر أوتو بجلده يحترق، لكنه شد على أسنانه، وأجبر نفسه على عدم إطلاق صيحة ألم.

بعد أن تحرر كعباه، انتقل كاليبانو إلى المعصمين.

«تقدّمْ، أيها الصبي» همس الكونت ليجوانا.

اتجه أوتّو متحيراً إلى ما أسماها «غرفة المرجل»، تجاهل جسد جالينو البارد المتجه شطر المدخل.

كان الكونت ليجوانا يسير خلفه بخطوة. توقفا أمام لوحة التحكم.

«ها هو».

«ارفعه من هنا!» صاح الكونت ليجوانا ممسكاً بمقبض العلبة المنشورية، وجاذباً إياه نحوه.

«لا يخرج!».

ابتسم أوتو استهزاءً، بينما بدأت بذرة فكرة تنمو في رأسه. «لن يخرج بالتأكيد؛ لأن شحنته قد نفدت».

«نفدت؟ ماذا تعني بأن شحنته قد نفدت؟» تدلّت خصلة من الشعر اللامع، المدهون على جبين الكونت وظلت معلقة كعلامة استفهام. مرر الرجل يديه

Twitter: @ketab_n

المرتعدتين على لوحة التحكم، وتحسس المؤشرات والأزرار، كما لو كان يمتلئ رغبة في تشغيلها وفهمها جميعاً، لكنه يمنع نفسه.

«وفي ما تفيد... هذه الآلة؟» سأل محموماً.

«لم نكتشف ذلك بعد؛ لأنه بدون شحنة...» كذب أوتّو.

أومأ الكونت ليجوانا ببطء. «الشحنة، بالتأكيد، اللومن الأسطوري. أعتقد أنني أعرف ماهيته. والدي...».

«يوجد كل اللومن الذي يلزمك في المخزن».

Twitter: @ketab_n

-2. المنزل الجوّال

قرر الثلاثة النزول.

الكونت وأوتّو، وكاليبانو يسير خلفهما ككابوس.

عندما بلغوا المخزن، شغّل أوتّو صف الأضواء الزرقاء الصغيرة مجدداً.

لمعت عينا الكونت في رغبة عارمة. قطعوا الممشى دون أن ينطقوا بشيء. كان عقل أوتو يعمل بأقصى سرعة، لكن الخوف جعل التفكير عسيراً. كان يثب، بغير وعي، كلما وضع كاليبانو قدماً على الأرض.

«مئات، آلاف من شحنات اللومن...» كان الكونت ليجوانا يهمس متوقفاً بين الحين والآخر، ليجذب إحدى الحاويات من الأرفف. «يوجد منها ما يكفي لإضاءة نصف الكرة الأرضية». داعب الحروف المنقوشة عليها، واحداً واحداً.

«كان الآخرون يقولون إنه جنون، ولا يمكن أن توجد طاقة مماثلة، وإنها غير مستقرة، لكنهم، على النقيض،... جعلوها مستقرة. وخبأوها كل هذه الأعوام... تقدم، أيها الصبي، تحرك! أي نوع من الشحنات يصلح لمفتاح جدك؟».

توقف أوتّو أمام صورة الأساتذة الثلاثة على قمة برج إيفل، ونظراتهم موجهة إلى المستقبل، وخلفهم، وأسفل منهم، أسطح منازل القرن المنصرم تواً. لم يعرف أوتّو بدقة ماذا يفعل لمواصلة ادعائه. ثبّتَ نظرته على عيني المعماري الطفولية الحالمة، وكأنه يعقد اتفاقاً معه، ثم أشار إلى نهاية الرواق. «إنها هناك» قال مواصلاً السير.

وفي الشقة المعلقة أعلاهم بثلاثة طوابق، بدأ ياجو في التقافز، ثم ألقى بنفسه

Twitter: @ketab_n

أرضا وزحف نحو المطبخ.

«دودة! أنت مجرد دودة!».

لم يجب بشيء. واستمر في الزحف.

«ماذا تفعل؟» سألته ميديا فزعة.

«لا أدري بعد».

«ألا يوجد والدك لإعطائك الأوامر؟».

«ليس خطئي» تنفس ياجو بصعوبة ضاماً ركبتيه نحو صدره، وممدداً إياهما.

«أنت مثير للشفقة!».

«أخبرتك أنني لم أستدعهم».

«أتعتقد أنه يمكنني تصديقك؟».

«لا يهمني ما تعتقدين». وببطء بلغ الرجل مدخل المطبخ الصغير، ووصل قريباً من الأفران، ثم بمساعدة كتفيْه، شرع في الجلوس. دفع قدميْه أسفل ساقيْه، واستند بظهره إلى قطعة الأثاث، وضاغطاً على جانبيه، وقف على قدميه مجدداً.

«ياجو؟».

أوقد الرجل الأفران بطاقة لومن مستخدماً فمه ورأسه، ثم مد معصميْه فوقها. بدأت النيران الزرقاء في لسع جلده وحرقه. احترق جلد ذراعيه، لكن ياجو لم يفه بشيء. وتحت تأثير الحرارة، أخذ مزيج النيلون والصمغ في الذوبان ببطء، حتى زال تماماً. وبمجرد أن تحرر معصماه، تراجع ياجو للجلوس على الأثاث، ومرر كعبيه فوق النيران.

«ياجو...؟».

Twitter: @ketab_n

«لقد انتهيت تقريباً!» أجابها بصوت مرتجف.

تحرر تماماً، نزل إلى الأرض، وبدأ في فتح كل الأدراج. وجد سكيناً ووضعه على الطاولة الكبيرة إلى جوار النيران، وبدأ في تثبيتها.

«يمكن لوالدي أن يجدني دائماً. لدي مؤشر حساس أسفل ظفر إبهامي. إنه لدي منذ كنت صغيراً».

«ياجو...؟».

«عندما كنت في عمر أوتّو، عُين كاليبانو مراقباً لي، وكبرت مع رعبي من تلك... الآلة. أنا أخشاه. أخشاهم. أبي وميركوتسيو... جدي».

«ميركوتسيو العجوز؟» اندفعت ميديا. «كيف؟ لا بد أنه ميت الآن منذ خمسين عاماً».

أخذ ياجو نفساً عميقاً ثم قرر شيئاً. وبوثبة مفاجئة، دس إبهام اليد اليمنى داخل النيران.

وثبته.

«ياجو!».

عندما صار الألم غير محتمل، سحب الرجل يده، وترنّح إلى الخلف غير قادر حتى على التفكير. وضع إبهامه المتفحم أسفل دفقة من الماء، وتركه طويلاً، وهو يتأوه من الألم، ثم بحث عن منشفة، ووضعها في المياه، ثم لفها حول يده.

أمسك السكين وسخن طرفها على النيران، وعاد إلى الصالون لتحرير ميديا.

لم تتمكن المرأة من الحديث، ثبتت نظرها على يده الجريحة الملفوفة في المنشفة.

Twitter: @ketab_n

«لماذا فعلت هذا؟».

«لأنني أريد التحرر» تمتم محرراً معصميْها من القيود.

«ياجو... أنا، لم يكن بمقدوري أن أعرف. عندما رأيت والد... وسمعت ما قاله...».

رفع ياجو يده الجريحة. «هل تصدقينني الآن؟ ليس خطئي، لم يكن بمقدوري فعل شيء».

شعرت ميديا بدموع التوتر تتراقص في عينيها. «أجل، أصدّقكَ».

«يجب أن نتصرف سريعاً». همس.

«ماذا؟».

قبلها ياجو. وضع شفتيه فوق شفتي المرأة، وضغطهما بقوة. كانت شفتاه ترتجفان.

عندما ابتعد عنها، كانت عيناه قريبة للغاية.

«لنطلق هذا الشيء» قال.

جاءت الهزة مفاجئة وغير متوقعة. اهتز المخزن بغتة بفعل رجفة قوية للغاية. ارتجت آلاف الحاويات بدوي ألف جرس مجنون، واهتزت الأرضية بشدة، مما جعل أوتّو يسقط أرضاً، واضطر الكونت ليجوانا للاستناد إلى عصاه.

«ماذا حدث؟» صاح الكونت بصوت متحشرج.

أوتّو وحده فهم ما حدث. كانت الرجفة ذاتها التي أثارها، عندما أدار المنشور في لوحة تحكم قاعة المرجل، وهذا يعني أن ميديا... أو ياجو...».

ياجو! ولتفكيره فيه، امتلأ عقله بالضباب.

وقف الصبي على قدميه مجدداً، وأرهف السمع. وعلى نقيض المرة السابقة، لم تتوقف الهزة. كانت جذران المخزن كلها تتأرجح ببطء.

Twitter: @ketab_n

كمحرك من الداخل.

«هل تحررا؟»

دار بذهن الكونت التفكير ذاته. «اصعدْ لترى! سريعاً!» أمر كاليبانو. ثم مرر يده بين خصلات شعره، وصوب العصا نحو أوتّو. «وأنت، تحرك! لتحضر هذه البطارية الملعونة!».

لكن أوتّو لم يتحرك مكتفياً بالضحك، مما أغضب سجانه.

«ما الذي يضحكك؟».

هزة جديدة. كان كل شيء يتأرجح، ويرتجف.

«أحضر هذه البطارية الملعونة!».

نظر أوتّو بانتباه إلى بطاريات لومن المختلفة التي تهتز فوق أرففها، وأمسك اثنتين منها.

«أهي هذه؟» ضغط الكونت على أسنانه.

تحقق منها أوتّو سريعاً. أي منها؟ أيها يجب أن يأخذ؟

رأى باب المصعد البيضاوي يغلق خلف كاليبانو، فاتسعت ابتسامته.

صار الكونت وحيداً الآن. رجل عجوز وشرير، برفقة صبي في الثالثة عشرة. صبي ذي حس عدواني رهيب.

«لم يكن عليك أن..» همس أوتّو بنبرة مخيفة.

مد ليجوانا يداً ليمسك بطارية لومن.

«ماذا تقول؟ أعطني إياها!».

أزاحها من أمام عينيه. «لم يكن عليك أن تؤذي جالينو» كرر أوتّو.

وقعت هزة جديدة، أكثر عنفاً من سابقاتها. فقد كلاهما توازنه. تشبث أوتّو بوحدة الأرفف وشعر بها تسقط.

Twitter: @ketab_n

جذبها بعنف.

لاحظ الكونت ليجوانا أرفف اللومن التي توشك على السقوط فوقه، ورفع يده ليقي نفسه.

دويٌّ شديدٌ.

ثم لا شيء.

وفي الشقة، كانت ميديا تراقب أفق باريس يرتفع وينخفض بشكل غير محسوس، كما لو كان المنزل يتأرجح قليلاً إلى أعلى وأسفل.

«إنه يتحرك!» صرخت. «إنه... يتحرك؟».

«ربما، أجل» وافقها ياجو. ونظر إلى زر زانخ الذي ضغطه تواً.

وجالت بذهن ميديا في ومضات، صور المعماري إلى جوار قدَمٍ معدنية ضخمة، ومفصل ساق بدائية، وفتحت عينيها عن آخرهما.

«المنزل يتحرك، يا ياجو! يجب إيقافه! لا يمكننا ترك أوتّو معهما!».

أمسك ياجو السكين بيده السليمة. «لن نتركه».

وفي الصالون، كانت كابينة المصعد ترتفع.

نظر ياجو من أعلى. إنه كاليبانو وحده. اندفع نحو مدخل السلم.

«أوقِفي المصعد!».

«وكيف أوقفه؟».

«لا أدري، لكن افعلي ذلك!».

ثم ألقى بنفسه إلى أسفل، على درجات السلم بأنفاس لاهثة.

وفي المنتصف تقريباً، توقفت حجرة المصعد الشفافة بغتةً.

كان هيكل الدعامة يهتز بالكامل ويتأرجح، وترتفع ضوضاء من الأعمدة المعدنية التي تتداخل في ما بينها، كما لو كان نوع غريب من التحول يتم.

Twitter: @ketab_n

نظر كاليبانو إلى أعلى رابط الجأش. بدأ سيل من قطع الزجاج في الانهمار على الجزء العلوي من الكابينة، وكأن أحدهم قد اخترق الباب الزجاجي في الطابق الأعلى.

وعبْر ذلك المخرج، ظهرت حافة إحدى قطع الأثاث. وكأن أحدهم يدفعها إلى بئر المصعد. رآها كاليبانو تتأرجح في الفراغ، وأدرك أنها ستنهار فوقه بين لحظة وأخرى. دفعت هزة جديدة كل شيء إلى الارتجاج.

لم يضيّعْ العملاق الحديدي وقتاً آخر. حطّم الكابينة الزجاجية وتعلق بأصابعه المعدنية في الجدار. نظر مجدداً إلى أعلى، وبدت له قطعة الأثاث أكثر بعداً، كما لو أن الطابق العلوي من المسكن، الذي خرجت منه، قد ارتفع مترين.

استخدم أصابعه كخطافات الجليد، وبدأ في الصعود سريعاً وبحسم. كانت أصابعه تصدر صريراً على الأسمنت، وتطلق شرارات. سقط الأثاث فوقه. كان الصدام عنيفاً للغاية. تحطم الخشب على كتفيه، لكن كاليبانو لم يتوان، تحرك بما يكفي لسقوطه فوق كابينة المصعد. سمع دوي الحجرة الزجاجية التي تتهشم، وما تلاه من دوي احتكاك المعدن بالمعدن، الذي صدر من المنزل من حوله.

عاود الصعود.

اهتزت الدعامة كعصا مشعوذ. غرز كاليبانو أصابعه في الأسمنت أكثر. نظر إلى أعلى ورأى جزءاً من السماء. رأى النجوم، هناك حيث كان السقف منذ قليل، ثم رأى ظل الشقة العملاق يبتعد عنه.

سلك أوتّو السلم الحلزوني، صاعداً الدرجات البيضاء والسوداء كل اثنتين معاً. رأى بطرف عينيه، خارج النوافذ، سلسلة من الحركات الآلية وأقواساً حديدية تفتح وتتشابك في ما بينها وتغير من شكلها. لكن لم يتسع له الوقت ليتوقف ويراقب.

Twitter: @ketab_n

لم يتسع له الوقت لإدراك ما يحدث.

مع بطارية لومن كبيرة تحت إبطه، طار أوتّو فوق تلك السلالم المتموجة، وقلبه ينبض بسرعة واضطراب. صعد بأنفاس لاهثة، حتى التقى ياجو. كان الرجل يهبط والسكين في يده. تواجها، ثم ألقى ياجو بالسكين فوق درجات السلم، وركع ليحتضنه.

«أوتّو! هل أنت بخير؟».

رأى أوتّو يده الأخرى ملفوفة في المنشفة.

لا يوجد وقت للتفكير. لا يوجد وقت لاتخاذ قرار.

«أنا بخير... والعمة؟».

«أجل، لقد تحررنا. هلم! لنصعد! فالمنزل يرحل!».

أذعن الصبي دون أن يسأل. لا يوجد وقت للإجابة. يمكن تخيلها أيضاً.

المنزل يرحل.

ينطلق.

جالينو.

العمة.

وعاود العدْوَ إلى جوار ياجو.

وفي بئر المصعد، لم يتمكن كاليبانو من الفهم؛ كان شيءٌ ما يحدث، ولا ينتمي إلى آليات عمله المنطقية. لقد رأى المنزل يرتفع ويتحرك. رآه يتحول. اِلتوت الأقواس الحديدية والبراغي، وتشكلت في ما بينها، مكونةً في البداية طرفين ضخمين، ثم قدمين مقوستين تستندان إلى ثلاثة أصابع كبيرة كأصابع الطيور.

كان يشعر الآن أسفلْ منه بسلسلة من الانفجارات والشحنات الكهربائية.

Twitter: @ketab_n

نظر إلى أسفل؛ وبأنين معدني صارخ تهاوى ما تبقى من الكابينة في المخزن. انفصل الكابل الذي يدعمها، ووثب إلى أعلى كحية من الحديد. شعر به كاليبانو يقترب، وأحس بصفيره الذي يشبه السوط. كان الكابل يرتفع سريعاً للغاية، تاركاً شرارات نارية على الجدران التي يمسها.

كان ذيل المنزل الذي ينطلق. حبل يتمزق.

ويرتفع.

فكر كاليبانو في آخر أمر تلقاه. اصعدْ لترَ!

اصعدْ.

بالتأكيد.

رفع قبضته عن الأسمنت وقفز.

Twitter: @ketab_n

-1. التحكّم في العملاق

أقسم الكثيرون في تلك الليلة في باريس، على أنهم رأوا كابوساً يحدث. وصفه جوليلم دي بو في صحيفة المدرسة الثانوية، فقالوا إن له مستقبلاً كأحد كتاب الخيال العلمي، فأجاب إنه لم يخترع شيئاً.

كان مستيقظاً أمام نافذة حجرته، منهمكاً في مراجعة درسه لليوم التالي، عندما ظهر أمامه منزلٌ كاملٌ. شعر به أولاً: صخب حاد، ثقيل، وخطوات عملاقة، جعلته يلصق أنفه بالنافذة الزجاجية، وينظر إلى أسفل، إلى الطريق.

ثم أظلم طرف من السماء بغتةً، وبرزت من أعلى قدمٌ حديدية هائلة، متينة ومتناسقة، ونزلت إلى الطريق واستندت إليه. كان يتصل بالقدم هيكل ساق معدنية... وبالساق المعدنية...

الكابوس... المنزل... كان للعملاق ساقان وجسد مستطيل. متوازي أسطح ذو نوافذ كبيرة مضيئة.

وقد أطل شخص ما من تلك النوافذ.

صبي. ألقى عليه التحية.

تجاوز المنزل- الوحش البناية المواجهة له، وابتعد في الليل بدوي خطواته العملاقة. وتجاوز بنايات أخرى وسطوحاً أخرى، كأحد الطيور «العكاكيزية» يجول في مستنقع يألفه جيداً.

لم يكن جوليلم هو الوحيد في تلك الليلة. لقد رآه كثيرون.

سكارى، وعشاق، وحالمون، ومراقبو نجوم، ورجال وحيدون، وحراس ليليون، ورجال شرطة، وراقصات يذهبن لأداء عروضهن. عَبر المنزل الذي سحر عيون وخيال كثير من الأشخاص، واختفى، إلى الأبد، كأحد الأوهام، أو

Twitter: @ketab_n

كتلك الأشياء التي تظهر للأطفال، ثم لا يرونها بعد ذلك أبداً عندما يكبرون.

ذرع المدينة طولاً وعرضاً، متجهاً صوب أحياء الضواحي التي ربما كانت منذ سبعين عاماً حقولاً واسعةً. تقدم بحذر من طريق إلى آخر رافعاً أو خافضاً من طوله كلعبة متطورة التقنية.

اجتاز المنزلُ باريسَ في عشر دقائق متجهاً صوب منطقة مدنية خالية من الأضواء، تدور فيها رياح خفيفة تهب من الشمال. وعندما بلغها، قبع طاوياً ساقيه الحديديتين. ارتفع صرير حديد قديم، ورافعات، الواحدة فوق الأخرى، ثم توقف كل شيء.

كما لو كان كل شيء طبيعياً تماماً.

النقطة زانج.

مستودع ضخم مهجور.

وفي صالون المنزل المتجول، مدد أوتّو جسد جالينو فوق البساط، وراقب، على ضوء مصباح أزرق الضوء، تروس وراسم إشارات جسده الآلي. وقفت ميديا وياجو خلفه، كمساعديْ مستودع، أو كحراس.

كان أوتّو شديد التركيز، هادئاً وحاسماً. أجرى فحصاً دقيقاً لآلاف الأسلاك والتروس والزنبركات الميقاتية، ثم وضع المصباح جانباً على البساط وقال: «ربما يمكنه أن يعاود العمل».

أدخل في ذلك التشابك من التوازنات الآلية بطارية لومن التي أخذها من مخزن شارع بابلو بيكاسو، ودفعها إلى حيث يبدو أنه مكانها الصحيح، وقام بتوصيلها. انطلقت بعض الكلابات، وأعطاه صوت «كلاك» إحساساً بأنه ربما قام بشيء صحيح.

«ينقص هذا...» تمتم الصبي مركزاً نظراته داخل الآلي. «ثم سنعرف ما إذا

Twitter: @ketab_n

كنْتَ قد أحضرْتَ البطارية المناسبة أم لا».

كلاك.

وبمجرد إغلاق الدائرة الكهربائية، اتقدت بطارية لومن بوهج من الضوء الأزرق. تلوى الآلي في تشنّج مفاجئ كشخص يواجه خطر الموت اختناقاً.

وثب أوتو إلى الخلف فزعاً وآوى إلى ذراعي عمته. اختفى الوهج الأزرق بغتةً كما ظهر. تكوم جسد جالينو فوق البساط مجدداً؛ ظهره مقوس، وذراعاه متصلبتان إلى أعلى، ووجهه المثلث بعينيه الزجاجيتين متجه إلى الخلف.

«ربما أخطأت» همس أوتّو، عندما بدأت الثواني تصبح ثقيلة كالصخور.

«أو ربما ذلك الوحش...» قالت ميديا دون أن تتمكن من إكمال عبارتها، لا توجد كلمات تصلح لذلك، لا «قتله»، ولا حتى «حطمه». انزلق أوتّو من ذراعها مراقباً جالينو الذي ظل بلا حراك على الأرضية. ارتعدت شفتاه وانتابته رغبة عارمة في البكاء.

ربتت يدٌ على كتفه. يد مغطاة بمنشفة.

«لقد فعلت ما يمكن فعله» قال ياجو. «لكن يجب أن نخرج من هنا الآن».

«وإلى أين سنذهب؟».

خارج النوافذ لاحت ظلال فقط. بدت باريس بعيدة. كانوا يستقرون إلى جوار مستودع مهجور.

ولأي شيء؟

«إن ياجو محق... يجب أن... نستمر» قالت ميديا. «حتى بدون مرشدنا. يجب أن نفعل ذلك... لأجله».

Twitter: @ketab_n

«كان يبغي فقط العودة إلى المنزل». همس أوتّو، وأصابته تلك العبارة كسوط.

استدار. نظر إلى العمة، ثم إلى ياجو.

«ربما أنا أيضاً، أريد العودة إلى المنزل الآن».

دوّت طنطنة.

أزيزٌ.

زحفت رعشة طويلة على ظهر أوتو.

قعقعة خفيفة.

لا!

لم يستدر أوتّو.

راقب المشهد في عينيْ عمته، وياجو متطلعاً إليه كما لو كان في مرآة. كما فعل «بيرسيو وهو يواجه ميدوسا».

حرك جالينو ذراعاً أولاً، ثم الأخرى. مد عنقه وأدار جذعه.

وفي صرير صارخ نهض على قدميه. أدار عينيه إلى جانب، ثم إلى الآخر.

«هل رأى أحدكم قبعتي؟» انطلق صوته من الفراغ متحشرجاً هادئاً للغاية ورابط الجأش.

وداخل صدره، كانت بطارية لومن تطلق وميضها الأزرق المنتظم.

لم يكن هناك ضوء في المستودع، وقد احتلت الأغصان الجافة والحشائش الممرَّ المؤدي الى المدخل. كان البابان الكبيران اللذان يرتفعان عشرة أمتار، ويستندان إلى قضيب، مغلقين بسلسلة قديمة يعلوها الصدأ، انهارت بعد أول ضربة موجهة بدقة.

دخلوا.

Twitter: @ketab_n

لم يكن مجرد مستودع.

كان حظيرة طائرات.

تقدم جالينو. تحرك بخطى واثقة أسفل البطن الضخمة للعملاق الذي يوجد داخل المنزل.

عملاق يمتلئ بالهواء.

سفينة هوائية تتصل بالأرض عن طريق شبكة من الكابلات.

بلغ الآلي الكابينة المعلقة أسفل السفينة الهوائية؛ قارب دقيق له مقدمة مقوسة ونوافذ مذهبة، مزينة بريش طيور. رفع يده المعدنية ليضغط شيفرة على لوحة مفاتيح الأمان الصغيرة، واستدار نحو المسافرين وصاح: «أتذكر تماماً».

تغير جالينو، منذ عاد إلى العمل مرة أخرى، لم يعد يتحدث عن نفسه بضمير الغائب كما كان يفعل، بل بضمير المتكلم.

«هلموا، سريعاً!» دعاهم. «سُيقدم العشاء بعد ربع الساعة من زمن الإقلاع!»

كان أوتّو وميديا وياجو لا يزالون عند مدخل مستودع الطائرات، ونظراتهم تطوف بهيكل السفينة الهائل المتوقف على الأرض كحوت من المعدن الخفيف. كان أكبر شيء رأوه في حياتهم.

وعلى أحد الجوانب، بحروف يصل كل منها إلى حجم سيارة، كُتب:

زابلين

وأسفل منها رُسمت شعلة زرقاء ضخمة.

مررت العمة ميديا ذراعاً على كتفيْ ابن العم، وهي لا تزال مأخوذة بضخامة السفينة الهوائية، وغمغمت: «لقد فهمت الآن. إن العملاق الذي يجب التحكم به ليس إلا هذه السفينة».

فتحوا الأبواب، حلوا جميع الحبال، ودفعوا «الزابلين» خارجاً بالسهولة

Twitter: @ketab_n

التي تدفع بها لعبة أطفال. صعدوا إليها، وفي أقل من عشر دقائق، كانوا ينطلقون في سماء ليل باريس.

كان برج إيفيل مضاءً كعصا سحرية هائلة. جلس جالينو أمام عجلة القيادة صامتاً وحاسماً، بينما ميديا وياجو يتبادلان الحديث في ما بينهما، بين اضطرابات وخلافات، محاولين استعادة ثقة يحتاجانها معاً بأقصى سرعة ممكنة. كانا ينظران إلى المدينة المضاءة التي تمتد أسفلهما ككائن هائل من الأضواء.

أما أوتّو فكان يغطّ في النوم.

سقط في نوم ثقيل، وغطاء من الصوف الخفيف يغطي ركبتيه على ارتفاع ألفيْ متر.

سرعان ما لمع البحر أسفلهم. لم يكن أحد يتخيل إلى أين يتجهون، وفي مقدمة الطائرة، كان الشمال العظيم يومض بندائه.

وأسفل السفينة الطائرة، متشبثاً بأصابع من الصلب، كان جسد كاليبانو يكتسي بحبيبات صغيرة من الجليد.

Twitter: @ketab_n

المستقبل

لماذا يجب علينا النظر إلى الوراء،
إذا كنا نريد اقتحام أبواب المستحيل المجهولة؟

إعلان الحركة المستقبلية

«صحيفة لوفيغارو»

20 فبراير 1909

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

1. غزو النجوم

سماء وبحر، سماء وبحر.

امتد، خارج النوافذ، مشهد لا نهائي من النجوم الباردة، انعكس ضوؤها على امتدادات سحب الشمال. بدا البحر، في الأسفل، أسود لامعاً، ولا يظهر أثر للأرض في أي اتجاه.

كانت محركات السفينة الأربعة، بطاقة 1110 أحصنة، تئز ببطء، وبينما هي تتقدم بأقصى سرعتها نحو «حيث لا يدري أحد»، كان جالينو يتحقق بين الحين والآخر من نظام الذيل والدافعات.

شقت الطائرة كسكين المساحات البيضاء والرمادية من سحب الأطلنطي، مهتزة لهبات الرياح السريعة ومطبات الهواء المفاجئة.

نام ياجو، وميديا، أحدهما بين ذراع الآخر، على آرائك صالون الزورق الصغير.

لكن أوتّو استيقظ بغتة.

بسبب كابوس.

لقد حلم بكاليبانو.

متدثراً بالغطاء الصوفي، حاول الصبي اعتياد إحساس اهتزاز السفينة الهوائية. تناول هاتف العمة الخلوي ولاحظ وجود رسالة من المنزل.

هل نسيتمونا هناك في كابرايا؟ هل أنتما بخير؟ هل تأكل جيداً؟ لا تنزل البحر بمعدة ممتلئة؟ اتصل بنا عندما تستطيع. والدتك

وما أن قرأها حتى إنفجر الصبي في ضحكة عصبية وكتب إجابة وجيزة مطمئنة.

Twitter: @ketab_n

كان الضوء الوحيد في الطائرة ينبعث من قمرة القيادة. ترك أوتّو الأريكة، وذهب إلى جالينو في غرفة التحكم، وجلس إلى جواره. «هل تبقى الكثير؟» سأل.

«لا».

مرت ساعة. بدأ المحيط، أسفل منهم، في التلون. إنها الرابعة صباحاً.

«أصبح الفجر وشيكاً» كرر أوتو السؤال.

«لقد وصلنا تقريباً» أجاب جالينو.

«لقد قلت هذا من قبل».

«ولقد سألت هذا السؤال من قبل».

تململ أوتّو: «أي مكان هي سيبوريا؟ لا يمكنني تخيلها بأي شكل من الأشكال».

«التخيل هو عندما لا تعرف شيئاً، وأنت، على النقيض، تعرف ما سيبوريا: إنها المدينة الجديدة».

«لكن ماذا تعني؟».

«هذا بالضبط ما لا أستطيع إخبارك به».

تذكر أوتّو بغتةً المصلصلة التي تحتوي على المقدمة الموجزة لعادات وتقاليد سيبوريا، وذهب لإحضارها. حملها إلى جالينو وأراه إياها.

«هل تعرف كيف تعمل؟».

«بالتأكيد، يا سيد أوتّو». أدخل الآلي إصبعاً مكان بطارية لومن التي نفدت شحنتها، وضغط ضغطة خفيفة. بدأ قضيب المصلصلة المسنن في الدوران ببطء.

وضعها أوتّو فوق لوحة قيادة السفينة، ورفع قدميه فوق الأجهزة، وأنصت.

Twitter: @ketab_n

وبغتةً، خرج من المصلصلة صوت امرأة.

«إنها المصممة إليزابيث» قال جالينو.

«بولير – ليتون؟» سأل أوتّو، ثم صمت لينصت إلى الرسالة.

حيّت إليزابيث من يستمع إليها، ثم ألقت تعليماتها بنبرة هادئة وعملية.

«أيتها المواطنة الخلوقة، أيها المواطن الودود:

نتمنى أن تكون رحلتك إلى سيبوريا سريعة ومريحة، ونعتذر عن كل إزعاج اضطررت لاحتماله، لكن سرية المدينة الجديدة ينبغي أن تظل أولوية مطلقة، طالما لم يبلغ العصر الذي نحيا فيه النضج المطلوب. إذن تذكر أنه لا يمكنك الحديث عنها مع أحد خارج حدود مدينتنا».

«عندما تصل، نرجوك التوجه إلى مكتب وقت الفراغ والمهمات لتسجل وصولك، وتقيد نفسك في أحد تنظيماتنا العشرة، وتتلقى مفتاح عملك ومسكنك. إن سيبوريا هي مكان العمل الدائم والكسل الممتع في آن. فإذا نُفذ العمل بدقة، بما في ذلك أكثر الوظائف تواضعاً، فإنه يُجمل ويزين العالم. ويفيد وقت الفراغ، كلحظة ترويح عن الذات بعد عمل مكثف، في الاستمتاع بهذا الجمال».

«أثناء انتقالك بحرية عبر أرجاء المدينة، تذكر دائماً بأن تحمل معك بطاقة + أعمال، وألا تتوقف في الباحات عند الفجر كي لا تعرقل مهمة النظافة، وأن تولي انتباهاً لنداءات الإعلانات بخصوص تغير الأفق. وإذا راودك أي شك، توجه إلى مرشدك، أو إلى أحد الإعلانات التي توجد عند تقاطعات الطرق الرئيسية».

«وعند تذكرك أن لغة سيبوريا الرئيسية هي الضوء، اعلم أنه في لحظة قيدك، يمكنك أن تحصل على آلة مترجمة لتتمكن من استخدام لغتك الحالية، أو إذا

Twitter: @ketab_n

شئت، ابتكر لغة جديدة».

«وختاماً، اسمح لنا بنصيحة، لا تُضيِّعْ حفل منتصف النهار الموسيقي، والشراب المنعش في منتصف ما بعد الظهيرة. لتكن حراً، ونزيهاً! ولتتمكن من ابتكار فضيلة لك كل يوم وتقدّم لأشقائك هبة جديدة».

توقف قضيب المصلصة عن الدوران، أغلقه أوتّو، وظل يراقب السماء إلى جهة الشرق، التي بدأت في التلون بالأحمر الناري. بدت النجوم شاحبة ومهيأة للاختفاء في ضوء النهار.

دفع جالينو عجلة القيادة إلى الأمام، ليخفض مقدمة السفينة. «سيبوريا تظهر» أعلن.

جلس أوتّو مستقيماً، يستند إلى ظهر مقعده. فقدت السفينة الهوائية ارتفاعها وشقت السحب. لفّت دوائرُ بيضاء كثيفة هيكلَ المركبة، التي واصلت الهبوط متأرجحة في هزات فراغات الهواء.

شقوا الضباب وحطّوا فوق الامتداد اللانهائي لبحر أسود اللون. أمال جالينو عجلة القيادة نحوه، ورفع مجموعة الذيل، واستقر في هبوط أقل حدة. وفي ظلام الليل، ظهرت هيئة جزيرة صخرية يلفها الضباب.

«ها هي...» غمغم أوتّو. «تبدو جزيرة مقفرة. لا ينبعث أي ضوء».

«إنها إجراءات محاكية» قال جالينو ضاغطاً بعض الأزرار. «تمسك جيداً! نوشك على الهبوط».

نظر أوتّو إلى البحر الذي يصعب تمييزه في الظلام شبه التام إلا من انعكاسات الأمواج الفضية.

«آمل أنك تمزح...» تمتم الصبي، غير مصدق.

وعلى بعد كيلومترات قليلة من الماء، انخفضت السرعة تماماً بغتةً، وببطء

Twitter: @ketab_n

شديد، لمست حافة الزورق سطح البحر.

«إيه!» صرخت ميديا من قمرة المسافرين. «ماذا يحدث؟».

ولبضع لحظات، أبحر الهيكل كاملاً فوق الأمواج بثبات السفينة الأقل خفة، وديناميكية هوائية في العالم.

«نحن نغرق!» صرخ ياجو، عندما رأى الماء يمس النوافذ، في فورة من الفقاقيع.

حرك جالينو رافعة أخرى، وخرج جزء كبير من هليوم البالون. غطس هيكل السفينة الصلب بسرعة كبيرة، وابتلعته مياه المحيط الداكنة في أقل من دقيقة.

«كل شيء تحت السيطرة، يا سادتي» صاح الآلي، ثم أضاء مصباحاً ضخماً في مقدمة الزورق، وبدأ محرك السفينة المثبت في المؤخرة، في الدوران، دافعاً الغواصة المفترضة بسرعة.

«يالها من سرعة!» قال أوتّو، ووجهه يلتصق بالنافذة. «نحن نهبط تحت المياه».

ميزت «الزابلين» صفاً من المصابيح الزرقاء المصفوفة في الجزء الصخري المغمور، واتجهت إليها. واصل جالينو تحريك أصابعه على أجهزة لوحة التحكم، وبعد ذلك بقليل، في وسط الصخور المتقاربة، انفتحت بوابة كبيرة مستديرة. ولجوا الممر بسرعة منخفضة، وهم يسمعون هيكل السفينة يحتك بين حين وآخر بالصخور. كان جالينو يقود الطائرة- الغواصة بهدوء بالغ وحرفية، كما لو أنه يمارس عملاً روتينياً.

قادهم صفان من الأقماع الزرقاء المضيئة إلى نفق ضيق. خرج الغاز الذي لا يزال موجوداً داخل البالون في خزّانات الطفو، وارتفع الزورق بما يكفي

Twitter: @ketab_n

ليطفو فوق الماء، ويحاذي رصيفاً من الصخور المصقولة. أطفأ جالينو لوحة التحكم. أطلّت ميديا فزعة من النافذة، بينما كان أوتّو لا يزال جالساً على مقعد مساعد الطيار. حك ياجو رأسه متحيراً.

«مرحباً بكم» قال جالينو. قالت إسطوانات ذاكرته. «ها هي... مِمْ... تتمتع المدينة الجديدة بمزية استقبالكم في ميناء مغلق، واثقةً بأن مساهمتكم في تطورها ستكون راسخة وسخية».

طنطن الآلي، ثم أضاف: «اغفروا لي تلك العبارة الرنانة، لكن التعليمات تفرض علي قولها، وإذا تحدثنا عن الأمور العملية، أنصحكم بأخذ السترات الواقية، وزوج من الجوارب، والكنزات الصوفية من الصوان الصغير في مؤخرة «الزبلين». فالجو بارد في سيبوريا». نهض من أمام لوحة التحكم، وسار خارج الزورق. «عندما تغيرون ثيابكم، اتبعوني! فلجنة الاستقبال في طريقها إلينا الآن».

Twitter: @ketab_n

2. لجنة الاستقبال

نوافذ مفتوحة وأستار تتطاير.

انفتح باب الزورق القصديري بفعل الهواء المضغوط. خرج جالينو أولاً. وقام هكذا بأول خطوة على أرض سيبوريا. «آه»! تنهد. «أنا بعيد عن المنزل منذ ثمانين عاماً».

وخلْفه نَزل أوتّو وياجو وميديا ملتحفين بثيابهم ليقاوموا البرد القارس. تقدم الثلاثة في ارتباك يلتفتون حولهم. وجدوا أنفسهم في ميناء صغير، تحت الأرض، يقع داخل مغارة بحرية. كان الجانب العلوي معلقاً بأقواس حادة رفيعة، بينما يتصل الرصيف الذي نزلوا إليه بالخارج، عن طريق أربعة جسور كريستالية هندسية الشكل. وتُميِّز صفوف من الأضواء الزرقاء منحنيات تحيط بها من كل صوب، مضيئةً نظاماً معقداً من الجسور والممرات.

كان الصمت يسود في كل مكان، يكسره صوت المياه التي تتساقط من مركبة زابلين كنافورة حديقة زن[9]، وحفيف الأضواء الواهي.

أخذ جالينو يدور حول نفسه، وكأنه يكدّ في التعرف إلى المكان. «لقد وصلنا!».

أعلن بصوت مرتفع دون انتظار إجابة.

علا دوي، أشبه بجسد يسقط في الماء، لكنهم لم يروا شيئاً.

«ربما لم تسمعنا هيئة الاستقبال نصل». قال الآلي، كان صوت خطواته المعدنية يتردد مدوياً. «على أية حال... من هنا، يا سادتي».

«تبادل ياجو وميديا نظرة قلقة. «ربما لم يعد من أحد هنا». غمغم الرجل،

---

(9) أحد أنواع حدائق كارسانوسي الحجرية اليابانية. (المترجمة)

Twitter: @ketab_n

وهو يحكم المنشفة على يده المحترقة.

وما إن اجتازوا الجسور الكريستالية حتى وجدوا أنفسهم في الخارج أخيراً.

تملكهم الذهول. تحول ما بدا لهم من البحر كأطراف حاجز صخري، إلى مباني مدببة الأطراف، ترتفع أربعة طوابق أو أكثر، وتحوي صفوفاً وصفوفاً من النوافذ المظلمة. كانت تحف طريقاً واسعاً غزته نباتات كثيفة.

سار جالينو بين الحشائش التي تمتد أمامهم، ودار حول تل عشبي، لا يتذكر وجوده. «يوجد شيء غريب للغاية في هذا المكان» علق.

تبعه أوتّو وميديا دون أن ينبسا بشيء، أما ياجو فرفع طرفاً من النباتات المتسلقة التي تشكل التل العشبي الصغير، مطلقاً صوتاً معدنياً عابساً: «هل رأيتم؟» سأل الآخرين.

كان النبات المتسلق قد نما حول مجموعة من الآليين المتكومين فوق بعضهم البعض كحطام.

«إيه، هل من أحد؟ لقد وصلنا!» صاح جالينو مجدداً، متقدماً إلى الأمام. وصلوا إلى ما يشبه الدائرة؛ كان الطريق مكسواً بطحالب لزجة، بينما تغطت جدران المباني المطلة عليه بأغصان النباتات المتسلقة التي تتساقط من النوافذ. كانت إضاءة الطرق مطفأة، وتمكنوا، في ذلك الظلام البهيم، من تمييز جسور أخرى معلقة، ومبانٍ أفقية، وأبراج مدببة، ودرجات تمتد فوق الحاجز الصخري، لكن بلا أية حركة أو صوت إلا هدير أمواج البحر التي تتكسر فوق الصخور.

كانت سيبوريا مهجورة تماماً.

اجتازوا في صمت الدائرة كاملة، ووصلوا إلى سارية ذات لون أحمر ناري،

Twitter: @ketab_n

يرتفع فوقها مكبر صوت. وفوق السارية توجد بعض الأزرار الصدئة تميزها كتابات مضيئة. ترجمها جالينو سريعاً.

لوحة رقم: 45

صباح الخير أيها المواطن!

أين يجب أن تذهب؟

1- مكتب وقت الفراغ والمهمات.

2- قصر المجلس.

3- المرصد.

4- الجامعة الحرة للفنون الجميلة.

5- الباحة.

6- بنك + أعمال.

7- عيادة- صحة.

8- مقاصد أخرى.

«يجب أن نتجه إلى الأول» قال أوتّو على الفور، ثم شرح للآخرين ما فهمه من المصلصة، بصوت إليزابيث مباشرة.

«ولماذا يجب أن نسجل وصولنا؟» تمتم ياجو. «ألا ترون؟ إننا في مدينة ميتة».

«ربما هم نائمون جميعاً. ربما لم يكن علينا أن نصل ليلاً» افترضت ميديا، وإن لم تعتقد هي نفسها بصدق كلماتها.

«إن سيبوريا هي المدينة التي لا تتوقف أبداً» قال جالينو.

«مدينة العمل الخالد والراحة الأبدية».

«ولماذا إذن لا نرى أي كائن حي؟».

Twitter: @ketab_n

«ربما لأنه لا يوجد كائن حي» أجاب أوتّو.

ثم ضغط الزر الأول.

مضت بضع دقائق.

هزت رياح مالحة أغصان النباتات المتسلقة اللولبية. كانت السماء مكسوة بالغمام، وتصطبغ بلون رمادي يخطُّه البنفسجي.

«هل نتحرك من أمام هذه اللافتة؟» سأل ياجو. «أم يجب أن ننتظر شيئاً؟».

«أسمعُ دوياً» قال أوتّو.

«وأنا أيضاً».

«يأتي من هناك».

كان «هناك» يشير إلى طريق جانبي، برز منه بعد ذلك بقليل ترام ذو مقاعد قليلة، ولون نحاسي. تجمدت الدماء في عروق ميديا، كما لو أنها قد رأت شبحاً.

سارت الحافلة على طريق من القضبان الدقيقة تقود إلى اللافتة الحمراء، وعندما وصلت إليها، توقفت منتظرة.

«والآن؟» سأل ياجو.

تبادلوا النظرات، ثم صعدوا إليها. عادت الحافلة إلى الحركة، أمسكت ميديا وياجو بالمقبض الجلدي الذي يتدلى من عصا حديدية مثبتة بالسقف، بينما تشبث أوتّو وجالينو ببعض المقابض المنخفضة.

«إيه!» صاح أوتّو بغتةً.

«ماذا؟».

فرك أوتّو عينيه. «لا شيء، بدا لي للحظة أنني قد رأيت شخصاً ما».

Twitter: @ketab_n

«أين؟».

«في تلك الناحية».

أطلَّ الثلاثة لينظروا، لكنهم لم يروا شيئاً.

حك أوتو رأسه: «اغفروا لي، لا بد أنني أخطأت».

لكنه كان واثقاً من رؤيته ظلاً، ظلاً ضخماً وقوياً، أطلَّ من خلف الزاوية ثم اختفى سريعاً.

سارت الحافلة بمحاذاة الميدان، ونزلت صوب البحر، ثم عبرت جسراً صغيراً مزيناً بأجنحة ملاك، يمتد فوق المحيط، ويضيئه إكليل من المصابيح العملاقة، ثم صعدت مجدداً نحو سلسلة من الأنفاق، ذات مدخل مهيب، تخترق الجبل.

نظروا إلى الخريطة المعلقة داخل القاطرة النحاسية، أدركوا أبعاد المدينة: كانت سيبوريا تمتد كحلقة ضخمة بامتداد ساحل الجزيرة، التي يتألف محيطها الخارجي من صخور حادة. في منتصف الجزيرة، عند أعلى الصخور، يرتفع قصر المرصد، ومن هناك تتيح سلسلة من الأنفاق الانتقال سريعاً من طرف إلى آخر، والوصول إلى الحوانيت التي توجد تحت الأرض.

مع ازدياد الضوء، أدركوا أن المدينة ليست ساكنةً تماماً. تباطأت وسيلة انتقالهم المقعقعة أمام بعض المساكن التي تتحرك من مكان إلى آخر كقاطرات عملاقة.

أوضح جالينو أن هذا شيء طبيعي؛ تدور منازل سيبوريا حول نفسها، وتتحرك لتغير أماكنها.

وبينما هم يعبرون المدينة، أدركوا أنها عمل فني عظيم، لا يشوّهه سوى الرجال الآليين الراقدين على الأرض، في كل صوب، حيثما نفدت شحناتهم من الطاقة.

Twitter: @ketab_n

وبعد أن اجتازت طريقاً طويلاً منحدراً معلقاً، انفتح باب الحافلة.

وجدوا أنفسهم أمام قصر فخم. ارتفع نصبٌ تذكاريٌ غزته الحشائش، يصور رجلين وامرأة، يرتدي الأول رداء العمال، والثاني رداء الفلاحين، بينما تقف المرأة بثوب مكتبي أنيق، مع شعلة سيبوريا. تؤدي درجات السلم إلى صف من الأعمدة، وبوابة واسعة تلمع فوقها كتابة مضيئة:

هنا يتكون الإنسان الحر

في جهد العمل

وحدة الحركة

صعد الأربعة بين أعمدة البوابة. بدا أوتّو قلقاً، ولم ينجح في التخلص من إحساس بأنه مراقب، ربما بفعل كل ذلك الصمت، أو حفيف الرياح التي تصفر في هبوبها بين كل تلك المنازل الخاوية، أو ربما بفعل صخب البحر الذي يُسمع باستمرار في الخلفية.

«أوتّو، هل كل شيء على ما يرام؟» سألته العمة.

«لست متأكداً، لكن لدي شعور سيئ».

«شعور من أي نوع؟».

راقب أوتّو الحافلة التي عادت إلى الحركة، واختفت في أحد أنحاء المدينة المهجورة، وأجاب: «لم أتوقع كل ذلك الإقفار».

«إنها تبعث على القشعريرة قليلاً، أليس كذلك؟».

«بل تبعث على الحزن أكثر من أي شيء آخر» وافقها الصبي.

كان مدخل القصر ضخماً، لكنّ ياجو فتحه بدون جهد. «هل من أحد؟» سأل.

تردد صدى صوته في الفراغ.

Twitter: @ketab_n

كان سقف القصر مرتفعاً للغاية، بفسيفساء مذهَّبة تضفي عليه بريقاً. تدلت ثريا كريستالية ضخمة، تبعث ضوءاً أزرق، يبدو أنه على وشك الانطفاء بين لحظة وأخرى. يتميز البهو بهيئة مروحية، ويؤدي إلى عشر نوافذ مميزة، تشبه أبواب مصاعد متماثلة. ولوحات صغيرة أعلى النوافذ تشير إلى عشرة تنظيمات مختلفة، يمكن لكل مواطن جديد أن يقيد اسمه في أحدها.

تنظيمات سيوريا

1- تنظيم عمال الصناعة والمزارعين.

2- تنظيم فنيي الصيانة.

3- تنظيم التجاريين.

4- تنظيم القائمين على النقل.

5- تنظيم الطلاب.

6- تنظيم الباحثين، والنحاتين، والرسامين، ومبدعي الفنون الجميلة.

7- تنظيم المهن الحرة.

8- تنظيم الأطباء.

9- تنظيم البحريين.

10- تنظيم بلا مسمى يترك للقدرات الغامضة لمن لم يصلوا بعد، إلى العبقرية المجهولة والإنسان الجديد.

اقترب ياجو من النافذة الأولى التي انفتحت مصدرةً صفيراً، وبدا خلفها رواق قصير.

«يكفي أن تعبر الباب الخاص بك» شرح جالينو. «وستحصل على مفاتيح المنزل الذي سيُعطى لك».

«وكيف أقرر الباب الخاص بي؟».

Twitter: @ketab_n

«يجب أن تختاره ببساطة».

«ألن يكون خطيراً؟» سأل أوتّو.

«إنه مجرد رواق» قال ياجو.

«وماذا يوجد في الناحية الأخرى؟».

«المخرج» أجاب جالينو.

حدّق ياجو في أبواب التنظيمات العشرة، ثم ضم كتفيه. «إلى الجحيم... سأختار باب التجاريين. هل سيأتي معي أحد؟».

«أنا عالمة آثار» اعترضت ميديا، «سأسجل نفسي إذن بين الباحثين».

«كما تشائين، سأذهب أنا أولاً». عبر ياجو باب تنظيم التجاريين، وما إن أغلق وراءه، حتى بدأ في الحديث بصوت مرتفع: «سادتي! لا يحدث هنا شيء! لا، انتظروا! لقد انفتح تجويف... والآن... وصلني مفتاح... يوجد أيضاً صوت مسجل... مرحباً في سيبوريا، شكراً. ولك أنت أيضاً... لقد انتهى كل شيء! لقد خرجت من الجانب الآخر!».

تبادلت العمة وابن العم النظرات. ثم اقتربت ميديا من باب تنظيمها وعبرته واختفت.

عندما مكث وحده، سأل أوتّو الآلي: «ماذا يعني التنظيم العاشر... ذلك الذي لا يحمل اسماً؟».

«إنه غير المتوقع» أجاب الآلي، ثم أضاف: «ذلك الذي لا يمكن التنبؤ به. ولأخبرك صدقاً، يا سيد أوتّو، أنا لا أعرف بكل دقة ماذا يعني، وربما لا يعلم المؤسسون أنفسهم، وربما وضعوه لأجل ذلك الغرض: لأنه في كل نموذج يوجد دائماً ما لا يدخل في إطاره، أو ربما لأنهم أرادوها عشرة وليس تسعة».

أذعن أوتّو. ومهما كان الدافع، اختار التنظيم العاشر.

Twitter: @ketab_n

«أين ذهبت العمة؟» سأل عندما خرج إلى الجانب الآخر من الرواق القصير. كان يمسك في يده مفتاحاً مستديراً يحمل رقم: 4893، وورقة تعليمات بلغة الضوء تشرح كيفية الوصول إلى المنزل الجديد.

كان ياجو ينظر إلى المشهد الخارجي عبر الواجهات الزجاجية. لقد حل الفجر، وتحولت الأمواج إلى سائل ذهبي ليّن، واكتسى الضباب الذي يلف جزيرة سيبوريا هيئة المخمل.

استدار الرجل. «ليست لدي فكرة. كنت أعتقد أنها برفقتك».

«ليست برفقتي».

كانت الغرفة التي يقفون فيها نسخة مطابقة لتلك التي دخلوا منها. أحصى أوتو مداخل الأروقة المهجورة، الواحد منها إلى جوار الآخر.

«لقد اختارت تنظيم الباحثين».

«ربما لا تزال بالداخل».

«لقد دخلت قبل أن أدخل».

«ميديا؟» نادى ياجو من باب خروج التنظيم.

«ربما عادت إلى الوراء».

«أو غيرت رأيها».

من تلك الناحية، لم تكن الأبواب تُفتح. اضطرا للخروج من المبنى والدوران. عبَرَا إلى جوار ميدان صغير، توقّفت فيه عشر قاطرات تماثل تلك التي حملتهم إلى هنا.

«هذا غريب بكل تأكيد» قال أوتّو.

لم يجب ياجو، لكنه بدأ في السير بسرعة أكبر.

هبت الرياح.

Twitter: @ketab_n

«كانت ستبلغنا إذا عادت أدراجها».

بدآ في العدو.

وعند مدخل القصر التقيا جالينو الذي كان يلاحقهما. سألاه إذا رأى ميديا.

بدا وجه جالينو كقناع صامت من الحديد والزجاج. «يؤسفني يا سيد أوتّو، ويا سيد ياجو».

لقد اختفت العمة ميديا.

Twitter: @ketab_n

3. حانوت المفقودين

دوّت أصوات بدّدت صمت المدينة المهجورة، غطت على صفير الرياح، وحفيف النباتات المتسلقة.

«ميديا!».

«عمتي!».

«آنسة ميديا!».

فتّشوا مكتب وقت الفراغ والمهمات، شبراً شبراً، بلا جدوى، قطعوا كل الطرق المؤدية إلى المباني الأكثر قرباً، حدقوا داخل كل القاطرات المتوقفة، دخلوا مجدداً معاً باب تنظيم الباحثين، وكل ما وجدوه هو رواق أبيض يماثل تماماً الرواقين اللذين عبراهما.

إلا تفصيلة واحدة، لم يلاحظاها من قبل: كانت تقطع كل الأروقة، عند المنتصف تقريباً، قناتان متوازيتان من الصلب.

فتحة؟ نظام أنابيب؟

«هل تعرف عنها شيئاً؟» سألا جالينو. «ما هذه الفتحة؟ وإلى أين تؤدي؟».

لم يكن جالينو يعرف شيئاً عنها.

فهما. كان سقف الرواق صلباً ومتماثلاً، وبدا ذلك الأنبوب الضيق هو إمكانية الخروج الأخرى الوحيدة».

«ماذا يمكن أن يكون؟ فكر، يا جالينو، فكر!».

«توجد قنوات عدة، بالطبع» أصدر الآلي أزيزاً. «قنوات هوائية مضغوطة للبريد، قنوات نظافة الصباح، قنوات التدفئة والتبريد، قنوات

Twitter: @ketab_n

صيانة الماكينات الآلية.

«وأي قناة قد تكون هذه؟».

كان جالينو في حيرة بالغة.

«أنا...».

«أقول إنها للنظافة أو الصيانة» قرر أوتّو. ثم شرح: «إنها توجد في الأرضية، فلا مغزى إذن لكونها تخص التبريد أو التدفئة، ولا مغزى كذلك لخروج البريد من هنا».

عبروا فوقها، ودقوا بأقدامهم وأيديهم، وهم ينصتون.

«إنها فارغة».

«لا تفتح... لكنها... كانت مفتوحةً».

«ربما كان بها عيب ما، وقد مرت العمة فوقها و...».

«لا أعتقد، فهي لم تصرخ. لم يصدر صوت».

«وإذن؟».

«لقد فتحها شخص ما تحت أقدامها، شخص ما كان... ينتظرها، ينتظرنا».

بدت الفكرة مخيفة، لكن كان من غير المجدي كتمانها في الصدور، وعدم التعبير عنها. كانت أول شيء فكرا فيه هما الاثنان.

شخص ما.

«الظل الذي رأيته».

«فسر بشكل أفضل».

«كانت لحظة. واختفى عندما التفتُّ لرؤيته، لكن راودني الإحساس بأنه... يتبعنا».

Twitter: @ketab_n

صفرت الرياح، وهدر البحر فوق الصخور.

«إذن لسنا بمفردنا».

«هذا ما يبدو. هناك وغْد يتلصص علينا».

«وغْد اختطف ميديا».

«ياجو...».

«هل رأيت كم كان كبيراً؟».

«لا... لكنه بدا لي... ضخماً. ضخماً حقاً».

نظر ياجو إلى جالينو. «هل خطر ببالك شيء ما؟ أو شخص ما؟ رفيق لك؟ ساكن لا يزال حياً؟ ناجٍ من الغرق؟».

«يؤسفني، يا سيد ياجو. لا أعرف عما تتحدث».

أخذ ياجو يسير بعصبية جيئة وذهاباً. «يجب أن نعثر عليها. يجب أن نعثر عليها بكل تأكيد، حتى وإن فتشنا الجزيرة شبراً شبراً».

وافقه أوتّو. «إلى أين تؤدي أنابيب النظافة؟».

«يوجد مجمَّع وحيد» أجاب جالينو. «إنه تحت الأرض، في قلب الجبل، يدعى المدور، حيث يتم إنتاج لومن».

«هل تعني أن لومن يستخرج من النفايات؟».

«أعتقد أنه هكذا تماماً، يا سيد أوتّو» أجاب الآلي.» تمزج النفايات قبل دخولها في المدور، وتخرج في هيئة كبسولات لومن. لكنني... لا أجزم بذلك، إن رأيي هو مجرد خيال ماكينة آلية، ولا شيء أكثر من ذلك».

تبادل أوتّو وياجو النظرات. ليس لديهم أثر آخر يتبعونه.

«أرشدنا إلى هذا المدور إذن».

ساروا عبر طرق كنسْتها الرياح. غطت غلالات من الملوحة واجهات

Twitter: @ketab_n

الأبنية المتجهة صوب الشرق. بدت النوافذ المغلقة كدوائر خاوية في وجوه بائسة بالقدر ذاته. صفَتْ السماء في لون أزرق يميل إلى البياض، وعلا الجزيرة إكليل من السحب فحسب.

أسرع أوتو وياجو خلف جالينو، وهما يصعدان مجدداً المنحدر الذي يقود من الصخور إلى المرتفع الرئيسي. كان يتحتم عليهم بلوغ مداخل بعض الممرات التي يأمل جالينو في أن يتمكن من فتحها. شرح لهما الآلي أن المسجّلين في تنظيم فنيي الصيانة وحدهم من يملكون المفاتيح.

«ألا يمكننا التسجيل فيها؟» اندفع ياجو.

«لقد اخترت تنظيم التجاريين، يا سيد ياجو».

«ألا يمكنني التسجيل مرة أخرى».

«أعتقد أنك يجب أن تخرج أولاً من تنظيمك».

« لم أكن أعلم هذا!».

«لكنك لم تسأل قط».

هز ياجو مفاتيحه المستديرة. «وهذه المفاتيح، إذن، ماذا تفتح؟».

«بخلاف منزلك، تفتح أول حانوت شاغر تجده». شرح جالينو، مشيراً إلى واجهات المحال العديدة، المغلقة، التي توجد على جانبي الطريق.

وأعلى بعضها، كانت لا تزال اللافتات موجودة:

قوارير، وأدوات فنية، حانوت السمك الطازج، البيانو الذهبي، اختيارك للموسيقى. وفي الداخل كان بمقدورهم رؤية أشياء قديمة، وأرفف شاغرة. بينما بدت واجهات أخرى كثيرة خاوية.

«أتعني أنه يكفي أن أُدني المفتاح من أحد تلك الحوانيت لأجعله ملكاً لي؟».

Twitter: @ketab_n

«بالضبط، يا سيد ياجو».

«وداخل الحانوت يمكنني أن أفعل ما أشاء».

«إن تجارة سيبوريا حرة».

«وإذا كانت كل الحوانيت محجوزة؟».

«تم تحديد عدد الحوانيت في وقت الإنشاء. وإذا لم توجد حوانيت شاغرة، فلن يكون بمقدورك الحصول على مفتاح جديد من تنظيم التجاريين. وإذن كنت ستضطر لاختيار تنظيم آخر».

تحسس أوتّو مفاتيحه. «ومفاتيحي؟ في ما تفيد؟».

استغرق جالينو بضع ثوان قبل أن يجيب. «لم يُعلِمني أحد بهذا، يا سيد أوتّو. لا أعرف ما إذا كانت تفتح شيئاً ما بخلاف باب منزلك. لكن بمقدوري أن أخبرك شيئاً، إذا أردت».

«تجعله يبدو شيئاً مفزعاً».

«ربما هو كذلك، يا سيد أوتّو» توقف جالينو واستدار. توهج «جلده» اللامع بسبب شعاع من الشمس. «في ما أعلم، لم يسجل أحد اسمه في التنظيم الذي لا يحمل اسماً».

التقوا عدة طرق عرضية. تحولت السماء إلى لون أبيض مائل إلى الزرقة، ينعكس على النوافذ، والأبواب المعدنية اللامعة، وبلاط المدينة الرطب؛ وهناك حيث لا تصل الشمس، تكونت مساحات من الطحالب اللزجة، ونمت زهور صغيرة تحدد بالنقاط ما كان ذات يوم ميادين، وكست أشنيات[10] زرقاء التماثيل التي ترتفع عند زوايا الطرق. التقوا بعض الحافلات تتحرك كالسائرين نياماً،

(10) كائنات تعايشية تتكون من ترافق الطحالب الخضراء أو الجراثيم الزرقاء مع فطور خيطية. (المترجمة)

Twitter: @ketab_n

بلا مقصد محدد، بين جنبات سيبوريا، وبعض النوارس النادرة التي تصيح في السماء، أو تراقبهم بفضول، من فوق مصباح ضخم مقوس، أو أحد المتاريس.

عندما بلغوا طريقاً تغمره الشمس، ويطل على مشهد جميل من الصخور والبحر، توقف ياجو ليلتقط أنفاسه، ودونما تفكير تقريباً، أدنى مفتاحه من أول حانوت في الطريق وفتحه.

«ماذا تفعل؟» سأله أوتّو.

«أوه، لا شيء» أجاب ياجو مجففاً جبهته التي كساها العرق. «كففتُ للحظة عن التفكير في ميديا وفي مطاردنا الغامض، واستولى على جوانحي هذا المكان. لا أستطيع أن أفهم لماذا تظل هذه المدينة مهجورة. بمقدوري أن أعيش هنا إلى الأبد: بحر وشمس ونسمات منعشة... ويمكنني أيضاً أن أفتح حانوتاً أبيع فيه لوحاتي».

«لم أكن أعرف أنك ترسم».

«أعتقد أنني أنا أيضاً لا أعرف» ابتسم ياجو. «لكن طالما راق لي ذلك».

عاود أوتّو السير. «لنتحرك».

«أمهلْني نصف دقيقة أخرى» قال ياجو. «استمر أنت، وسألتقط أنفاسي وأتبعك».

لم يتردد أوتو. عاود السير خلف جالينو، وسأله: كمْ تبقّى على مدخل الممرات.

«بضع مئات من الخطوات» أجاب الآلي.

تحت ملابسه الشتوية كان أوتّو أيضاً يشعر بالحر. تكونت على جسمه طبقة من العرق، جعلت ثيابه مزعجة كلما ألصقتها الرياح بجسده. كانت قدماه ساخنتين، كما لو أن تدفئة تسري من أسفل شبكة طرق المدينة كاملةً. حل

Twitter: @ketab_n

الصبي أزرار السترة الواقية، وفك الوشاح، فلم يكن الجو بارداً، طوال اليوم، بما يستحق ذلك.

«لقد وصلنا» قال جالينو في التقاطع التالي.

«حسناً» استدار أوتّو ليدعو ياجو. «ياجو؟» سأل عندما لم يره. «ياجو؟» كرر بصوت أكثر ارتفاعاً.

لم يكن الرجل خلفه. كاد قلب أوتّو يتوقف عن النبض. «أوه، لا! ياجو، لا!».

«جالينو، انتظر هنا!».

عدا أوتو عائداً أدراجه، وقد رسخ في نفسه أن شيئاً فظيعاً قد حدث. وصل إلى الطريق الغارق في الشمس، حيث تبادلوا تلك الكلمات القليلة، ونظر في كلا الاتجاهين. لم يكن له أثر، لكن كان باب الحانوت مشرعاً، كما لو أنه قد دخل. أطل، وقلبه ينبض بجنون، داخل الحانوت المهجور. «ياجو؟ ليس هذا وقت...».

تردد صدى صوته في الغرفة الخاوية، وسقط على الجدران. خطا أوتّو خطوة داخل الحانوت، ثم خطوة ثانية. لا يوجد أحد. لا بالداخل ولا بالخارج. «أين ذهبت بحق الشيطان؟» لعن، وهو يستدير بغتة.

رأى عندئذ لافتة أُلصقت من الداخل على غبار الواجهة الزجاجية. كان الزجاج قد خُدش بإصبع معدني.

هلمّ إلى المرصد

بغتة بدأ أوتّو في الشعور بالبرد، البرد شديد، كما لو أن الجزيرة كلها قد تحولت إلى كرة من الجليد.

«هل من أحد؟» صاح في الغرفة التي ترتجّ بالصدى. «هل من أحد هنا؟».

Twitter: @ketab_n

4. نحو الشمال

آو 101. كانت هذه هي الحروف المطبوعة على هيكل المروحية المجهزة، التي حلقت من مطار أبردين في إسكتلندا، في دوامة من الهواء الجليدي.

وبينما هو جالس خلف الطيار، محاطاً بشبكة من الأحزمة السوداء، اختفت تسريحة شعره المرتبة أسفل خوذة مارينز حربية، وتبدلت حلته الأنيقة برداء مقاوم للجليد، يجمع بين اللونين الرمادي والأبيض، ويمتلئ بالجيوب.

«مسار ثلاثة اثنين ستة» صاح الطيار في المذياع جاذباً نحوه عجلة القيادة، ومغيراً بعنف اتجاه ذلك الوحش الضخم، ذي الريش الدوار.

شعر الكونت ليجوانا برغبة حادة في التقيؤ وتشبث أكثر بالمسند السخيف الذي وضعوه فوق مقعده. أثارت فيه ضلوعه المحطمة ألماً شديداً، وهكذا فعلت الكدمات الزرقاء في بقية أنحاء جسده.

«نتبع خط سير شمال - شمال - شرق، يا سيدي» قال الطيار ملتفتاً نحوه «هل كل شيء على ما يرام، يا سيدي؟»).

لم يستطع الكونت إلاّ أن يشير له بالموافقة بيده الطليقة، حتى وإن لم يكن هناك شيء يسير على ما يرام.

ارتفعت الطائرة. ولتجنب الإحساس بالدوار، أو الفزع، أو أي شيء يمكن الشعور به على متن مروحية حربية تحلق بسرعتها القصوى، قرر الكونت عدم النظر حوله نهائياً. سلّط جل انتباهه على نسخة «لوفيغارو» التي احتفظ بها مطوية فوق ركبتيه منذ لحظة الإقلاع.

انهيار الفن في منطقة «الدفاع»

تسرب محتمل في الغاز. حادث طارئ لم يخلف ضحايا. انهارت بغتةً في شارع بابلو

Twitter: @ketab_n

بيكاسو إحدى منشآت المدينة الاستثنائية، عمل أصلي من إبداع المهندس المعماري المستقبلي أرنولد دورو، وهو المنزل الذي اشتهر بين من يقطنون إلى جواره باسم «الزرافة» بسبب بنيانه المرتفع الخارق، وقد تم تصميمه وتنفيذه في أوائل القرن، ولا يسكنه أحد منذ وقت طويل. وكانت لجنة من الحي قد قدمت طلباً بإعادة تقييمه وتأمينه. «أعوام من الذوق الرديء، والإدارة السيئة» علق المتحدث الرسمي بيير دانيتو «جعلتنا نهمل العجائب المعمارية غير المشهورة، ونقيم عمارات كالحظائر غير مجدية، تشكل آثاراً للقبح». وقد أعلن العمدة شخصياً أنه سيُتِم إعادة بناء المنزل، شريطة العثور على تصميماته الأصلية...

وهكذا دواليك بين اعتراضات ونظريات غير مجدية. يصعب إقناع الصحافة الرسمية بحقيقة ما حدث، أو بأن منزل أرنولد دورو قد تحرك وحده، وأخذ في السير نحو الشمال.

بدا مقال واحد فقط، وموجز، ذا مغزى في هذا السياق. كان أحد فلاحي إيزانفيل، في أقصى ضواحي المدينة الشمالية يتساءل في حيرة: من ترك منزلاً في حقلي؟

خرج الكونت ليجوانا من المخزن بعظام محطمة ليراه يثب فوق الطريق، ويبتعد كأحد أبطال روايات ريلاي.

سقط على المرج خائر القوى إلى جوار حطام المخزن، ودعا كاليبانو طويلاً، وبلا جدوى. وصلت سيارات الإنقاذ بعد ذلك بعشرين دقيقة، عندما كان الكونت قد ابتعد بالفعل.

بعد أن استقر في الفندق، وبهدوء أكثر، تحقق من موقع كاليبانو على شاشة لا يزيد حجمها على عشرة سنتيمترات، أشبه بشاشة ملاح يتبع القمر الصناعي. كانت النقطة الصغيرة اللامعة تتوهج، وتتجه سريعاً صوب الشمال.

Twitter: @ketab_n

بطريقة ما، كان حارسه الشخصي يتحرك مع المنزل. أما من ولدِه، فلم تكن تصدر، على النقيض، أي إشارة. هل مات؟ صدمه هذا التفكير بشكل غير متوقع. لم يشعر بالألم، لكن بنوع من الانزعاج الحاد. ثم أجبر نفسه على عدم التفكير في ذلك. يجب أن يقنع بحقيقة أن كاليبانو لم يفقد أثرهم. إلى أين يتجه؟

بدأ الكونت في توظيف وسائله الفعالة. هل يحتاج إلى... قطار؟ أم سيارة خاصة؟

بعد نصف الساعة، بدت الإشارة على الشاشة وقد أصيبت بالجنون، واتجهت سريعاً نحو الشمال، كما لو أن كاليبانو قد استقل طائرة.

لم يضعْ الكونت وقتاً، أمسك بالهاتف، وحجز قطاراً لبروكسل، ومن هناك لأوسلو حيث كانت تنتظره مروحية اشتراها من أحد مهربي وسائل النقل الحربية المستبدلة الروس.

كان كاليبانو يتجه إلى الشمال أكثر.

النرويج؟ إسكتلندا؟ جزر شيتلاند؟

لا، بل إلى الشمال أكثر.

«لا يوجد شيء، في الشمال بعد ذلك، يا سيدي» قال الطيار.

إنه مخطئ. يوجد شيء ما بالتأكيد. توجد أيسلاندا، بالانحناء إلى الغرب، وجزر فارو، وسيبتزبرجن، بالانحناء إلى الشرق.

ثم توجد الدائرة القطبية الشمالية، والثلوج الأبدية، وإلى الشمال أكثر...

وبغتة غرق الكونت في النوم، وقد هدهده أزيز المروحية.

Twitter: @ketab_n

5. المرصد

كان بلوغ المرصد أشبه بالدخول بين السحاب الذي يحيط قمة الجزيرة. كان بناءً بسيطاً محاطاً بمرج من البراعم البيضاء، له شكل مربع، وطريق دخول قصير، وإلى جواره يرتفع هيكل بيضاوي، متبدل الألوان، يصدر خيطاً رفيعاً وثابتاً من الدخان.

«إنها ماكينة السحاب». شرح جالينو عندما وقع نظرهما عليه.

«إنها تنتج سحاباً».

واضح، فكر أوتّو.

كانت الجزيرة تنتج ستاراً صناعياً من الغمام المستمر يخفيها عن الأقمار الصناعية. أما في ما يخص الأعين البشرية، فلا بد أن من يمرون من هنا قلة حقاً.

«لننتبه، يا سيد أوتّو! فإن هذا لا يروق لي على الإطلاق».

ولم يرُقْ للصبي أيضاً؛ لأنه لا أحد منهما كانت لديه أدنى فكرة عمن قد كتب تلك الرسالة، وما حدث لميديا وياجو.

«ما الذي يوجد داخل المرصد؟» سأل أوتّو بينما كانا يتقدمان نحو البناء الذي يتوسط المرج. «لا أرى عدسات تلسكوبية، أو أدوات أخرى لمراقبة النجوم».

«إنه ليس هذا النوع من المراصد، يا سيد أوتّو».

«إذن، من أي نوع هو؟».

«أعتقد أنه من الأيسر أن ترى بعينيك».

وصلا إليه في دقائق قليلة.

Twitter: @ketab_n

كانت نوافذ المرصد مفتوحة، وتطل على أفق فسيح كبير. دار أوتّو وجالينو حوله، محافظين على مسافة معقولة، ثم اقتربا من باب الدخول الكبير الوحيد.

«هل من أحد؟» صاح أوتّو قبل أن يدخل. «عمتي ميديا؟ ياجو؟» لم يجب عليه سوى الرياح التي تهب من البحر.

لا يوجد أحد، لكن كان ذلك المكان، لسبب ما، يعطي إيحاءً بالحيوية. إنه ينبض بعمل ما أياً كان هدفه.

فتح جالينو الباب، ودخل أولاً.

كان المرصد من الداخل يتكون من فسحة كبيرة مفتوحة ومضيئة، وأرضية من الخشب الأبيض، وأَسقُف مرتفعة للغاية. وتخرج من الأرضية أربع مجموعات من الأنابيب النحاسية، أشبة بتلك الخاصة بالبريد الهوائي التي رأوها بالفعل في محطة باريس، وتحيط بها جبال من الخطابات يعلوها ختم البريد. وفي أحد أطراف الغرفة يتقد فرن، وترتفع أمامه أكداس من الكتب، والصحف، والطرود، وعلب الخطابات مرتبة، وموضوعة فوق بعضها البعض.

وعلى الجدار، في المواجهة، بعد سياج معدني غريب، صُنّف كمٌّ هائل من الكتب، يصل إلى الأرض: اصطفت هناك آلاف وآلاف من الكتب المتماثلة، بغلافها الأبيض وحروفها السوداء.

وإلى جوار المدخل يمتد سلم حلزوني من الخشب الأبيض، ينزل تحت الأرض، ويصعد حتى السدة.

«أفهم الآن لماذا لم تُردْ وصفه لي...» همس أوتّو لجالينو. «لا يشبه أي مرصد رأيته من قبل».

ازدادت حدة الإحساس بالحيوية الذي شعر به في الخارج، لكنه لم يستطع

Twitter: @ketab_n

تحديد ما إذا كان إحساساً سلبياً أم إيجابياً. الفرن المتقد، أكداس الخطابات، والكتب المصفوفة، كانت كلها إشارات إلى بعض دلالات الحياة.

«هل من أحد؟» كرر. «عمتي؟ ياجو؟» أشار أوتّو إلى السدّة التي تعلو رأسيهما. «هل سمعت؟».

هزّ جالينو رأسه «لا».

«لقد سمعت ما يشبه الخطوات...».

تقدم الآلي مسرعاً نحو مركز القاعة، حيث يمكنه النظر إلى أعلى، نحو السدة.

«لا يوجد أحد».

«هل يسكن هنا شخص ما؟» سأل أوتّو في هذه الأثناء.

«أعتقد أنهم المؤسسون» أجاب جالينو. «لكن عندما...».

صدر صوت هذه المرة من اليسار. سقط عمود من الكتب أرضاً في صخب مدوٍّ.

«هناك، من الفرن!» صرخ أوتّو. «لقد رأيته!».

في الحقيقة لم يكن قد رأى شيئاً على الإطلاق، فلا حركة، ولا شكل، فقط بقعة بيضاء تتحرك فوق الجدران، والأرضية بيضاء اللون، انعكاس ضوء قطبي يتسلل من النافذة.

هرع جالينو صوب لهب النيران الأزرق، ووثب أوتّو من الجانب الآخر، نحو فتحات الأنابيب النحاسية المربعة، وتوارى خلف جبل من الرسائل. ألقى نظرة سريعة على ذلك الكوم: كان يتكون من مئات الخطابات، يعلوها جميعاً طابع البريد ذاته، شعلة متقدة، و«س» سيبوريا، والشعار اللاتيني «أدْعو الفجر». أمسك أوتّو أحدها بيده؛ كان الختم

Twitter: @ketab_n

البريدي لمدريد يعود إلى الثامن من فبراير 1941.

عاود النظر حوله، كان جالينو قد بلغ عمود الكتب المنهار، ودار حوله في حذر.

ألقى أوتّو نظرة على القاعة كلها، دون أن يرى شيئاً أو شخصاً.

دار حول جبل الخطابات، والفتحة النحاسية المربعة، وألقى نظرة على السدة. وكما أخبره جالينو من قبل، لم يكن هناك أحد، لكن ما رآه أثار الدهشة في نفسه.

كانت هناك طاولة صغيرة، تعلوها آلة كاتبة، وبعض رزمات الورق الأبيض، وحوالي عشرة كتب مصفوفة فوق بعضها، ومقعد يجاوره مصباح، وفراش. واكتسى الحائط المقابل بشحنات لومن موضوعة في ترتيب، الواحدة فوق الأخرى، مكدسة مثل قطع الخشب.

«أنا لا أرى أحداً، يا سيد أوتّو» قال جالينو.

«انتبه» أجاب الصبي، «وانظر حولك جيداً».

«الشيء الوحيد الذي يتحرك هو النار».

«ماذا تحرق؟».

وصل الآلي إلى الفرن وتحقق. «كتب».

«أي نوع من الكتب؟».

«*الإخوة كارامازوف*» قرأ جالينو على الصف الأول. «*آنا كارنينا*، *الحرب والسلام*...».

ثم اتجه إلى الصف الآخر، وواصل القراءة: «تقويم الأطلس الجغرافي لدى أجوستيني. والكثير من خرائط الطرق».

«انظر إلى أي عام تنتمي».

Twitter: @ketab_n

«وكيف لي معرفة ذلك؟».

قام هو بذلك. كانت كتب ذات صنوف وطبعات مختلفة، كلها قديمة، تعود إلى 1909 و 1921 و 1930. قرأ العناوين الإيطالية والإنجليزية والفرنسية، ولم يصعب عليه تخيل من أتى بها إلى هنا. كانت هذه جنسيات المؤسسين الثلاثة.

لكن لماذا يحرقونها؟

ومن يقوم بذلك؟

تم تجميعها وفقاً لمعيار ما: أدب روسي، أطلس، شعر...

«ليس بمقدوري أن أفهم في ما يفيد هذا الفرن...» غمغم الصبي، وهو يحك رأسه.

«في تغذية آلة السحاب كما أظن» أجاب جالينو. وفي الحقيقة، كانت مدخنة الفرن تقع في الجانب ذاته الذي أقيمت فيه، إلى الأمام قليلاً، البيضة التي تنتج ستار السحب بخيط دخانها الرفيع.

ظل أوتّو في حيرة. والأرفف؟ ماذا يوجد فوق الأرفف؟ كتب أخرى ستحرق؟ ولماذا بدت جميعاً متماثلة؟

بلغ السياج، ومال ليتناول منها اثنين. كانت كتيبات ذات غلاف أبيض، يعلوه رمز الشعلة باللون الأسود، مطبوعاً على الظهر.

تصفحهما.

«ثم هذا! إنه أكثر غموضاً!».

«ما هذا، يا سيد أوتّو؟».

«ليست هذه كتباً حقيقية!» قال أوتّو مشيراً إلى رفوف الكتب. «إنها ملخصات. آلاف الملخصات لكتب أخرى!».

Twitter: @ketab_n

أُغلِق باب دخول المرصد بغتةً.

رأى أوتّو، هذه المرة، هيكلاً أبيض اللون ينزلق إلى الخارج بسرعة. ألقى الكتب أرضاً، وصاح بجالينو: «لقد خرج! لقد رأيته! رأيته!».

شرعا في العدو.

«ماذا رأيت، يا سيد أوتّو؟».

تفادى أوتو إحدى الفتحات المربعة، وقفز فوق بعض الأظرف المختومة، واستمر في العدو. «لقد بدا لي رجلاً!».

«رجل، كيف؟».

«يرتدي ثياباً بيضاء. ربما؟».

خرجا.

تفرقا بعد أن ألقيا نظرة. اتجه أوتّو يساراً، وجالينو يميناً نحو آلة السحاب.

جال الصبي بنظره في كل صوب، لم ير سوى المرج المزهر، وأسطح منازل سيبوريا، والبحر بلونه الفضي. دار حول الزاوية. لا شيء.

دار مرة أخرى. لا شيء.

دار مرة أخيرة.

رأى في البداية بيضة آلة السحاب، ثم جالينو يقترب.

«جالينو!» دعاه أوتّو.

استدار الآلي، وأشار له بأن يبقى ثابتاً.

لكن أوتّو بدأ في النزول عبر المرج، وجالينو يبعد خمسين متراً عنه.

كانت صورة جالينو تنعكس على سطح البيضة الأملس. بدت كبناء خال من المداخل والفتحات، عدا تلك التي يخرج منها الدخان، ثم خرج، دون سابق إنذار، من السحب شعاع أزرق، وسقط على جالينو بشكل دقيق تماماً.

Twitter: @ketab_n

ظلّ أوتّو دون حراك، مشلولاً. كانت صورة الشعاع لا تزال مطبوعة في عينيه، واشتم رائحة الأوزون المحترق النفاذ. كان جالينو ممداً فوق العشب مغشياً عليه.

وقبل أن يتمكن أوتو من اتخاذ أي قرار، سمع صوتاً إلى جواره.

«لا خطر على المرشد، لقد جمدته فقط لبعض الوقت».

استدار الصبي ببطء. ارتعدت مفاصله، وتجمد ظهره من الرعب.

وخلْفه كان يقف آلي يشبه الإنسان، أبيض اللون تماماً؛ رأسه نحيف وطويل كعارضة مركب خشبي، وعيناه مستطيلتان وثلجيتان. كان كائناً نحيفاً وطويلاً، له أربع أذرع، وأربعة أكفّ تنتهي بأصابع بالغة الطول؛ خصره نحيل، وساقاه بلا مفاصل، تتألفان من أنابيب متداخلة، وتنتهيان بقدمين كل واحد لها ثلاثة أصابع.

« وأنت... من تكون؟» غمغم أوتّو، بصوت واهٍ.

«أنا ثيو» أجاب الآلي. «حارس الجزيرة».

Twitter: @ketab_n

6. الحارس

رفع ثيو جالينو كما لو كان بلا وزن، وحمله إلى داخل المرصد، ومدده فوق أحد جبال الخطابات. لم تصدر من المرشد حركة واحدة. بدا ميتاً كما لو أن شحنة لومن قد نُزِعت منه.

«ستتركه الصاعقة على هذا الحال لثماني وعشرين دقيقة» علق الآلي الأبيض رافعاً ظهره بصوت يشبه حركة جيروسكوب.

«هل فعلت أنت به هذا؟» سأله أوتّو الذي يقف خلفه بخطوات قليلة.

«أجل، أنا» أجاب يثو واضعاً على الأرض علبة بيضاء يتوسطها زر أسود.

«ولماذا فعلت ذلك؟».

«احتراس... انتباه... دفاع» أجاب ثيو، ثم أحنى رأسه مثل سنور يقف أمام فريسته. «هل يمكنني أن أقدّم لك شيئاً؟ ماء؟ لحم ماعز؟ سمكاً. يروق للبشر السمك. قرأت ذلك في الكتب. إنه... راقٍ. أليس كذلك؟»

هزّ أوتّو رأسه. «لا أريد شيئاً. أريد فقط أن يعود جالينو كما كان، وأن أعرف مصير عمتي وياجو».

«المرأة ذات الشعر الأحمر والرجل ذو الشارب؟» سأل ثيو، وقد اقترب من درجات السلم الحلزوني، وبدأ في الصعود.

تبعه أوتّو منزعجاً. «بالضبط. هل كنت أنت من ترك الرسالة على واجهة الحانوت؟».

«أجل، إنه أنا».

«ولماذا؟ ماذا فعلت به؟».

كانت خطوات ثيو تدوّي فوق درجات السلم الحلزوني.

Twitter: @ketab_n

«لم أفعل شيئاً. لقد نفذتُ التعليمات التي تلقيتها فحسب. احتراس... انتباه... دفاع».

«أين هما؟ هل هما بخير؟».

«أعتقد ذلك».

«أريد رؤيتهما».

«سأجعلك تراهما بعد قليل. فلا أزال أفحصهما».

توقف الآلي الأبيض على الدرجة الأخيرة.

كانت السدة مؤثثة كغرفة بشرية؛ تم ترتيب الفراش جيداً، وإلى جوار الفراش توجد الطاولة الصغيرة، والآلة الكاتبة، والكتب، والمقعد.

اختار ثيو المقعد، وقدم لأوتّو كرسياً خشبياً صغيراً.

رفضه أوتّو. «أفضِّل الوقوف».

«كما تشاء. أعرف أنكم أنتم البشر تتحدثون عن الأشياء المهمة، وأنتم جالسون. اسأل وسأجيبك. فهكذا تسير الأمور، أليس كذلك؟».

«اسمعني. يا ثيو... كف عن التظاهر بأن كل شيء يسير على ما يرام، وأن كل شيء طبيعي تماماً! لقد رسوت على هذه الجزيرة برفقة ثلاثة أشخاص، قمت أنت بإخفائهم، والقضاء عليهم بواسطة... صاعقة... والآن أنا وحدي! وأعتقد أنه يجب عليك إعطائي بعض التفسيرات، والآن!».

«حسناً. لننطلق من البداية. أُدعَى ثيو، وأنا حارس الجزيرة. أما في ما يخصك... فأنا لا أعرف حتى اسمك».

«أوتّو. أوتّو فولجوري بيروتي، حفيد أتامنتي فولجوري بيروتي، وبريمو فولجوري بيروتي».

«لديك اسم طويل للغاية، يا أوتّو فولجوري بيروتي، حفيد أتامنتي فولجوري

Twitter: @ketab_n

بيروتي، وبريمو فولجوري بيروتي...» أحنى ثيو رأسه. «هل يمكنني اختصاره، ودعوتك ببساطة أوتّو فولجوري بيروتي؟».

«كما تشاء. يكفي أن تخبرني عن عمتي وياجو؛ لأنني بدأت أشعر بالقلق».

«لا توجد خطورة على عمتك، أو على ياجو، إذا كان هذا ما تريد معرفته. يمكثان في تلك البناية هناك. هل تراها؟» أشار ثيو إلى هيئة مدببة الطرف لأحد أبراج المدينة، يرتفع هناك حيث ينتهي المرج.

«مستشفى بولير- ليتون».

بولير ليتون، فكر أوتو. *إنه لقب إليزابيث. طبيبة المؤسسين الثلاثة*. «وكيف وصلا إلى هناك؟».

«لقد حملتهما أنا إليه. لم يكونا موافقين تماماً، لكنه أمر لا بد من القيام به».

«اختطاف شخصين، وعزلهما في مستشفى؟».

تجاهله ثيو مواصلاً الشرح. «منذ كفَّتْ آلات تعقيم المواطنين الجدد في الميناء عن العمل، وأنا أضطر لحملهم إلى المستشفى للفحص والتعقيم الدقيق».

«هل اختطفتهما لتعقّمَهما؟».

«لقد أخضعتهما- بالتحديد- لفحص سريع في مركز تعقيم الأمراض المزمنة».

«ولماذا لم تأخذني إلى هناك أنا أيضاً؟».

تردد ثيو ثانية قبل أن يجيب، وقد جعل ذلك التردّدُ أوتّو يشعر بأن الإجابة التي سيتلقاها لن تكون هي الإجابة الحقيقية.

«سنذهب بعد أن ننتهي من هذه الثرثرة».

«لا نية لدي للثرثرة معك».

Twitter: @ketab_n

«لكن أنا أنوي ذلك» أجاب ثيو. «وهذا يشكل فرقاً، يا أوتّو فولجوري بيروتي».

كان أوتّو في موقف حرج من كل النواحي؛ لم يكن يعرف الجزيرة، ولا منشآتها، بينما يتحكم الحارس في كل جزء منها.

كان أفضل ما يمكنه القيام به هو مجاراته، ومحاولة اكتشاف أشياء أكثر في هذه الأثناء.

«كم شخصاً يعيش على ظهر الجزيرة؟».

«لا أحد بالطبع. أنا آخر قاطني سيبوريا. لذا تراودني الرغبة في الثرثرة».

«كان بمقدورك الثرثرة مع عمتي وياجو أيضاً».

«لقد فضلت الاحتراس. فإذا حدث شيء لي ستكون نهاية المدينة. فكما ترى، أنا أهتم بكل شيء».

أذعن أوتّو، ثم أشار إلى أكداس شحنات لومن. «وتلك؟».

«أوه... إنها البطاريات التي استطعت العثور عليها. لا أعرف بكل دقة كم ستستمر لأن الكثير منها تم استخدامه جزئياً. لكنها... على أية حال، يجب أن توفر لي بعض الاستقلالية، ثم...» مرَّ في عينيه الداكنتين بريق غريب، «ثم... من يدري ما سيحدث بعد ذلك؟».

بعد أن رأى كل بطاريات لومن تلك مختلفة الأحجام، عاود أوتو التفكير في أجساد الآليين الممددين في شوارع المدينة.

«لقد نفدت طاقة الآخرين جميعاً في الشوارع، فلماذا لم يحدث هذا لك؟».

«ماذا تقصد، يا أوتّو فولجوري بيروتي؟».

«أراهن أنك قد استوليت على بطاريات الآليين الآخرين لتجعل منها مخزوناً

Twitter: @ketab_n

احتياطياً لك. لقد أصبتهم بالصاعقة، ثم...».

«لا تقفز إلى نتائج متعجلة، يا أوتّو فولجوري بيروتي» قاطعه ثيو.

«مع مرور الأعوام تغير الكثير من إجراءات تنظيم المدينة، وفَقَدَ آليون كثر جدواهم. وهكذا أبطلتُ نشاطهم».

«كيف أصدقك؟».

«لا أفهم شكوكك».

«لقد جمَّدتَهم مثلما فعلتَ مع جالينو، ثم نزعت شحنات طاقتهم، أليس كذلك؟» أصر أوتّو. «والآن فعلت الشيء ذاته مع مرشدي».

«أنت تفترض أشياء لا أساس لها. إنه شيء تحبون أنتم البشر القيام به، أليس كذلك؟».

«لقد أخبرني جالينو بوجود «مدور» تحت الأرض. يقول إن لومن يُستخرَج من الفضلات. لماذا لم تستمر في إنتاجه؟».

تململ الآلي الأبيض فوق مقعده مقلداً سلوك إنسان نفد صبره.

«لأنه ليس لديّ الفضلات اللازمة لإنتاجه. تلزمني فضلات خاصة. فضلات إنسانية إذا فهمت ما أعني، مواد عضوية لا يستطيع آلي إفرازها؛ لأنه لا يقوم بعمليات بناء البروتوبلازم. فنحن لا نأكل ولا نشرب».

إنه *بحاجة إلى البشر لكي يحيا، فكر أوتو، فقط البشر يمكنهم إنتاج لومن.* نقطة في صالحه. أو، ربما كانت على النقيض تماماً.

«كل ما فعلتُه، يا أوتّو فولجوري بيروتي، فعلته متبعاً التعليمات؛ لأن دوري يتطلب ذلك».

«وما هو دورك؟».

في البداية... عندما كانت سيبوريا لا تزال في مرحلتها الأولى، كنت أنا

Twitter: @ketab_n

مجرد كاتب بسيط» أجاب ثيو. «أهتم بنسخ وتلخيص الوثائق الرسمية لمجلس سيبوريا. أشياء مثل: *يدير سيبوريا مجلس البشر المتميزين، وقد أُوكِلت له كل النزاعات*، أو: *في حالة احتياج المدينة مواطنين آخرين، يمكن لمواطن واحد أن يختار شخصاً مجهولاً، ويأتي به إلى هنا بصحبة أحد المرشدين، ليخضع لاختبار الدخول*، أو: *كل المواطنين الذين أتموا عامهم العشرين يحق لهم التصويت*، لم تكن مهمة مسلية، لكنها أتاحت لي تعلم الإنصات لكم أيها البشر، وإيجاز ما تقولون أو تكتبون».

«وبعد حوالي عشرين عاماً، نقلوني إلى هنا، إلى المرصد، حيث مكتب المعلومات. فعبر نظام الأنابيب الهوائية (أحد اختراعات هكتور زاب) احتفظت المدينة باتصال دائم مع الأرض. وفي مرحلتيها الأولى والثانية (البناء والإعمار) لم يكن بمقدورنا إرسال معلومات، وكنا نتلقاها فقط. كان مراسلونا في مدن العالم المختلفة يبعثون لنا بتقارير ومعلومات عما يحدث، وكنا نتلقى كتباً أيضاً ومواد أخرى، وكان علي تلخيصها وتصنيفها. فقط في المرحلة الثالثة، تلك التي لم تأت بعد، كان بمقدور سيبوريا البدء في الاتصال مع بقية بلدان العالم. أراد مؤسسو المدينة العمل بكفاءة تامة، قبل إعلان مشروعهم».

«لكن لماذا تلخِّصُ الكتب؟» سأل أوتّو محدقاً في آلاف الكتب البيضاء المتماثلة فوق الرفوف.

«لم يؤمنوا أبداً بضرورة امتلاك مكتبة ضخمة تضم نصوصاً كاملة. كانت الملخصات أكثر من كافية للحصول على الأفكار اللازمة. كانوا يعتقدون أن الكتب، كما هي المكتبات والمتاحف، إرث ينتمي إلى الماضي».

«يا للجهل!» اندفع أوتّو.

وثب ثيو من مقعده موجهاً له نظرة مهددة. «انتبه لطريقة حديثك، يا أوتّو

Twitter: @ketab_n

فوجوري بيروتي. أنت لا تزال رجلاً صغيراً في طور التكوين، وتصدر أحكاماً على عمالقة».

* * *

«سيدي! لقد اقتربت الإشارة!» تردد صوت الطيار في لحظة ما، بعد وقت طويل.

استيقظ الكونت ليجوانا بغتةً. رأى أسفل منه لسان إحدى الجزر، ثم بحراً، وقمماً من الزبد، وسلسلة من الجزر الخضراء تماماً، تبعث، لمرآها رعدة في الجسد.

«أين نحن؟».

«أعلى سوروي، يا سيدي. آخر الجزر الجنوبية في أرخبيل فارو»[11].

تحقق الطيار من أجهزته: «الإشارة تنبعث... كما أظن... من تلك الصخور هناك» قرر، مشيراً إلى جزيرة يظللها إكليل من السحب.

«ما هذه؟».

«تُدعى ليتل ديمون، يا سيدي. ويعلمني الحاسوب بأنها الجزيرة الوحيدة غير المأهولة في الأرخبيل».

«إنها هي» أجاب الكونت.

«لكن توجد أنباء سيئة، يا سيدي».

مال الكونت إلى الأمام ليرهف السمع وسط هدير المروحة. «أي أنباء سيئة؟».

«سنقوم الآن بدورة تحليق أولى، يا سيدي، لكن... لمرآها، أكاد أجزم

---

(11) جزر فارو: أرخبيل ناء يتكون من ثماني عشرة جزيرة، وهي أراض مستقلة تحت الملكية الدانمركية الدستورية.

Twitter: @ketab_n

بعدم وجود أماكن آمنة للهبوط. انظر إلى الحواجز الصخرية... ربما في الجزء المرتفع... فوق الهضبة... لكن، يوجد إما ضباب، أو سحب، أو ما قد يكون.. على أية حال، وهناك عدم وضوح شديد في الرؤية يمنعنا من الاقتراب».

«وما العمل؟».

«التصرف الأكثر حيطة هو الهبوط في فاجار، المطار الأقرب، والبحث عن وسيلة نقل بحرية».

نظر الكونت ليجوانا إلى الصخور الحادة التي تحيط بالجزيرة، وهز رأسه. «لا أعتقد أن الحال سيكون أفضل مع الزورق. ثم... إننا لسنا هنا للقيام بالتصرف الأكثر حيطة...».

«قد يكون الأمر خطيراً، يا سيدي!».

رأى الكونت ليجوانا احتياطات دفاع عامة لم يكن يعلم بوجودها. وفي اللحظة التالية تملكه الغضب. «لا بد من وسيلة آمنة للوصول إليها!».

«فقط إذا كنت طائراً بحرياً، يا سيدي» مزح الطيار.

كان الكونت ينظر إلى الجزيرة، والحواجز الصخرية، والمنحدر الأخضر والسحب، وبينما هو يفعل ذلك، تتابعت أمام عينيه مشاهد أفلام حركة عديدة. تحرك في مقعده.

«أريد استعمال أحد هذه الحبال؟» اندفع.

«هل تريد الهبوط على الجزيرة؟».

«أجل» ابتهج الكونت، ولمعت عيناه بالإثارة.

«إنه أمر خطير، يا سيدي» اعترض الطيار.

حلّ الكونت ليجوانا أحزمة الأمان. «لا يهمني! أخبرني ماذا يجب أن أفعل أخبرني... فوراً».

Twitter: @ketab_n

7. المدينة الميتة

جلس ثيو على مقعده مستعيداً هدوءه.

«أقص عليك، يا أوتّو فولجوري بيروتي، عمل المرصد. رصد العالم دون تدخل. كما كان هكتور زاب يردد دائماً. لكن في بداية المرحلة الثانية، الخاصة بالإعمار، وفي هذه الغرفة ذاتها، حدث شيء غير متوقع. في تقويمكم، كان عام 1939، وكانت مدينتنا تتأهب لاستقبال أشخاص جدد، فقد تم تخطيط كل مظهر من مظاهرها، وتنفيذه وفقاً لرؤية المؤسسين، وتزوَّد الآليون بالتعليمات، واستعدوا للرحيل. أُقيم احتفال كبير، عندما استقلوا زابلين لينطلقوا إلى مدن العالم المختلفة، حيث يوجد مراسلونا على الأرض أولاً، ثم إلى أشخاص آخرين قد يكونون جديرين بأن يصيروا مواطنينا. لكن بعد أشهر قليلة من رحيلهم، بدأت الأخبار والمراسلات التي نتلقاها تصبح رهيبة».

«الحرب» همس أوتّو.

«الحرب، أجل. حرب جديدة بدت أكثر سوءاً من تلك التي رفض المؤسسون خوضها قبل ثلاثين عاماً».

«لقد فروا من الحرب العالمية الأولى».

«ولقد فعلوا ذلك مع إحساس عظيم بالذنب. لكن الآن، ومجدداً، كانت الخطابات تتحدث عن قوة غامضة تنتشر في أوروبا كلها، وأن الشر يتعاظم. وهكذا اجتمع المؤسسون مع مجلس البشر المتميزين، وبدأوا في الحديث، والحديث: فيم تفيد مدينتهم؟ تساءلوا. فيم تفيد الجامعة الحرة، والباحة بحفلاتها الموسيقية المجسمة؟ فيم يفيد اختراع الآليين الذين يمارسون الأعمال الشاقة المتكررة، ليتركوا للبشر وقتاً للمشاعر، والنبوغ، والإبداع؟ أين هو المستقبل

Twitter: @ketab_n

الذي يجب على سيبوريا ابتكاره (المرحلة الأولى)، وتجربته (المرحلة الثانية)، وتوطيده (المرحلة الثالثة)، وأخيراً منحه إلى بقية البشر (المرحلة الرابعة)؟

كان النقاش، يا أوتّو فولجوري بيروتي، متأججاً للغاية. اقترح البعض، مثل صانعيّ، تجاهل مراسلات مبعوثينا، والسير قدماً في الإعمار كما هو مخطط... بينما أراد آخرون التدخل. لقد رفضوا الانخراط في الحرب مرة، وهربوا بالفعل واختبأوا، لكنهم كانوا شباباً آنذاك. شباباً وحالمين. ولم يكن هناك تهديد كهذا يحيط بالعالم» استغرق ثيو بضع ثوان قبل أن يتابع. «ولقد أدت هذه المشكلة إلى أخرى. إذا صح التدخل، إذن لصالح من ينبغي التدخل؟ واختلفت الأفكار حول هذه النقطة أيضاً، وبدا أنه لا أحد سيتغلب على الآخر».

«كيف خرجوا من ذلك؟».

«بالتصويت. تم التصويت بالأغلبية على إيقاف إعمار المرحلة الثانية، ومحاولة إيقاف الحرب».

«إيقاف الحرب؟ وكيف ظنوا أن بمقدورهم هذا، عفواً؟».

«تم تصنيع خمسة آليين ذوي سمات خاصة، وأطلِق عليهم «الآلات المميتة». خمسة آليين مقاتلين مزودين بقدرات عدوانية لا يعرفها الآليون الآخرون الذين أنتَجَهم هكتور زاب. خمسة أسلحة مهلكة أُرسلت إلى دول أوروبا المختلفة: ألمانيا، إنجلترا، روسيا، فرنسا، وإيطاليا. وكانت لهم مهمة خاصة للغاية: إيقاف النزاع، بالقضاء على جذوره».

«وكيف ذلك؟».

«بقتل زعماء الدول المختلفة. وبدون زعماء -هكذا ظن المؤسسون- لن تصدر أوامر. وبدون أوامر لن تتحرك جيوش. وبدون جيوش...»

«لن تندلع الحرب».

Twitter: @ketab_n

بالضبط، يا أوتّو فوجوري بيروتي. لكن الآلات المميتة فشلت، وضاع أثرها مع تأجج الصراع. وهكذا عُقد في سيبوريا مجلس آخر. أراد البعض ترك الجزيرة من أجل القتال، وفضّل آخرون البقاء سرّاً في هذا المكان وتنشئة أبنائهم هنا. لم يعبأوا بأنهم سينشأون دون معرفة أي شيء عن العالم، فقد ظنوا أنهم سيواصلون الحياة بعيداً عن الحرب. كان المجلس الثاني أكثر صعوبة من الأول بكثير، ولم يتمكنوا من اتخاذ قرار، ولا حتى بالتصويت (رفض الكثيرون التصويت). وبدأ هذا في القضاء على أسس المدينة الجديدة ذاتها. وهكذا لجأوا إلى الحل الأخير، الذي لا يُلجَأ إليه إلا في أشد الأمور صعوبة. كانت الفقرة الثالثة والأربعون من وثيقة تأسيس المدينة تتيح انتخاب قائد وحيد يتمتع بسلطات مطلقة في الحالات ذات الخطورة القصوى. تم انتخابه، واتخذ المجلس هذه القرارات: أمر الآباء والأمهات بمغادرة الجزيرة حاملين أبناءهم معهم، ولم يعد أحد منهم بعد ذلك قط. أما الآخرون فقد أُعطوا حرية العودة إلى بلادهم، ومواجهة الحرب، أو البقاء هنا، وإدارة سيبوريا كانوا واثقين في عودة الآخرين. مكث ثمانية عشر شخصاً، من بينهم اثنان من المؤسسين».

«من؟».

«هكتور زاب وأرنولد دورو».

«إذن، لقد رحلت إليزابيث».

«رحلت على أول سفينة، تلك التي حملت النسوة اللواتي أردن الحصول على طفل يولد على أرض سيبوريا».

«لكن لماذا... أرسلوا بعيداً؟ مع الحرب، وخلافها... ألم تكن تنشئة الأطفال هنا أكثر أمناً؟».

Twitter: @ketab_n

«كان القائد يعتقد أن سيبوريا لن تظل آمنة، بل على النقيض، وأنه سيتم اكتشاف أمر سيبوريا عاجلاً ومهاجمتها. فإذا تم القبض على أحد المرشدين، أو الآلات المميتة، ودراستها... سيرغب أحد القادة في معرفة من قام بتصنيع أولئك الآليين والاستيلاء على تقنيتنا، ولهذا أقيمت الوسائل الدفاعية: الميناء تحت سطح البحر، وقنابل الأعماق، والسحب، والصواعق».

«الوسائل ذاتها التي بقيت حتى اليوم».

«أجل، يا أوتّو فولجوري بيروتي، إنه لكذلك، لم تُلْغَ الوسائل الدفاعية قط. صارت الأنباء التي تصل إلى المرصد أكثر غزارة واضطراباً، ولم نعرف ما الذي يحدث في بقية العالم. مرت الأعوام، ولم يعد أحد من الذين رحلوا من قبل، ولم يقترب أي غريب من الجزيرة. وهكذا قرر القائد إرسال بعثة أخيرة من المواطنين لاكتشاف ما حدث. جهَّزوا سفينة استقلّها الصانع القديم أيضاً هكتور زاب».

«إذن مكث على الجزيرة... المهندس المعماري وحده».

«القائد» حدّد ثيو. «أجل. مات قائد سيبوريا على الجزيرة بعد عامين من ترحيله آخر من تبقى في سيبوريا من البشر. وكانت هذه كلماته الأخيرة: «لقد كنا حمقى، يا ثيو، وقد أخطأنا، فلا وجود لمدينة جديدة تعتقد أنها أفضل من المدن الأخرى جميعاً، مدينة يحتكر مؤسسوها حق اختيار المواطنين. فالكمال مصدره الفوضى وليس النظام. وربما تكون الحرب مثالية، كما أن الموت مثالي بالتأكيد». لا أدري ماذا أراد حقاً أن يقول لي. وربما لم يكن يدري ذلك هو نفسه».

«هل كنت إلى جواره عندما مات؟».

«أجل، كنت الآلي الذي يعمل منذ وقت طويل في المرصد، وقد أصبحت

Twitter: @ketab_n

آنذاك مساعداً له. ولأتولى مهام جديدة، تمت إعادة برمجتي مرتين. قام زاب بذلك في المرة الأولى، وفي الثانية... كان القائد هو من غير التعليمات الخاصة بي، كي أتعلم إدارة كل شؤون الجزيرة. أعطاني الأمر بانتظار عودة سكان سيبوريا، والقيام بأعمال صيانة الآلات، وعلّمني الإجراءات التي يجب اتباعها يومياً للحفاظ على صلاحية المدينة وكفاءتها، وأمرني بالإبقاء على الوسائل الدفاعية. وشرح لي كيف أميز الأعداء من الأصدقاء. أخبرني أن أثق بالآخرين، وشرح لي ماهية الثقة. قال: إنه آجلاً أم عاجلاً سيصل إلى هنا شخص سأتعرف عليه؛ لأنه سيفعل شيئاً خاصاً، وسيغير مصير المدينة إلى الأبد، قال لي إن المدينة يجب أن تكون آنذاك نموذجية كما تركها. وأخبرني بأننا سنكون قد حققنا أخيراً هكذا المرحلتين الثالثة والرابعة.

ولقد اتبعت الأوامر، ونفذت كل التعليمات وانتظرت. انتظرت طويلاً، ولا أزال منتظراً. جاء شخص مّا. لكنه ليس ذلك الشخص الذي كان يجب علي أن أعرفه. يسهل تلخيص بقية القصة: لقد قضيت الأيام والشهور والأعوام أهتم بكل شيء. وقد أحببت تلخيص الكتب وتصنيفها. راق لي نسخ كل عبارات كتبكم، والتمييز بين المهم منها، وعديم الجدوى، وحفظ العبارات المهمة. كنت أنتظر كل يوم أن يصل ذلك الشخص الذي أخبروني عنه. كنت واثقاً. وكنت أنتظر، وهكذا، حتى اليوم».

تلى كلمات ثيو صمت وجيز.

كان أوتو يفكر في القصة وبعض الأجزاء التي لا تقنعه. كان يفكر في الآلات المميتة، الآليين الخمسة المقاتلين الذين دُمروا في زمن الحرب العالمية الثانية، وفي عبارة قالها ثيو أخذت تطنّ في رأسه: وصول شخص ما يجب معرفته.

«لقد قلت إن شخصاً ما قد رسا على الجزيرة قبلنا».

Twitter: @ketab_n

«صحيح. كانوا صيادين في الأغلب أو ناجين من الغرق».

«وماذا حل بهم؟».

«رحل البعض بعد قدومهم بساعات قليلة دون أن ينتبهوا إلى وجود المدينة. فلا تزال بعض إجراءات المحاكاة سارية، أما الآخرون فقد رسوا ليموتوا هنا».

«هل قتلتهم؟».

«لقد حاولت مداواتهم، لكنني لست طبيباً ماهراً».

ظل أوتو غير قادر على الإمساك بشيء. «عندما... عندما... أخبرك القائد بتلك الأشياء...».

«تعليمات، يا أوتّو فولجوري بيروتي، وليست أشياء. تعليمات».

«عندما أخبرك بأن شخصاً ما ستتعرف.. عليه» واصل أوتّو، «و... هل علمك كيف تفعل ذلك؟».

«بالطبع» أجاب ثيو... «ولهذا السبب نحن نتحدث الآن».

«ماذا تعني؟».

«لقد رأيتك تصل على متن زابلين».

«هل هذه هي وسيلة تعرفك علينا؟».

«إنها إشارة كوجود أحد المرشدين، وعلبتك المنشورية...».

«كيف عرفت...»

«أنا أشعر بها... كُلُّنا نشعر بها... وهي تشعر بنا».

أخرَجَها أوتّو من جيب بنطاله. «إنها تخصّ جدّي، وهو من أعطاها لي. لم تمكن من استخدامها».

«أو كان يريد لك أن تحاول ذلك».

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

كانت إنارة الطرق مطفأة، وتمكنوا في ذلك الظلام البهيم من تمييز جسور أخرى معلقة، ومبانٍ أفقية، وأبراج مدببة، ودرجات تمتد فوق الحاجز الصخري.

Twitter: @ketab_n

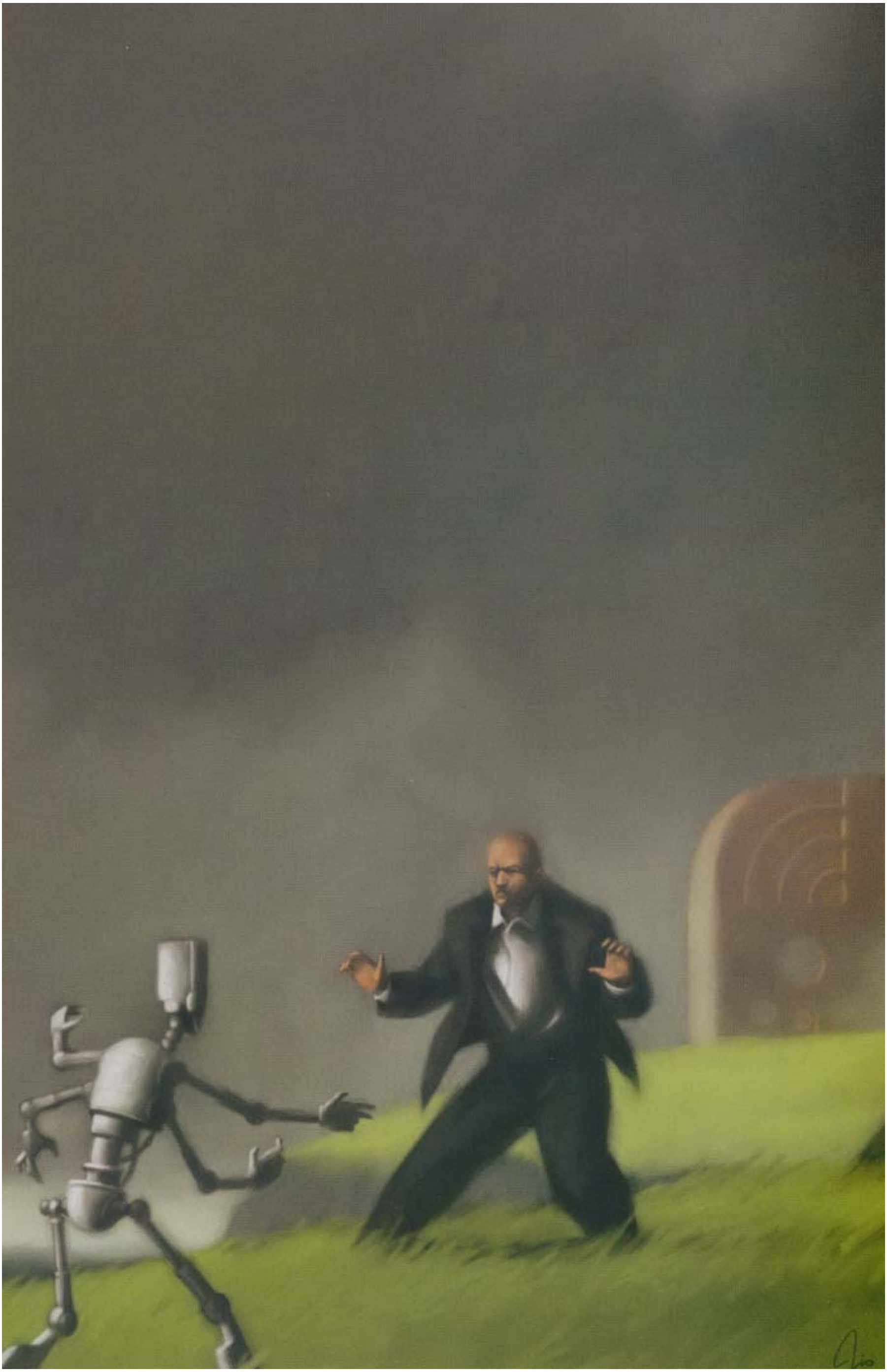

Twitter: @ketab_n

في منتصف المرج، وقف الآليان على مبعدة عشر خطوات أحدهما عن الآخر: ثيو في جانب بهيكله الأبيض وأذرعه الأربع المفتوحة كأرجل عنكبوت، وفي الجانب المقابل كاليبانو، الآلة المميتة، القناع البشري الذي جعله الجسد المعدني منيعًا.

Twitter: @ketab_n

«كيف؟».

«إن أول قوانين مواطني سيبوريا هو عدم الحديث عن سيبوريا خارج حدود المدينة».

وافقه أوتّو مضطرباً. لقد سمع ذلك من المصلصلة بصوت إليزابيث بولير- ليتون مباشرة.

«على أية حال، لا بد أن القدوم إلى هنا لم يكن يسيراً» واصل ثيو.

ابتسم أوتّو. «لقد كان جدّي يقول دائماً إنه من الأفضل محاولة القيام بأمر صعب؛ لأن الأمور اليسيرة ينجح الجميع في القيام بها».

«تبدو قاعدة جيدة في الحياة».

«كان يقولها ليجعلني أشعر بتميّزي».

«لديّ أنا أيضاً قواعد في الحياة، والقاعدة الأساسية هي: أن أتبع كل التعليمات التي أعطيت لي».

«ألم تسأل نفسك قطّ ما إذا كانت التعليمات التي تلقيتها خاطئة؟».

«لا. لأنها تعطيني إمكانية الشعور بتميّزي، كما تقول أنت. كلما انتهيت من مهامّي في الصيانة والحفاظ على الكفاءة، أجلس إلى المكتب، وألخّصُ الكتب. كان هذا أيضاً جزءاً من التعليمات، لكنه في الآن نفسه، يهبني إمكانية أن أجرّب. كان القائد يكرر دائماً: لا تفقد الأمل أبداً. لا بد من المحاولة. حاولْ، واستمر في المحاولة. وهذا ما فعلته معكم».

«حاولت أن أفهم في أي جانب أنتم».

«ألم تكفك الزابلين وجالينو ومفتاح جدّي؟».

«كل هذه إشارات، يا أوتّو فولجوري بيروتي، كاختيارك التنظيم الذي لا يحمل اسماً. ولأجل هذا الاختيار قررتُ الحديث معك؛ لأنني لا أفهم ما

Twitter: @ketab_n

يحدث. كنت سأتعرف عليك بكل تأكيد، صدّقني، إذا لم...».

«إذا لم ماذا؟».

«إذا لم تحملْ معك إحدى الآلات المميتة أيضاً».

فغَرَ أوتّو فاه غير قادر على فهم ما يريد ثيو قوله، انتظرَ تفسيرا لاحقاً لم يأت قطّ. ففي تلك اللحظة سمعا ضوضاء بعيدة.

ضوضاء مروحية.

انتفض ثيو من مقعده بغتةً، وهرع إلى النافذة في قلق. وما إن ميز النقطة الصغيرة السوداء التي تقترب فوق المحيط، حتى صاح: «ربما كنتُ غبياً، يا أوتّو فولجوري بيروتي؛ لأنني أردت الحديث معك».

«ليست لديّ أدنى فكرة عمّن يكون، يا ثيو».

«إنه هجوم! أولاً تحمِلُ أنت إلى سيبوريا إحدى الآلات المميتة، والآن...».

«ثيو لا أعرف عما تتحدثُ!» ثم رأى أوتّو هيئة ضخمة سوداء تجري فوق العشب. عاد إلى التفكير في صخب المياه الذي سمعه في الميناء تحت البحر، وفي الظل الذي رآه هذا الصباح، وإحساسه بأنه متبوع باستمرار.

لم يكن ثيو هو من يتبعهم.

كان شيئاً أكثر رعباً.

آلة مميتة.

كاليبانو.

Twitter: @ketab_n

8. صابرون نفد صبرهم

«هل تسمعينني الآن؟ هل أنت بخير؟» سأل ياجو ميديا.

كانت المرأة ممددة على الفراش، نائمة تقريباً، بينما يستند هو إلى حافة الفراش ذاته، ويحاول جاهداً الوقوف على قدميه. كانت رأسه تطن، وساقاه ليّنتين.

بدت ميديا على الحال ذاته من الوهن. أغلقت عينيها، ثم سألت: «أين نحن؟».

«ليست لديّ فكرة» أجاب ياجو. «يبدو لي كمستشفى».

كانت صفوف من الأسرَّة تستوي جنباً إلى جنب، تفصلها ستائر من الشاش، بينما اكتست الأرضية ببلاط أخضر مائي، فاتح اللون للغاية، وطُليت الأسْقُفُ باللون الأزرق. كانت النوافذ واسعة، مربعة، تطل على البحر.

جذبت نفسها إلى أعلى محاولةً الجلوس بجهد كبير، وعندئذ فقط أدركت أنها لم تعد ترتدي ثيابها، بل قميصاً ليلكي اللون يحمل شعلة سيبوريا، ورقم: 87. تحسست رأسها في حيرة. «ماذا فعلوا بي؟».

أراها ياجو باطن ذراعه الأيسر، حيث لا تزال واضحة علامات أخذ عيّنة من الدماء، هزّ رأسه وداعب شعرها. «إذا كنا محظوظين، يا عزيزتي، لن يتذكر أحدنا ما حدث. أعتقد أنهم نوّمونا... وفحصونا. وقد أعطوك اللون الليلكي».

ابتسمت ميديا. «ولك الأزرق. رجال ونسوة؟».

فرك ياجو عينيه. «هل يؤلمك شيء؟».

«لا، وأنت؟».

Twitter: @ketab_n

«أنا بخير، في ما عدا إحساسي بأنني قد دخلت غسالة كبيرة...» جلس على حافة الفراش. «آخر ما أتذكره هو أننا كنا نبحث عنك، ثم...».

«الرواق!» صاحت هي. «كنت في رواق قصر المهمات، عندما انشقت الأرض أسفل قدميّ...».

«أعرف ذلك. نعرفه. كنت أنا أمام أحد الحوانيت. حانوت تغرقه شمس ساطعة، يا ميديا. وكنت أتخيل أن...» التمعت عيناه، وطارده تفكير لا يناسب المكان، والتفت صوب الجهة الأخرى، «ثم استيقظت على بعد فراشين منك».

«يا له من مكان!».

«انظري إلى الجانب الإيجابي. إنه نظيف وهادئ. أعتقد أنه لا يوجد مرضى كثيرون هنا، بل أعتقد أنه لا يوجد أحد غيرنا».

اتسعت عينا ميديا بغتةً. «وأوتّو؟».

«لا أعرف، لكنه ليس هنا» أجاب ياجو. «بينما كنت تنامين، ناديته، وذهبت إلى الباب، ثم عدت مرة أخرى لأحضرك». شمّ ياجو ساعده.

«يفوح برائحة الليمون. وكذلك أنت؟».

لم تجبه ميديا، وحاولت النهوض من الفراش. «يجب أن نخرج من هنا... أوه... رأسي!».

أمسك بها ياجو. «أعرف، إن رأسي أنا أيضاً تدور. سينتهي ذلك بعد قليل. لكنها ليست المشكلة الوحيدة».

نظرت إليه ميديا متسائلة، وتابع ياجو: «لا يمكننا الخروج. سنتجمد بالخارج. يجب أن نعثر على ثيابنا».

تركت ميديا نفسها لذراعيه، ثم اعترتها رعدة. «ياجو أتذكر يديْن، أيديَ

Twitter: @ketab_n

طويلة ذات أصابع بيضاء. لقد أمسكت بي، ثم...».

«أنا لا أتذكر حتى هذا» أجاب مداعباً شعرها. «لقد كنت في الطريق أنظُر إلى الشمس، وبعد ذلك بلحظة كنت ممدداً على ذلك الفراش، أحدق في سقف الغرفة. أياً كان ما حدث فقد حدث سريعاً، وبطريقة غير مؤلمة... وتفوح أيدينا بعطر الليمون».

«وإصبعك؟».

«لم يعد يؤلمني. غريب، أليس كذلك؟... ربما داواني».

«لا يروق لي، ولا يروق لي، ولا يروق لي».

«ولا لي أنا أيضاً، إلا ما حدث لإصبعي».

«لنذهب من هنا». أصرت ميديا. «علينا العثور على أوتّو».

«تشبّثي بي».

خرجا بخطى متوعكة من الحجرة، وسارا في رواق طويل. كان بلاط الأرضية بارداً تحت أقدامهما.

«من أي جانب؟» سأل ياجو.

أخذا يصيخان السمع. كان البحر يهدر بعيداً، ويغطي صوت الأمواج أزيز أجهزة تدور تحت الأرض، بينما تخرج من فتحات الجدران دفقات من الهواء الساخن.

انعطف الاثنان نحو اليسار مارين أمام غرف كبيرة أخرى خاوية، حيث تتماوج ستائر الشاش تبعاً لتيارات غير مرئية، وفوق الجدران عُلقت رسوم وكتابات لم يتمكنا من قراءتها.

مستشفى نموذجي، فكر ياجو.

كان مكاناً بارداً. وفي كل غرفة جديدة، كانا يناديان: أوتّو، دون أن يتلقّيا

Twitter: @ketab_n

إجابة. اجتازا أسرَّة، وطاولات إداريين، وأرفف مستحضرات طبية، وغرفاً أخرى خاوية. ثم بغتةً، غطى ياجو عينيْ ميديا.

«لا تنظري!» صاح بنبرة قلقة.

«ما الذي لا يجب أن أنظر إليه؟».

سار ياجو بسرعة أكبر ليأخذها بعيداً عن المكان، لكنها انزلقت من ذراعه ونظرت. «أوه، يا إلهي، هذا فظيع!».

«لقد نصحتك بألا تنظري!».

كانا أمام إحدى الغرف؛ فوق الأسرة تمددت أربعة هياكل عظمية، ثلاثة منها يرتدون قمصاناً زرقاء كقميص ياجو، بينما الآخر، على النقيض، يرتدي سترة قصيرة، سميكة من الجلد، وبنطالاً ثقيلاً تغطيه طبقات من الغبار، يزيلها عنه هواء جهاز التدفئة ببطء.

وكمن تغويه كارثة، دخلت ميديا الحجرة لتحدق في تلك الهياكل. بلغت ذلك الذي يرتدي زي ملاّح جوي، ولاحظت أنه يحمل بطاقة صغيرة مثبتة إلى صدره.

«أرنولد دورو».

كانت أسنان الجمجمة مطبقة، وتجاويفها خاوية، واليدان متشابكتين فوق عظمتي الحوض. نظرت إليه ميديا، وياجو طويلاً قبل أن يتمكنا من الحديث.

«أي نهاية سيئة!» قالت هي. «الموت هكذا، بدون جنازة، أو صلاة، إنه شيء... كان يمكنهم على الأقل دفنه في مكان ما».

«مَن؟ مَن تبقى من الآليين؟ لا أعتقد أنهم عاطفيون للغاية. وربما كانوا محقّين. إما إنك حي أو ميت».

وضع يده على كتفها، وجذبها بعيداً. «لنذهب، لا يوجد شيء آخر لنراه

Twitter: @ketab_n

هنا». لكن ميديا أوقفته مشيرةً إلى الصوان المعدني الصغير في نهاية الغرفة.

فتحاه.

وجدا في الداخل بعض الثياب. ثياب بحرية في الأغلب: سترات مشمعة، وأحذية طويلة.

«لا تروق لي فكرة ارتداء ثياب هؤلاء الأشخاص» قال ياجو عندما رآها.

«إما إنك حي أو ميت» ذكرته ميديا. «لا أعتقد أن ذلك سيشكل اختلافاً بالنسبة إليهم، كما سيفعل معنا، في حال خروجنا من هنا». أمسكت قميصاً وبنطالاً بديا مناسبين لها، ونظرت إلى ياجو «دُرْ من فضلك».

Twitter: @ketab_n

9. الآلة المميتة

كان الكونت ليجوانا يهبط إلى المرج، وهو يدور، والرياح تضرب وجهه. تجمّدَ وجهه من الصقيع، وهو يتشبث بحبل الأرغن بكلتا يديه؛ كان يشعر فوقه بمحرك المروحية، والشفرات الكبيرة الدوارة التي تشق الهواء فوق رأسه. بدا وكأنه يسمع مباشرة هدير العالم الآخر. ضغط زراً بقوة، وهبط ببطء، وتدريجياً، صوب الجزيرة.

«إلى أسفل! إلى أسفل!» كان يصيح بالطيار الذي لم يكن بمقدوره سماعه. «أنزلني!».

بدت عينا الكونت كما لو أصابهما مس. فلقد تحول فزعه مما يفعل إلى غبطة.

لقد وجدها! وجد مدينة الآلات، والطاقة المثالية، والجنود الآليين، مدينة الحياة الخالدة التي طالما حدثه والده عنها! المدينة التي تقفّيا أثرها لأكثر من قرن تقريباً!.

إنها موجودة بالفعل، وها هي هناك أسفل منه، على بعد أمتار قليلة من قدميه، وأسفل تلك المروحية الجهنمية. بينما كان ينزل في الفراغ، معلقاً بحبل رفيع من المعدن، عاود الكونت التفكير في أعوام البحث: الخرائط التي لجأ إليها، والأشخاص الذين رشاهم بلا جدوى، ودون أن يعثر على شيء ملموس أبداً. عاود التفكير في وقت أوشك فيه على الكف عن الاعتقاد في أسطورة المدينة التي يقطنها البشر الآليون، وآلات القتال، وطاقة عظيمة يمكن أن تستخدم لإخضاع العالم بأسره.

«أؤكد لك أنها موجودة» صرخ به والده من الفراش الذي صار حبيساً له

Twitter: @ketab_n

منذ جيلين، الفراش– الآلة الذي يتيح له الحياة، والتنفس بعد أكثر من مئة واثني عشر عاماً. «كان يجب أن أرحل معهم! لقد عملت مراسلاً لهم! وأرسلت خطاباتي طيلة أعوام!».

لم يتلق ميركوتسيو، والد الكونت ليجوانا، إجابة قط عن الخطابات التي أرسلها مستخدماً طابع البريد الغريب ذلك، لكنه تلقى مالاً. مالاً كان يضاف آلياً إلى حسابه المصرفي، دون أن يظهر حساب، أو اسم ما. هل كان هذا برهان وجود المدينة الجديدة الرائعة؟ وجود المؤسسين؟ والمال؟

ومن أين كان يصل ذلك التدفق الذي لا ينقطع من المال؟

فتّشا شبراً شبراً، وبلا جدوى، مؤسسات الائتمان السويسرية، التي تشتهر عالمياً بضمها أفضل مصرفيي العالم السريين. وظلت الأسئلة كما هي.

حتى تلك اللحظة.

لقد وصل! وصل مقتفياً أثر حفيد آل فولجوري بيروتي المتظاهر بالنضج؛ وهم الوحيدون، بخلاف عائلته، الذين يتصلون بالأسطورة، وبالقصة، وأسطورة مدينة الآليين.

هل جنّدهم المؤسسون هم أيضاً؟ هل كانوا يتلقّون المال هم أيضاً لقاء معلوماتهم؟ هل لديهم في المنزل صناديق من طوابع البريد التي تحمل صورة الشعلة، والشعار اللاتيني «*ادعو الفجر*»؟ وهل، بالأحرى، يمتلكون هم أيضاً في منزلهم آلياً مثل كاليبانو؟

قبل أن يهبط. كان الكونت ليجوانا قد حدد على الشاشة موقع حارسه الشخصي. كانت النقطة المضيئة تلمع أسفل منهم، في تلك الجزيرة الشمالية النائية.

.. لقد وصل!

Twitter: @ketab_n

«إلى أسفل! إلى أسفل أكثر!» صرخ الكونت وهو يرى المرج يقترب. كان يحرك قدميه في الهواء البارد كطفل.

طفل، بالفعل. لم يكن قد ولد عندما أتى كاليبانو إلى منزل ليجوانا، في العام الذي دخلت إيطاليا فيه الحرب. كان الآلي قد حمل بعض التعليمات، لكن ميركوتسيو أبدلها له. لقد أُرسل كاليبانو ليقتل الملك، لكنه لم يترك كالتشي قط، وتحول إلى خدمتهم، بفضل قدرة والده الخارقة. صنع له ميركوتسيو قناعاً من الشمع والبلاستيك يتيح له الاختلاط بالأشخاص الآخرين، ومنذ ذلك الحين يقدمه بوصفه حارسه الشخصي. شيطان آلي خرج من الجحيم مباشرةً.

أطلَقُوا عليه اسم كاليبانو، كالعبد المقزز في «العاصفة» لشكسبير.

كاليبانو، الوحش المخلص.

كاليبانو القاتل.

ها هو.

وبينما كان يهبط صوب المنحدر، رآه الكونت ليجوانا يخرج من ناحية الجدار الصخري، ويعدو نحوه، فوق مرج الجزيرة التي يوشك وضْع قدميه عليها.

كيف له الهبوط بأرغن؟ أي شيء يجب أن يحل رباطه؟ حل الفزع، واتجه نظر الكونت، بينما الأدرينالين يتدفق بكل قوة في عروقه، إلى خادمه الذي يهرع، محنياً ظهره، لمساعدته، ثم إلى قصر المرصد المربع، وأخيراً البناء البيضاوي الغريب، المختفي أسفل السحب.

ما هذه المباني؟ فيم تفيد؟ أوه، لكن ماذا يفيد التساؤل على الفور هكذا؟ إن الجزيرة، وأسرارها في انتظاره، وستكون أخيراً ملكاً له.

حرّك الكونت ساقيه في الفراغ. كان يفصله آنذاك ما لا يتجاوز الخمسين

Twitter: @ketab_n

متراً عن الأرض. عبث بالأحزمة، وسأل نفسه للمرة الألف ماذا يجب أن يفعل ليحل قيودها. انجذب بصره نحو حركة أخرى؛ رأى شخصين يخرجان من المرصد، ويعدوان صوب المروحية.

هل الجزيرة مسكونة إذن؟

بعثرت الرياح شعره، وصعد الدم إلى عيني الكونت: لقد عرف الصبي الصغير، حفيد بريمو فولجوري بيروتي، العبقري الصغير، العفريت الذي أوقع شحنات لومن فوقه. شد قبضتيه.. وتمنى لو كان بمقدور كاليبانو أن يسمعه! سيأمره بالقضاء على ذلك العفريت نهائياً!

لكن من برفقته؟

من الشخص الآخر؟

ليست المرأة، كما لا يمكن أن يكون ولده. يبدو أنه آلي.. مخلوق معدني أبيض اللون تماماً. خطواته نشيطة، وسريعة للغاية.

تأرجح الكونت ليجوانا بخطورة في الفراغ، بينما كانت المروحية فوقه، تقوم بمناورة حادة. رفع قبضته نحو الطيار، وصاح: «ماذا تفعل، أيها الجاهل؟!».

ثم سقطت من السماء صاعقة زرقاء أصابت المروحةَ مطلقةً شلالاً من الشرارات.

«أوه لا! لا! لا!» تمكن الكونت من الصراخ على بعد ثلاثة أمتار من الأرض.

جذبه حبل الأرغن بعنف إلى أعلى، بينما كانت المروحية تجنح صوب الحاجز الصخري.

«دعني أذهب!» صرخ. «أنزلني!».

Twitter: @ketab_n

لكن بدا أن الطيار قد أصابه الجنون. بدأت المروحية في الارتفاع والدوران حول نفسها. وبالرغم من الدوار الذي أصابه، بدأ الكونت في العبث بأظافره في الأحزمة. لم يرَ شيئاً. اختفى مرج الهضبة. لا توجد مبان أفقية ذات نوافذ مغلقة.

فتحة الحزام! الفتحة! فكر الرجل.

جذبة أخرى عنيفة. المحرك الذي يزمجر في جنون. والآن صار الحاجز الصخري على بعد أمتار قليلة أسفل قدميه. زبد البحر الأبيض.

كانت تهوي. المروحية التي يتعلق بها تهوي.

الماء. الصخور. المباني. وبطريقة ما عثر الكونت ليجوانا على فتحة الحزام.

سقوط. انفجار. صخور بحر الشمال المتجمد. عشرة أمتار. ثمانية. خمسة.

الفتحة! الفتحة!

وثبت. انفتحت.

الماء البارد على وجهه.

الماء البارد.

وفي غضون ثانية صار كل شيء أسود ومتجمداً.

في وسط المرج، وقف الآليان على بعد عشر خطوات أحدهما عن الآخر. ثيو في جانب بهيكله الأبيض، وأذرعه الأربع المفتوحة كأرجل عنكبوت، وفي الجانب المقابل كاليبانو، الآلة المميتة، القناع البشري الذي جعله الجسد المعدني منيعاً، وفي الخلفية تهوي المروحية صوب البحر.

بدأ الاثنان في الدوران متواجهين في حذر. كان كاليبانو أول من بدأ بالهجوم: انطلق برأسٍ منخفض نحو ثيو الذي تفاداه بقفزة جانبية، لكن

Twitter: @ketab_n

كاليبانو توقع تلك الحركة، وبالتفاف سريع للغاية، أمسك بالآلي الأبيض من الخلف، من كتفيه. جلس ثيو على كعبيه، ووجه أربع لكمات إلى الخلف، واحدة من كل ذراع. وللحظة بدا أن قبضة كاليبانو قد خفت. استدار ثيو، وأصاب الآلة المميتة في صدغها بمرفقه، ثم بمرفق آخر، ولف الذراع الثالثة حول رأسه، ودفعه إلى الأمام، فوق العشب. وجه إليه ركلة عنيفة للغاية في ركبته، ثم ثانية، وبدا أن مفصل الآلي المقاتل قد تحطم: صدر منه دوي أشبه بسيارة ترتطم بجدار.

قلب ثيو خصمه على الأرض محاولاً الوصول إلى وجهه، لكن كاليبانو تدحرج على ظهره وأمسكه من كعبه وجذبه. ومجدداً تردد دوي معدن يتحطم. سقط ثيو أرضاً، وقفز حارس الكونت ليجوانا الشخصي فوق ظهره، واستخدم ركبته السليمة كمثبت، ثم أمطر الحارس باللكمات. أحدث سلسلة مذهلة من دوي التدمير، والضجيج. كان ثيو يحرك ذراعيه، لكنه بدا حبيس ثقل الخصم وعاجزاً عن الحركة. لطمه كاليبانو في عنقه وكتفيه وجانبيه، وأمسك بذراعيه السفليتين، وبدأ في ليّهما. حطم إحداهما، ثم نجح ثيو في الإفلات منه: انزلق بطريقة ما من أسفل ساقيْ خصمه، وأصابه بسلسلة من اللكمات في وجهه جرحته، وجعلت جسده الآلي يترنح إلى الوراء.

أخذ ثيو في الزحف على العشب، لكن كاليبانو أمسك به من الخلف ودفعه نحو صخرة بارزة.

كان الاصطدام رهيباً. ظل الحارس مغشياً عليه، وساكناً فوق العشب.

كان أوتّو يتابع القتال من مسافة آمنة، لكنها تتيح له سماع أصوات المعركة، لم يستطع التدخل ولا فعل شيء. رأى المروحية تهوي في البحر، ويراقب الآن كاليبانو وهو يحطم ثيو. ولم يستطع فعل شيء.

Twitter: @ketab_n

ظل الآلي الأبيض ساكناً على الأرض، إلى جوار الصخرة التي أُلقي نحوها، بينما يدنو العملاق الأسود منه، وهو يجرّ ساقه الجريحة.

شد أوتّو قبضته. «تشجع يا ثيو! انهض! انهض!» صرخ بكل ما أوتي من قوة.

توقف كاليبانو، وأدار وجهه المفزع المنتفخ، وثبت نظرته الجامدة على الصبي الصغير، بدا ذلك كالنظر إلى الموت وجهاً لوجه. ثم عاود التقدم نحو ثيو.

صار على بعد خمس خطوات. ثلاث.

خطوة واحدة.

انحنى للإجهاز عليه، عندما انطلقت من السحب التي تلف الجزيرة الصاعقة الزرقاء المألوفة. أصابت الشحنة الكهربائية المرج في منتصف المسافة بين أوتّو وكاليبانو.

استدار أوتّو بغتة صوب المرصد. أمام الباب وقف جالينو مسلحاً بالعلبة البيضاء الصغيرة ذات الزر الأسود، والتي أصابه بها ثيو قبل نصف الساعة.

«أجل!» ابتهج أوتّو. «جالينو».

فقد كاليبانو اهتمامه بثيو بغتةً وبدأ في العدو صوب المرصد.

أطلق جالينو صاعقة أخرى بعدت عن ثيو خطوة واحدة.

«ليس هكذا!» صرخ أوتّو بينما كان كاليبانو يسير فوق العشب كعملاق جريح.

كانت الصاعقة الثالثة أكثر دقة وأصابت كاليبانو تماماً.

اشتعلت ثياب الآلي، لكن الآلة المميتة لم تتوقف.

«مستحيل...» غمغم أوتو.

Twitter: @ketab_n

استمر كاليبانو في العدْو، كجمرة متقدة، شعلة من الفزع الرهيب.

لكنه تباطأ في عدوه. تحول العدْوُ إلى خطوة سريعة، ثم إلى ترنح سكير، ثم إلى زحف شاق فوق العشب، وعندما سكنت حركته التهمته النيران.

ترك جالينو المرصد، واقترب من الجمرة المتقدة موجهاً إليها زوجاً من الركلات.

«أجل، هل توقف؟» سأله أوتّو، وهو يعدو نحوه.

«هكذا يبدو. صباح الخير، يا سيد أوتّو، معذرة لتأخري. هل يمكنك أن تمسك بهذه للحظة؟».

مدَّ له يده بعلبة الصواعق الصغيرة. أدار كاليبانو بركلة، ونزع عنه ما تبقى من ثياب، ثم دس يداً بين أجزائه المصفحة، وقلبها جيداً، ودون أن يستغرق وقتاً طويلاً، انتزع منها بطارية لومن. رفعها عالياً، ثم ألقاها بعيداً. «ها نحن» اختتم الآلي. «يجب أن نكون في أمان هكذا».

تنهد أوتو طويلاً، وترك نفسه يسقط أرضاً.

نظر إلى العلبة البيضاء الصغيرة، وفكر في شعار عائلته. «لا يوجد دواء للصواعق». لا يجدي البحث عن دواء من الصواعق.

«أوتّو! أوتّو!» صاح شخص ما في نهاية المرج. هرع شخصان إليه وهما يرتديان ثياباً غريبة.

تعرف على عمته من شعرها.

«عمتي! ياجو!» صاح وهو يعدو نحوهما.

Twitter: @ketab_n

10 . هدْم وإعادة بناء

«أشعر... بالبرد...» قال ثيو عندما استيقظ.

بالطبع لم يكن بمقدوره الشعور بالبرد. كان ممدداً فوق طاولة حديدية لإصلاح الآلات.

«أين أنا؟» طنطن محاولاً التحرك. منعته مجموعة من الأحزمة الجلدية.

وإلى جواره ظهر جالينو، وأوتّو، وشخصان آخران، البشريان اللذان حملهما إلى المستشفى. «صباح الخير، يا ثيو...» حياه أوتّو. نظر الآلي إلى الغرفة وقال: «ورشة إصلاح 32، أليس كذلك؟».

«صحيح» أجاب جالينو، رافعاً يده الآلية المليئة بالعتاد. «وأنت تخضع لعملية إصلاح ليست لدي معارف الإصلاح الآلي المتقدمة اللازمة، لكنني فعلت ما تيسّر».

رفع أوتّو كتاباً أبيض اللون تماماً. «لحسن الطالع وجدنا بين أرفف المرصد موجزاً لكل التعليمات الأساسية للإنقاذ العاجل:

«كم من الوقت قضيت معطلاً؟».

«يوماً» أجاب الصبي.

بدأ جالينو في حل الأحزمة الجلدية، واحداً واحداً. «لن أؤكد لك أنك ستعود كسابق عهدك، لكن... لا بد أنني قد استطعت إنقاذ جزء كبير من أجهزة حركتك. كانت الساقان الأسوأ حالاً. ستعرج قليلاً، كما أظنّ... لكنني أضفت إليك جيروسكوب سيوفر لك توازناً إضافياً».

جلس ثيو على الطاولة الجديدة. «لماذا فعلت هذا؟ أنا مجرد آلي، ولن أشعر بالألم. كان بمقدورك أن تتركني كما وجدتني».

Twitter: @ketab_n

«لقد أصر أوتّو والآخران على أن أحاول إصلاحك».

خفض ثيو عينيه. «الآليون لا يحاولون. إنهم يعرفون كيف يؤدون الأشياء أولا يعرفون. إنه جزء من تعليماتهم».

«لكن أنا لدي تعليمات بالمحاولة».

رفع ثيو ساقيه ودلاهما من الطاولة. «أنت محق أشعر بهما صلبتين للغاية».

«كما فقدت ذراعاً أيضاً».

آنذاك بدأ ثيو يعي خسارة ذراع من أذرعه.

«آه. ليس سيئاً تماماً. في الحقيقة لم استخدمه سوى مرتين فقط».

أسند أذرعه الثلاث إلى حافة الطاولة، ونظر إلى جالينو. «يؤسفني إصابتك بالصاعقة».

«لا تقلق. لقد خرجت منها سليماً. ياجو يقول إنها ربما تكون كإصابة إنسان بالثمل».

نظر ثيو إلى البشريَيْن الأكثر بعداً عن الطاولة. «تؤسفني أيضاً الطريقة التي أخضعتكما بها للفحوص الطبية».

«لا توجد مشكلة» قالت ميديا. «لقد شرح لنا أوتّو كل شيء».

«إلا رائحة الليمون تلك التي لا تريد أن تزول» أضاف ياجو.

«ماذا حل بالآلة المميتة؟ آخر ما أتذكره هو شعاع أزرق...».

«إن صندوق الصواعق الصغير صعب الاستخدام» قال جالينو. «فقد تطلب الأمر ثلاث طلقات لإصابته».

«وبعد أن أصبته؟».

«أبطلنا عمله» أجاب أوتّو. «لقد نزع جالينو بطاريته، وقطعة أخرى أيضاً للاطمئنان، في حال أراد شخص ما إعادته إلى العمل».

Twitter: @ketab_n

فتح ثيو أذرعه الثلاث، وأغلقها. «والمروحية؟».

«بوف. سقطت في البحر. ولقد أنقذنا الطيار الذي ينام في الغرفة هناك. لكن ليس الكونت ليجوانا».

«لقد سقط على الصخور».

«أو مات متجمداً في البحر».

«على أية حال، لقد كانت نهايته سيئة» علقت ميديا.

نزل ثيو إلى الأرض بحرص. «أوه...» قال.

«هل يمكنك السير؟».

«كل شيء مختلف».

ساعده جالينو. «لقد اضطررت لتغيير أجزاء كاملة، والقيام بتوصيلات... جديدة لكن لا بد أن كل شيء في موضعه. سيطقطق قليلاً... لكن كل شيء موجود».

«إنه كتعلّم السير من جديد!» علق الآلي الأبيض مترنحاً على قدميه.

«أين تريد الذهاب؟».

«إلى الخارج، في الشمس» أجاب ثيو. «أريد رؤية البحر».

غادر الموكب الصغير الورشة 32. وصلوا شرفة يضيئها نور الصباح الساطع، وتوقفوا لينظروا إلى امتداد بحر الشمال أزرق اللون، وفرار السحب المخططة التي تتحرك سريعاً، والشمس البيضاء الساطعة، وكما هو الحال في كل شوارع سيبوريا، كان هدير الماء يدوي. وفوق الصخور البيضاء، وقفت طيور النورس ساكنةً، وسط دوامات الرياح.

«لم أسألكم حتى ما قصتكم» قال ثيو. واستدار إلى أوتّو: «كيف تمكنتم من الوصول إلى هنا؟».

Twitter: @ketab_n

ضغط جالينو بعض الأرقام على لوحة المفاتيح الرقمية التي يحملها فوق صدره مخرجاً أسطوانة من الفينيل الأسود، سميكة ومتينة.

«لقد سجلت هنا رحلتنا كلها، ومصرح لك أن تسمعها، إذا أردت. لا أعتقد أبداً أن أرشيف المرشدين قد دخل حيز التنفيذ».

تناول ثيو الأسطوانة بحرص. «في الحقيقة، لا. فلم يصل أي مرشد آخر إلى هنا».

حان وقت تقرير ما يجب فعله.

كان لا بد من إعادة طيار المروحية إلى وطنه سريعاً، قبل أن يستيقظ، ويعلم بأمر سيبوريا. تطوع جالينو لنقله إلى أقرب الجزر مستخدماً أحد الزوارق التي تبقت في المدينة. رافقه أوتّو، فقد مضت أيام لم يسمع فيها صوت والديه، وكان من المؤكد أنهما يشعران بالقلق. كما أنه، بعد كل ذلك التوتر، بدأ يفتقد تلال بيزا.

كان يريد العودة إلى المنزل.

لم توافقه العمة ميديا وياجو الرأي، وأخبراه بذلك بعد ساعات قليلة من استيقاظ ثيو.

كان ياجو أول من اتخذ القرار. أراه إبهامه المحترق، وشرح له لماذا لا ينوي العودة بأي طريقة إلى حياته السابقة. «لقد مات والدي. كما أن جدي، إذا كان على قيد الحياة، لا يعدو أن يكون معتوهاً، وحشاً تُبقي الآلات على حياته. ليس لدي من ينتظرني غيره، وليست لدي رغبة في العودة إلى منزل كالتشي. لقد كبرت مع رعبي من الآلات، يا أوتّو، وبمال لم أكسب أنا منه شيئاً. أعتقد أنه قد حانت لحظة قطع كل صلة لي مع الماضي، والبدء في التفكير قليلاً في نفسي».

Twitter: @ketab_n

سيبقى على الجزيرة، حيث يخطط لافتتاح متجر صغير: «أريد البدء في الرسم» قال. «لا أعتقد أن لديك سوقاً كبيرة هنا...» مازحه أوتّو الذي بدأ يشعر بالضيق يخزه في حلقه.

«أنا أقوم به لنفسي وليس للآخرين».

ثم إنه سيَحْظى بجمهور: ثيو... والعمة.

«يجب أن أعترف لك بشيء، يا أوتّو» بدأت العمة ميديا. وتحولت وخزة الضيق التي شعر بها في حلقه إلى ألم، بينما العمة تتحدث. بعد ذلك ببضعة أيام، عندما اجتهد في التفكير فيها، أدرك أنه لا يتذكر كل كلماتها تماماً. الجامعة، الدراسات، حياة المغامرة...بماذا أفادها ذلك؟ كانت امرأة ذكية جميلة؛ امرأة ظلت وحيدة في واقع الأمر، حتى بدأت تلك المغامرة. شدت العمة ميديا على ذراع ياجو.

«هل يعني هذا أنك ستمكثين هنا أنت أيضاً؟».

«إن هذه الجزيرة هي جنة الدراسات، يا أوتّو. مدينة كاملة ابتكرت وهُجرت في القرن الماضي. آثار صناعية يمكنني أن أجعل منها إنجاز حياتي. وإذا ما قررنا أن العالم يجب أن يعرف بأمر سيبوريا، فسأكون أنا الشخص المناسب لدراستها».

هذه هي النهاية.

يوجد شيء واحد أخير يجب فعله قبل الرحيل.

ولقد فعله أوتو في تلك الليلة ذاتها.

كانت النجوم تضيء السماء بومضات قوية.

انزلق أوتّو في الظلام البارد، يتبع ظهر ثيو الأبيض المترنح.

قاده حارس الجزيرة إلى باب مغلق يتوسط بناية فضية اللون.

Twitter: @ketab_n

«إنه هو» غمغم الآلي.

كانت الكتابة المضيئة توضح:

باب المرحلة الثالثة

أخرج أوتّو من جيب بنطاله علبة الجد المنشورية، ثم تلك المفاتيح التي سلموه إياها، عندما اختار التسجيل في التنظيم الذي لا يحمل اسماً.

«أتعرف ما يوجد خلف هذا الباب؟».

«لا. لقد تم إعداده انتظاراً لوصول المواطنين الجدد. كان المؤسسون واثقين أنّ من بين هؤلاء سيأتي من يرغب في فتح الطريق أمام المراحل اللاحقة، وحيث أنه لم يصل إلى هنا سواكم، فلم يفتحه أحد قط».

تردد أوتّو، ثم رفع المفتاح وأدناه من القفل.

انفتح مصدراً «*كلاك*» واهية للغاية.

Twitter: @ketab_n

11. الدرّاجة الحمراء

ها هم هناك.

مجدداً.

ظهرت دراجات عصابة المدرسة النارية المدوية خلف منعطف طريق بابيانا العام كقطيع من الأبقار المجنونة. أحصى أوتّو منها ستة، ففي ما يبدو تزايد عدد أفراد العصابة أثناء غيابه.

سمعهم يصرخون بشيء تجاهه، ولاحظ أنهم قد تعرفوا عليه، وبعد ثوان قليلة كان أكثر المتحمسين يشيرون إليه في ما بينهم.

«هيا!» صاح أحدهم باندفاع شديد، وكاد يُسقط حقيبته في الطريق.

صعد أوتّو إلى دراجة جده البيانكي موديل 1958، وأدار المدوسين. اندفعت الدراجة إلى الأمام مع طقطقات دوارها. قام الصبي بعشر لفات، بينما كانت دراجات العصابة النارية تهدر أكثر قرباً منه، خلف ظهره.

«ها هو بيروتي!».

«لننل منه! هيا!».

«المال!».

«يجب أن يدفع لنا مالاً مدى الحياة».

لم يبد على أوتّو الخوف، بل ابتسم. تركهم يقتربون أكثر قليلاً، وأحصاهم جيداً. كانوا سبعة؛ تعرف من الخوذتيْن محلولتيْ الرباط على توأميْ الشاب لاعب الكرة، وذلك الثور فرانكوني، ابن القاضي. كان هناك أيضاً كوين الصبي القادم من البندقية، الذي يقطع حمام السباحة، ويأكل كيلو مكرونة في الإفطار، واثنان آخران لم يكن يعرفهما، وفتاة تتبع العصابة لسبب ما غريب.

Twitter: @ketab_n

حياها في جسارة، وانفجر الآخرون في دوي من الاعتراضات مندفعين مثل التنانين.

«كيف تسمح لنفسك، يا بيروتي!».

«أوقف تلك الخردة، وسنعلقك من أذنيك!».

«ليس من حقك تحية جوليا!».

«لا؟» أجاب أوتّو، وهو يدير مدوس الدراجة ببطء مرة ثانية. كانت الدراجات النارية قد أحاطت به آنذاك كحشرات ضخمة صاخبة. «أهلاً جوليا! ماذا تفعلين مع هؤلاء الأجلاف؟».

تلقت جوليا السؤال بغمغمة، واتسعت عيناها الزرقاء دهشةً. نظرت إلى كوين، الصبي القادم من البندقية أولاً، وأدرك أوتّو أنها تنتمي إلى العصابة بدافع الحب.

«سأقطعك، يا بيروتي!» زمجر ابن القاضي.

اندفع التوأمان أمام الدراجة مبطئين من سرعتهما ليجبراه على التوقف. أما صبي البندقية فقد حاول الإمساك بأوتّو من كتفيه، وجذبه بعنف، لكنه أفلته وكاد يقع من فوق دراجته النارية. «لو أمسكت بك، سأحطمك!» صرخ بصوت حاد أكثر سخافة، نظراً إلى كفاءته كسبّاح.

أدار أوتّو المدوسيْن المقعقعيْن مرتين متفادياً التوأمين المتوقفين أمامه، ودخل بين الدراجة النارية وسياج الطريق المعدني.

«تعالي هنا أيتها الفرشاة!».

«إلى أين تهرب؟».

قرر أوتّو أنه قد اكتفى منهم. أحنى يده على سلسلة الدراجة المتدلية، وتحسس غطاءها، بحثاً عن خرطوش طوله بضع سنتيمترات. كان تعديلاً بسيطاً أجراه

Twitter: @ketab_n

في الأيام الأخيرة، بعد عودته من رحلة في أقصى الشمال. بطارية لومن متينة، مثبتة أسفل المدوسين مباشرةً، وتتصل بهما. وبضغطة واحدة أطلقها.

ثم أشار إلى خوذة أحد التوأمين، وصاح: «احترس مع تلك!» وسط دوي المحرك. «قد تؤذيك!» أدار السلسلة نصف دورة، ورفع يداً عن المقود للتحية: «باي! باي! جوليا!» وأخيراً دار بالمدوسين دورتين.

بدأت بطارية لومن في العمل كمولّد. لفّتْ سلسلة الدراجة البيانكي القديمة شحنة زرقاء تبعث دوياً أشبه بالبرق، واندفع أوتّو إلى الأمام لعشرين متراً، ولا تزال على وجهه ابتسامة اللحظة الماضية ذاتها، ويده مرفوعة. وفي دورة المدوس الثانية، ترك بينه وبين راكبي الدراجات النارية عشرين متراً أخرى. وفي الثالثة، لم يعد يسمعهم.

تخيلهم يقفون بلا حراك، مبعثرين فوق طريق الدراجات، يتساءلون عن كيفية حدوث ذلك، مع جوليا التي تقف إلى جوار صديقها الضخم، الذي ينقنق كدجاجة، وتقول له: «لن تمسك به بعد ذلك، يا عزيزي».

بابتسامة واسعة، راضية، انعطف أوتّو يساراً، ليسلك أحد الدربيْن اللذيْن يصعدان الجبال، ولا يعرفهما سواه. أبطل عمل الآلة الزرقاء، وسلك طريق الغابات شطر بيت العمة ميديا. بعد ربع الساعة، ترك الدراجة في الفناء. كانت واجهة السيارة الخنفساء تطل من المستودع. وبدت الشمس مرتفعة في السماء، وحارّة للغاية. صعد أوتّو درجات المدخل الحجرية، وقرع الجرس. اضطر للانتظار دقائق قليلة. نظر في ساعته؛ كانت تشير إلى الواحدة. لقد وصل في ميعاده بالضبط.

انفتح الباب.

«إيه!» حشرج صوت معدني.

Twitter: @ketab_n

«أهلاً. أيتها القبعة الجميلة».

كان جالينو يختال بقبعة هائلة من قش هاواي. «قبعة دون جوان حقيقي» قال متذكراً إحدى الكلمات الأولى التي علمها له أوتّو، عندما اصطحبه خارج متحف فلورنسا. «هل تروق لك؟ ابتعتها لك عبر الإنترنت».

«هل توجد أخبار من سيبوريا؟».

«حتى الآن لا توجد، يا صديقي» أجاب الآلي متقدماً إياه إلى المطبخ.

«ليس يسيراً بالنسبة إليهم أن يجروا اتصالاً معنا. ثم ماذا يقول المثل؟ لا توجد أخبار، إذن فالأخبار جيدة».

اعتلى أوتّو مقعداً خشبياً صغيراً. «هل أرسلت الخطابات والمعلومات؟».

«أجل، أعتقد أن ثيو قد قرأها بالفعل، ولخصها وصنفها».

«و..؟».

«ولا شيء حتى الآن.. لننتظر».

فكر أوتّو بشرود في والديه، وفيلا فولجوري، ثم سبح بخياله إلى قضبان سكة حديد باريس، وحلق فوق بحر الشمال حتى جزيرة سيبوريا، حيث تقوم عمته بدراسة كل مباني المدينة، لتنجز دراستها الأكاديمية الرائعة، وياجو الذي تمكن أخيراً من الرسم في سلام تام. وتساءل ماذا يفعل ثيو، بخلاف إدارة المدينة الجديدة، وتلخيص الكتب للمكتبة البيضاء، وتصنيف مراسلات المراسلين- الذين لا يتجاوزونهما فعلياً- ثم ابتسم. كان سعيداً بكونه في منزله.

«هل لديك أخبار جديدة من المرشدين الآخرين؟».

هزّ جالينو رأسه مجدداً. «لا شيء، لكن لدي اتصال جديد مع نيويورك. ربما يوجد أحد زملائي هناك، وقد ظنوه تمثالاً، ومرشد آخر يقوم بدور خيال المآتة بالقرب من كراكوفيا... لكنها مجرد افتراضات حتى الآن».

Twitter: @ketab_n

أومأ أوتّو. المرشدون متناثرون في أرجاء العالم بدون أن تبدأ المرحلة الثانية، والآلات المميتة التي دُمرت في الحرب، وإليزابيث، وولدها اللذان رحلا على أول سفينة! وهكتور زاب الذي كان آخر من رحل.

كم هي الأشياء التي لا يزال يجهلها عن سيبوريا ومؤسسيها؟ ومتى سيتمكن من معرفة كل شيء؟

لكن هل لهذا أهمية؟ هل يتحتم معرفة كل التفاصيل عن تلك الجزيرة، وتلك المدينة ليتمكن من الاستمتاع بهما إلى الأبد؟ أم يكفيه أنه قد عثر عليها، وعلم بوجودها؟ وأنه يمتلك الآن أكثر الدراجات الحمراء قوةً في التاريخ؟

أسئلة. أسئلة ذات إجابات معقدة، ربما تصلح لأيام الشتاء الطويلة.

أسئلة ربما ينساها أوتّو مع مرور الأعوام.

التقط جالينو من إحدى السلال بعض الليمون شديد الاخضرار، ورفعه، وسأله: «هل يناسبك بعض العصير؟».

Twitter: @ketab_n

12. كلمات حرة

ذهب..

جالساً فوق مقعده في سدة المرصد، كان ثيو يراقب الغروب الذي حوّل امتداد البحر اللانهائي إلى ذهب. كان هناك ما يقلقه في ذلك الضوء المذهب، شيء جعله يدق بعصبية على المكتب بأصابع أذرعه الثلاث.

لم ينتبه إلى الذهب من قبل.

ربما بسبب وجود المواطنيْن البشرييْن اللذين يتحركان على الجزيرة باستمرار؟ لا، فكر. لقد كان انتهاء أعوام الوحدة شيئاً إيجابياً. لقد بدأَتْ أخيراً حقاً -وبشكل لا يصدق- المرحلة التي انتظرها طويلاً: مرحلة الإعمار، ثم إنه مع وجود بشريين يسكنان المدينة، سيتاح خلال بضعة أسابيع، البدء في إعادة إنتاج لومن لشحن البطاريات القديمة، وربما خلال بضعة أشهر، أو عام، سيتمكن بعض الآليين الآخرين من معاودة عملهم.

إذن هما لا يمثلان مشكلة. وإذن؟ ربما لا توجد مشكلة حقيقية، بمقدار كونها صعوبة، أو رغبة. أجل، هي رغبة.

لقد اختبرته أحداث الأيام الأخيرة وغيرت منه. ليس فقط القتال مع إحدى الآلات المميتة، ولكن الإصلاحات التي خضع لها، والأحاديث الطويلة مع أوتّو، واكتشاف قصتهم بالغة التعقيد.

مرر إصبع أحد أكفه على الأسطوانة السوداء التي تركها له جالينو، تلك التي سجلت عليها قصة وصول أوتّو وميديا وياجو إلى هنا. كانت قصة آلية خالية من العواطف، والإيحاءات. قصة موضوعية. لكن بفضل تلك القصة، التي سجل جالينو فيها الوقائع، تخيل ثيو...

Twitter: @ketab_n

أشياءً أخرى.

أجل تخيل. قرأ ثيو ونسخ كتباً طيلة ثمانين عاماً. كان يعرف كيف يصف البشرُ الأحداثَ ويكتبون قصة. كانوا يتخيلون، ويختارون الكلمات ليجسدوا خيالهم. كلمات حرة.

كتاب.. حتى وإن كانت صياغة الكتب لا تدخل في إطار التعليمات التي تلقاها، حتى وإن لم يكن مجرد ملخص، لكنه على النقيض تماماً... راودت ثيو الرغبة في المحاولة.

محاولة ماذا؟

محاولة الكتابة.

ها هي الرغبة التي أصابته بالقلق، تتجاوز حدود التعليمات. تراود ثيو الرغبة في محاولة كتابة قصة أوتّو، وميديا، وياجو، وجالينو، وقصته هو أيضاً. ولم لا؟ قصة ثيو أيضاً، وسيبوريا، والمؤسسين الثلاثة.

من غيرهُ يستطيع القيام بذلك؟ هو فقط من يعرف كل أسرارها. كل الأسرار حتى تلك التي تختبئ تحت أرض الجزيرة، تلك المقيدة في الأسفل هناك. أوه، لكنها ليست أسراراً جميلة... ربما تستحق أن يبوح بها لشخص ما، وأن يصوغ منها كتاباً.

كتاب يمتلئ بالأسرار.

وكلما فكر في ذلك، زاد اقتناع ثيو بأنها قصة جميلة، تستحق أن تُروى. وإذا نجح في صياغتها، فستصبح قصة جميلة تستحق القراءة. فكر في أنه إذا قرأها شخص ما، فسيعلم بوجود سيبوريا، وربما قام برحلة بغية الوصول إليها. ربما بتلك الطريقة سيصل المواطنون الذين انتظرهم كل ذلك الوقت.

أجل، هذا ما ينبغي القيام به. سيجرب متعة الخيال والحرية حتى وإن كان

Twitter: @ketab_n

مجرد جسد آلي. سيتمكن ثيو من تأليف كتاب وحده في سيبوريا. وربما بعد أن ينتهي منه، سيتمكن ياجو أيضاً من إضافة الرسومات.

أجل، سيعرض عليه ذلك. ولم لا؟

وعند هذا الحد... سيمكنهم طباعته. ثم؟

ثم إرساله إلى شخص يقرأه.

وينشره في أرجاء العالم.

سيكون كافياً الدخول مجدداً إلى الحجرة التي فتحها أوتّو، وهناك يوجد جهاز البريد الهوائي الذي يمكنه الإرسال عوضاً عن الاستقبال. وهي طريقة يمكنه بها إرسال أخبار سيبوريا إلى من يرغب في قراءتها.

كفَّ ثيو عن الدق.

ولم لا؟

اتخذ قراره. دسَّ ورقة في الآلة الكاتبة، ونظر إليها طويلاً ثم وضع أصابعه على الأزرار، وكتب.

«كان جدّ أوتو إذا أراد أن يشعر حفيده بتميزه، ينصحه أن يحاول القيام بأمر عسير؛ لأن الأمور اليسيرة ينجح الجميع في القيام بها...».

Twitter: @ketab_n

شكر

أتوجه بالشكر إلى ماثيو الذي آمن بهذا المشروع، حتى عندما كانت فترات صمتي الطويلة توحي له بالريبة، وإلى بنيامين لحماسه في التلاعب بالكلمات؛ وبهذا الخصوص، لقد سلمتك الكتاب يوم الأربعاء.

نجمت «سيبوريا» عن سلسلة من الأفكار والمناقشات مع ابنيْ مدينة فيرونا، ياكوبو أوليفيري، الرسام والكاتب الحالم، وماسيمو كراكو، المهندس وعالم الرياضيات والموسيقي. لقد شاركتهما الفكرة كلها ونسجت حبكة هذه القصة. وأتوجه بشكر خاص إلى ألبرتو سيرا، الذي أعد أول مخطط للقصة موثقاً كافة مظاهر الرحلة التاريخية والجغرافية، وإلى جوردانو برونو جويري لإيضاحاته حول قيام الحركة المستقبلية. كما أخصّ بالشكر الأصدقاء في مدرسة بيزا العليا: دافيدي ميرليتي، الذي أتنبأ له بمقام علمي رفيع، وميكيلي فياسكي، الذي أشاطره منذ أعوام طقوساً كرويةً مقدسة، وأومبرتو باريني الذي اشتغلنا سوياً بكل سرور، وماريا لويزا كاتوني، التي استوحيت منها شخصية ميديا، والبروفيسور سالفاتوري سيتيس الذي مكّنني من التعرف على كل هؤلاء.

قاعة المدفونات اختراع خالص لي. أما مقهى المونتينو، وحمصه المطهي في الفرن، فلا. تقع فيلاّ فولجوري في باسو ديل فرانتويو، في ريجولي، وهي فندق يوفر لزواره الإقامة والمأكل، ويمكن الاستمتاع فيه بمشهد خلاب لسهول بيزا.

كما أود أن أشير إلى أن القائمة التي قدمها جالينو على متن قاطرة الجنوب هي جزء مما قدمه مارينيتي في مطعم «ريشة الإوزة» في ميلانو، 15 نوفمبر 1930، واستوحيت رفوف الكتب في منزل دورو الجوال، مما ابتكره كالفينو

Twitter: @ketab_n

في «رحال ذات ليلة شتاء»، كما استوحيت الكثير من قواعد إنشاء المدينة الجديدة وتنظيمها من «وثيقة كارنارو لمدينة النهر»، التي نشرت في الثامن من سبتمبر 1920، وطبعت بفضل مساهمة جابرييلي دانونسيو، واستوحي المنزل الجوال في شارع بابلو بيكاسو مما اقترحه اللّيستزكي في مشروعه عام 1925، ومن «المدينة السائرة» لرون هيرون في الستينيات، واستوحيت محطة باريس ومعمار سيبوريا العام من تصميمات أنطونيو سانت إيليا. ويتعارض أحد الأفكار النهائية لثيو تماماً مع فكر الحركة المستقبلية: «الوهم بأن تشعر أنك آلي، بينما لست في الحقيقة سوى جسد باك».

أتوجه بالشكر إلى المستقبليين، حيث كان «إعلانهم» الوافي، بعد مئة عام من صدوره على صفحات «لوفيغارو» في باريس، ملهماً لإطلاق توقعات بالمستقبل الآتي.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

سيبوريا ..استيقاظ جالينو

«اســتأذن أوتّو في الانصراف. وآوى إلى غرفته. أغلق الباب. وأدار المفتاح. وجلس إلى مكتبه المزدحم بالأدوات. ثم تناول المقص. وقطع الخيط. اســتعان بســكين صغيرة ليفصل الختم الشــمعي دون المســاس بأي جزء منه. رفع طــرف العلبة المجهولة العلوي. وأمســك بين أصابعه وهو يحبس أنفاسه شيئاً غريباً له لون أخضر داكن خفيف أشبه بفضة يعلوها الصدأ».

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة
أطفال وناشئة

كلمة
KALIMA

هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY

9 789948 017998